المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة الطائف

كلية الآداب

قسم اللغة العربي

الدراسات العليا

النص الشعري بين ابن درّاج القسطلي وابن المقرّب العيوني

(دراسة موازنة)

رسالة مقدّمة من الطالبة

لولوة عبدالله مُحَمَّد المالكي

لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في قسم اللغة العربية

التخصّص الدقيق:أدب ونقد

إشراف

د.تغريد حسن أحمد عبدالعاطي

أستاذ الأدب العربي المشارك بجامعة الطائف

(٢٠١٨م)١٤٣٩هـ

ملخص الدراسة

النص الشعري بين ابن دراج القسطلي وابن المقرب العيوني" دارسة تكميلية أُعِدَّت لنيل درجة الماجستير.

وتبدأ الدراسة بمقدمة تعرض أهمية البحث ، وأسباب اختياره ، والهدف منه ، ومنهجه،والمحاور التي يقوم عليها ، وتمهيد يعرض سيرة الشاعرين والعوامل المؤثرة في حياتهما.

ثم يأتي الفصل الأول بعنوان:السمات الموضوعية لدى الشاعرين أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف، ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول بعنوان: الموضوعات الشعرية لدى الشاعرين .

والمبحث الثاني بعنوان:موازنة بين السمات الموضوعية لدى الشاعرين .

ثم يأتي الفصل الثاني بعنوان: السمات الفنية لدى الشاعرين أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف،

وينقسم إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول : بنية القصيدة .

المبحث الثاني : الألفاظ والأساليب .

المبحث الثالث : الموسيقى.

المبحث الرابع : الصورة الشعرية .

وتبع ذلك الخاتمة التي احتوت على نتائج الدراسة،ثمّ خُتمت بقائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

Study summary

The poetic text between the son of Darraj al-Qastali and Ibn al-Maqrab al-'Ayouni is a supplementary study for a degree

Masters.

The study begins with an introduction that presents the importance of research, the reasons for its selection, its purpose, its methodology, the pillars upon which it is based, and the preparation of the biography of the poets and the factors affecting their lives.

Then comes the first chapter entitled: The substantive characteristics of the poets and aspects of agreement and differences, and consists of two sections

The first is entitled: Poetic themes of poets.

The second is entitled: balancing the substantive characteristics of the poets.

Then comes the second chapter entitled: the technical characteristics of the poets, and is divided into four sections

The first topic: Structure of the poem.

The second subject: Vocabulary and methods.

The third subject: Music of poetry.

The fourth subject: poetic image.

This was followed by the conclusion that contained the results of the study, followed by the list of sources and references, and the index of subjects

الإهداء

إلى الحبيب المصطفى النّبي الأمين صلى الله عليه وسلّم وصُحبتهِ الكرام،والتّابعين ومن تبعهُم بإحسان إلى يوم الدّين.

إلى النّور الذي ينير لي بالدعاء درب النّجاح..أبي

إلى مثلي الأعلى في الصبر والإصرار..أمي

إلى سندي وعضدي في الحياة..إخويّ"أحمد و محمد".

إلى كل الذين أسهموا في إخراج هذا البحث..

إليهم جميعًا أُهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع،الذي أسأل الله أن يكون خالصًا لوجهه الكريم.

شكر وتقدير

لايسعني هنا إلاَّ أن أتقدَّم بوافر الشكر والتقدير لأساتذتيّ الجليلتين:

أستاذتي الدكتورة ورد عزب التي ارتسمت على يديها أولى خطوات هذه الدراسة.

والشكر أجزله لأستاذتي الدكتورة تغريد حسن أحمد عبدالعاطي لموافقتها مشكورة على تولي مهمة الإشراف،فكان لها الدور الأعظم بعد الله في إخراج هذا العمل،بِما جادَت عليّ به مِنْ نفيس علمها وثمين وقتها.

كما أُقدّم أجمل شكري وامتناني إلى أعضاء لجنة المناقشة المُوقّرة لما تحمّلوه من العناء والمشقّة في قراءة هذا البحث،سائلةً الله أن يثيبهم عنّي خيرا.

المقدمة

الحمد لله الذي علمنا كيف نحيا بين أعماقنا بإيمان،و يقين و أمان، والصلاة و السلام على سيدنا و حبيبنا المصطفى سيد المرسلين محمد ﷺ و على آله و صحبه أجمعين أمّا بعد،فإن التأليف في الموازنة باب واسع و قديم من أبواب الدرس الأدبي، تطرّق إليه كثيرٌ من النقاد في ثنايا مؤلفاتهم، و خصّه بعضهم بالتأليف على نحو مافعل الآمدي في كتابه الشهير"الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتري"، و د. طه حسين في كتابه"حافظ و شوقي"، و د. زكي مبارك في كتابه"الموازنة بين الشعراء"

و الموازنة بين الشعراء هي التي تكشف مواطن التّأثير والتّأثر، و تبين مظاهر التوافق والاختلاف،والتساوي و التمايز بين شاعرين أو أكثر من قطر واحد أو أقطار مختلفة، في عصر واحد أو عصور متعددة.

و من هنا نشأت لديّ فكرة الموازنة بين شاعرين أحدهما من شعراء الأندلس"ابن درّاج القسطلي" و الآخر من شعراء الخليج العربي"ابن المقرّب العيوني".

خاصّةً وأنَّ كلا الشاعرين يتشابهان في عدة أمور على صعيد طبيعة الحياة أو على صعيد تأثرهما بالمتنبي في شعره،حيثُ لُقِّب ابن درّاج القسطلي "بمتنبي الغرب الأندلسي"ولُقّب ابن المقرّب العيوني "بمتنبي الخليج العربي".

ومن الذين أشاروا إلى التّشابه بين ابن درّاج القسطلي وبين المتنبّي الأديب "أبومنصور الثّعالبي" حيثُ قال فيه:"كان بصقْع الأندلُس كالمتنبّي بصقع الشّام".[1]

ويقول الدكتور محمد دواليبي:"كانت حياة ابن درّاج قريبة من حياة المتنبّي،تشابُهًا وتأثُّرًا،وذلك من حيث المعاناة والقلق والشكوى والحكمة العمليّة ومزْج الفكر بالخيال،وكذلك تردُّده على بلاط الأمراء واستقراره زمنًا في كنَف الحاجب المنصور أمير قرطبة استقرارًا يشبه مكوث المتنبّي في كنَف الأمير الحمداني سيف الدولة في حلب".[2]

---

[1] أنظرأبو منصور عبدالملك الثعالبي،يتيمة الدهر،ج/٢،شرح وتحقيق مفيد محمد قمحية،بيروت،دار الكتب العلمية،ط١، ١٤٠٣_١٩٨٣،ص١١٩.

[2]أنظر محمد دواليبي،التجربة الشعرية عند ابن درّاج القسطلي،رسالة دكتوراة ،جامعة حلب،٢٠٠٤ ،ص١.

ويقول الدكتور مصطفى العيس:"ابن درّاج يستقي كثيرًا من خصائص المتنبّي في تصويره الوقائع الحربية،ويُردّد معاني سطوة الممدوح الخارقة،وهزيمة الأعداء،وكثرة عددهم وعديدهم،وخضوعهم وذلّهم الشديد بعد الانتصار عليهم بسرعة مذهلة،وغير ذلك ممّا نقع عليه في سيفيّات المتنبّي".[١]

أمّا ابن المقرّب فمن الذين شهدوا بتأثُّره بالمتنبّي الدكتور عمر فروخ حيث قال:"شاعرٌ مُكْثِرٌ مُجيد فصيح الألفاظ حتى حينما تكثُر الكلمات الغريبة في بعض المقاطع من عدد من قصائده،وعلى قصائده عمومًا أثر المتنبي خاصة".[٢]

كما أشار الأستاذ درويش المقدادي في إحدى مقالاته إلى التّشابه بينه وبين المتنبّي بقوله:"حاول بشعره وأسفاره واتّصاله بأُمراء مصر والشّام أن يكون ذا ولاية ومُلك،فلم يُفلح كذلك فعل ابن المقرّب بالخليج العربي والعراق فلم يُحقّق أمنيته".[٣]

ويُضاف إلى ذلك وجود العديد من العوامل المشتركة التي زادت في – رأيي – من وجاهة الموازنة بين ابن درّاج القسطلي وابن المقرّب العيوني ويمكن أن نجملها فيما يلي:

١_كلا الشاعرين يتمتَعان بطموح و همَة عالية.

٢_كلا الشاعرين ينتميان إلى بيت إمارةٍ وحُكم،وعاشا حياةً غير مستقرّة سادها الظلم والحرمان.

٣_عُرف الشاعران بكثرة تنقلهما بغرض مدح الملوك والأمراء،وهو ماترتّب عليه غلبة غرض المديح لديهما على باقي الأغراض الأخرى.

و هذا ما دفعني إلى التساؤلات الآتية:

١_ما أبرز العوامل المشتركة التي أثّرت في حياة الشاعرين وشعرهما؟وهل كان لها تأثير في إيجاد أوجه تشابه واختلاف في تجاربهما الشعرية؟

٢_إلى أي مدى أسهم تأثرهما بالمتنبي في إيجاد أوجه شبه و اختلاف و تمايز بينهما على صعيد الأغراض الشعرية، وعلى صعيد الخصائص الفنية في شعرهما؟

---

[١]أنظر مصطفى العيس،أثر المتنبّي في أعلام الشعر الأندلسي،رسالة دكتوراة،جامعة حلب، ٢٠٠٠ ،ص١٨٩.
[٢]أنظر عمر فروخ،تاريخ الأدب العربي،ج/٣،بيروت،دارالعلم للملايين،ط٥، ١٩٨٩ ،ص٥٠٨.
[٣]أنظر درويش المقدادي،مجلة العربي،العدد ١٧ شوال،١٣٧٩،ص٦٧.

و يهدف البحث إلى:

عقد موازنة فيها شيء من التَوسع بين الشاعرين لبيان أوجه الشبه و الاختلاف في سيرة حياتهما و انعكاس ذلك على إنتاجهما الشعري، وموازنة ما اشتهرا به من موضوعات شعرية و سمات فنيَة علّني بذلك أخرج بجديد يفيد الدرس الأدبي.

و ترجع أهمية البحث إلى أنّ:

١_الموازنة بين الشعراء هي التي تكشف عن مواطن التأثير و التأثر، و تبين أوجه الشبه و الاختلاف، و التساوي و التمايز، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي تقوم على الموازنة بين شاعرين كبيرين لم يسبق أن جمعت بينهما دراسة في الموازنات الأدبية.

٢_إثراء المكتبة الأدبية بدراسة جادة تجمع بين شاعرين أسهما في إثراء الأدب العربي بإنتاجهما الشعري.

وستقوم الدراسة على تتبُّع حياة الشاعرين وأشعارهما من حيث أوجه الشّبه والاختلاف عبر المحاور التالية:

١_دراسة أبرز الأغراض الشعرية لدى الشاعرين،واستخراج مافيها من سمات.

٢_تحليل النواحي الفنيّة لدى الشاعرين،واستخراج مافيها من سمات.

٣_الموازنة بين الموضوعات الشعرية والخصائص الفنية لدى الشاعرين،والتوصُّل من خلالها إلى أوجه التشابه والاختلاف.

وفي كل محاور هذا البحث تعتمد الباحثة على المنهج المقارن لكل ماتتناوله تحليلاً ودراسةً.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع على دراسات متعددة،والبحث في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، و مكتبة الملك فهد الوطنية،لم تجد الباحثة دراسة قائمة على الموازنة بين الشاعرين(ابن درّاج القسطلي و ابن المقرّب العيوني) إلاّ أنها وجدت دراسات سابقة تناولت الشاعرين كلاً منهما على حدة مثل :

١_ابن المقرّب العيوني حياته و شعره، فهد بن عوض بن وريده،رسالة مقدّمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٧٣.

٢_شعر علي بن المقرّب العيوني(دراسة فنية)، أحمد موسى الخطيب، رسالة مقدّمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير،كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٠.

٣_الصورة الفنية في شعر ابن درّاج القسطلي الأندلسي، أشرف علي دعدور، رسالة مقدّمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة القاهرة،١٩٨٧.

٤_التجربة الشعرية عند ابن درّاج القسطلي، محمد دواليبي، رسالة دكتوراة،كلية الآداب، جامعة حلب، ٢٠٠٤.

خطة البحث:

تتكون الدراسة من:مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

وسيتضمن التمهيد التعريف بالشاعرين، و العوامل التي أثّرت فيهما.

أمّا الفصل الأول فسيكون بعنوان "السمات الموضوعية لدى الشاعرين"أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف"وسيتم تقسيمه إلى مبحثين:

المبحث الأول :بعنوان"الموضوعات الشعرية لدى الشاعرين".

أما المبحث الثاني:بعنوان "موازنة بين الموضوعات الشعرية وسماتها لدى الشاعرين".

في حين سيكون الفصل الثاني بعنوان "السمات الفنية لدى الشاعرين"أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف"وسيتم تقسيمه إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول :يتناول بنية القصيدة.

المبحث الثاني:الألفاظ والأساليب.

المبحث الثالث:الموسيقى.

المبحث الرابع:الصورة الشعرية.

ثم تأتي الخاتمة لتضم نتائج الدراسة.

تمهيد

أولاً:التعريف بابن درّاج القسطلي.

اسمه ولقبه وكنيته:

هو أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن درَّاج الأندلسي القسطلي،يُكنَّى بأبي عمر[١]،ويُلقَّب بالقسطلي نِسبة إلى بلدة قسطلة[٢]،وقد اختلف مؤرخو الأندلس القدماء والباحثون المُحدثون حول موقع بلدة قسطلة التي ينتمي إليها شاعرنا؛وذلك لوجود ثلاثة مواضع تحمل اسم "قسطلة" في الأندلس:

الموضع الأول:قسطلة الواقعة في غرب الأندلس،وقد أشار إليها عبد المنعم الحميري في معجمه الجغرافي فقال:إنَّها قرية في غرب الأندلس.[٣]

كما أشار إليها ابن سعيد في الجزء الأول من كتابه"المُغرب في حُلى المغرب" فقال:"تُعرف بقسطلة الغرب ومنها أبو علي إدريس بن اليمان."[٤]

---

[١]للمزيد من التفاصيل عن ترجمة الشاعر أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق إحسان عباس ، المجلد١، دارصادر،بيروت، ١٩٧٨،(د.ط)،ص١٣٥.

وجمال الدين الأتابكي،النجوم الزاهرة،ج٤،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب العلمية،(د.ت)،(د.ط)،ص٢٧٢.

وشمس الدين محمد الذّهبي،سير أعلام النبلاء،ج١٧،حققه شعيب الأرناؤوط و محمد العرقسوسي ،مؤسسة الرسالة،،بيروت،١٩٨٣ ،ص٣٦٥.

[٢]ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٤ ،دارصادر،بيروت،(د.ت)،(د.ط)،ص٣٤٧.

[٣]ابن درّاج القسطلي،مقدِّمة ديوان ابن دراج القسطلي،تحقيق محمود علي مكي ،منشورات المكتب الإسلامي دمشق ،١٩٦١ ،ص٢٩،نقلاً عن الروض المعطار،مادة ١٤٣ ،ص١٦٠ من النص العربي و ١٩٢ من الترجمة الفرنسية.

[٤]أنظر ابن سعيد المغربي،المُغرب في حلى المغرب ،ج ١،تحقيق شوقي ضيف ،دار المعارف،القاهرة، (د.ت) ،ط٤،ص٤٠٠.

الموضع الثاني:قسطلة التَّابعة لإقليم جيَان،وهي التي أشار إليها أيضًا ابن سعيد في الجزءِ الثاني من كتابه"المُغرب في حُلى المغرب" كما أشارَ إلى أنَّها هي التي تداولَ على رئاستها درَّاج وبنوه.[١]

الموضع الثالث:قرية من قُرى الجزيرة الخضراء تُعرف باسم قسطلة وإليها ينتمي أبو الوليد يونس بن محمد القسطلي.[٢]

وذهب مُعظم الباحثين إلى أنَّ ابن درَّاج ينتمي إلى قسطلة الواقعة في غرب الأندلس وتحديدًا على ساحل المحيط الأطلسي بين الحدود الإسبانية ومدينة طبيرة.[٣]

بينما رجَّح الدكتور محمود مكّي"محقق ديوان الشاعر" رأي ابن سعيد في أنَّ قسطلة درَّاج التي ينتمي إليها الشاعر هي التَّابعة لإقليم جيان،وفي ذلك يقول:"فابن سعيد كان يعرف المواضع الثلاثة بدليل تفريقهِ بينها بدقَّة ووضوح،بينما لم يُشر الحميري منها إلاَّ إلى واحدٍ فقط،مما يحتملُ معه أن يكون قد خلَط بينها،وينبغي ألاَّ ننسى أنَّ ابن سعيد ممن لا يُشك في معرفتهم بجغرافية الأندلس،فضلاً عن أنَّه أقدم من الحميري،وربما كان ابن سعيد أعرف الناس بجغرافية إقليم جيان بوجه خاص،فهو موطنه وموطن أسرته،فنحنُ نعرف أنَّه من قلعة"يحصب"أو قلعة"بني سعيد"وهي تقع على بعد متوسط بين جيان وغرناطة،ولاشك أنَّ ابن سعيد أعلم بهذه المناطق المجاورة لبلده من غيره من الجغرافيين والمؤرخين."[٤]

وعلى ذلك نرجّح رأي الدكتور محمود مكَّي،نظرًا لتقديمه تحليلاً منطقيًا يجعل من رأي ابن سعيد الأقرب إلى الصَّواب.

أسرته:

تُعد أُسرة ابن درَّاج أُسرة نبيلة ومرموقة،تنتمي إلى قبيلة صنهاجة البربرية،وقد ذكر ابن سعيد أنَّ أُسرة الشاعر قد تداولت على رئاسة بلدة "قسطلة"[٥]؛ولذلك كانت تُعرف باسم قسطلة درَّاج.

---

[١]ابن سعيد المغربي،المُغرب في حُلى المغرب،ج٢،تحقيق شوقي ضيف ،دار المعارف،القاهرة، (د.ت)، ط٤،ص٦٠،(بتصرّف).

[٢]ابن سعيد المغربي،المُغرب في حُلى المغرب،ج١،ص٣٢٨،(بتصرّف).
[٣]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٢٩،(بتصرّف).
[٤]أنظر ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٢.
[٥]ابن سعيد المغربي،المُغرب في حُلى المغرب،ج٢،ص٦٠،(بتصرّف).

مولدهُ و نشأته:

وُلِد ابن درَّاج في شهر محرم سنة ٣٤٧هـ[١]،وعند العودة إلى المراجع التي ترجمت للشاعر نجد أنَّها لا تجود بالشيء الكثير عن طفولتهِ أو المرحلة الأولى من حياته،سوى ماذُكر حول أنّ ولادته كانت في السنوات الأخيرة من خلافة عبد الرحمن النَّاصر أول خلفاء بني أُميَّة(٣٠٠_٣٥٠هـ) وتلقَّى تعليمه في فترة حكم المستنصر(٣٥٠_٣٦٦ هـ)وفي ذلك يقول مُحقِّق ديوان الشاعر الدكتور محمود علي مكّي:"وأغلب الظن أنَّ ابن درَّاج بدأ حياتهُ الدراسية تلميذًا يتردَّد على مجالس الشيوخ وحلقاتهم في جيَان،ولعلَّ دراستهُ في تلك الفترة المبكرة من حياته لم تكن تختلف عمَّا يتلقَّاهُ أمثالُهُ من الصبيان من حفظ للقرآن وإلمام بمباديء النحو واللغة والأدب والأخبار والأنساب والفقه."[٢]

والجدير بالذكر أنَّ تلك الفترة من حياة الأندلس قد شهدت نهضة كبيرة في الحياة العلمية والثقافية،وهو ماانعكس على ابن درَّاج،حيثُ تزوَّد بثقافة لغوية وتاريخية تبدو جليَّة عند الاطِّلاع على شعرهِ.

وعندما نضجت موهبة ابن درَّاج الشعرية اتَّجه إلى العاصمة الأندلسية"قرطبة"وهناك لمع نجمهُ في بلاط المنصور بن أبي عامر،كما حظيَ بمكانة رفيعة لدى ابن المنصور عبد الملك الملقَّب بالمظفَّر.

إلاَّ أنَّ الدهر لم يصْفُ للشاعر فترةً طويلة،حيث قامت الثورة في قرطبة واشتعلت نيران الفتنة البربرية بعد شهرين من تولّي عبدالرحمن بن منصور الحجابة خلفًا لأخيهِ عبدالملك المظفَّر،وقد عانى ابن درَّاج من ويلات تلك الفتنة،الأمر الذي دفعه إلى الخروج من قرطبة ليبدأ مرحلة الضياع والارتحال داخل الأندلس وخارجها متَّخذًا من شعرهِ وسيلة للوصول إلى الحكَّام والأمراء، وظلَّ على هذه الحال حتى وافاه الأجل.

وكانت وفاته في سنة ٤٢١هـ.[٣]

---

[١]محمود علي مكّي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص١٩.

[٢]أنظر ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٦.

[٣]جمال الدين الأتابكي،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،ج٤ ،المؤسسة المصرية العامة للتّأليف والترجمة والطباعى ولنشر،القاهرة،(د.ت)،(د.ط)،ص٢٧٢.

ثانيًا:التّعريف بابن المقرّب العيوني.

اسمه:

اختلف الرواة في ترتيب سلسلة أجداد الشاعر[١]،وتعدّدت الروايات في هذا الشأن،إلا أنّه يمكننا الوثوق برواية ابن الشعّار الموصلي؛لأنه الراوي الوحيد الذي ذكر أنّه التقى بابن المقرّب وأنّه خلال لقائِه به أملى عليه نسبه من حفظه.

وعلى ذلك يكون اسمه"علي بن المقرّب بن المنصور بن المقرّب بن الحسن بن عزيز بن ضبَّار بن عبدالله بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد،أبو عبدالله الربعي البحراني العيوني".[٢]

لقبه و كنيته:

لم يختلف الرواة في نسب الشاعر فحسب وإنما أيضًا اختلفوا في لقبه وكنيته،حيث عُرف بخمسة ألقاب هي:جمال الدين،وكمال الدين،وموفّق الدين،ومهذّب الدين،ونور الدين.

كما كُني بأربع كُنى هي:أبو عبدالله ،وأبو الحسن،وأبو منصور ،وأبو القاسم.

ويمكننا أن نُرجّح أن يكون لقبه جمال الدّين،وكنيته أبو عبدالله،على اعتبار أنّ أغلب من ترجموا له لقبوه بجمال الدين،حيث ورد هذا اللقب في نسخة ديوانه_طبعة الهند_،ومخطوطات الموصل، وكنَّوه بأبي عبدالله نحو ابن الشعّار الموصلي،وابن النجّار ،وابن الدّبيثي،كما وردت هذه الكنية

---

[١]للمزيد من التفاصيل زكي الدّين المنذري،التكملة لوفيات النقلة،المجلّد ٣،تحقيق بشّار عوّاد، مؤسسة الرسالة،بيروت ، ١٩٨٤،ط٣،ص٣٢٥.

وخير الدّين الزّركلي، الأعلام،ج٥،دار العلم للملايين،بيروت،٢٠٠٢،ط١٥،ص٢٤.

وصلاح الدين بن خليل الصّفدي، الوافي بالوفيات،تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى،ج٢٢ ،دار إحياء التراث العربي،بيروت،٢٠٠٠ ،ص١٣٩.

وياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٤،ص١٨١.

و علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،تحقيق وشرح عبدالفتاح الحلو ،مكتبة التعاون الثقافي،الأحساء ، ١٩٨٨،ط٢،ص٤.

[٢]أنظر كمال الدّين بن الشعّار الموصلي،قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان ،تحقيق كامل سلمان الجبّوري، ج٥ ،دار الكتب العلمية،بيروت، ،٢٠٠٥،ص٦٦.

أيضًا في نسخة ديوانه بمكتبة برلين،و نسخة ديوانه _طبعة الهند_ ،وبذلك يمكننا الارتياح لهذا اللقب وهذه الكنية.[١]

أسرته:

ينتمي الشاعر إلى الأسرة العيونية التي حكمت الأحساء و سائر بلاد البحرين بعد إزالتها لحكم القرامطة، من سنة ٤٦٦هـ إلى سنة ٦٣٦هـ،وينتهي نسب هذه الأسرة إلى ربيعة بن نزار.[٢]

"وكانت البحرين تمتدُّ قديمًا من البصرة وما جاورها شمالاً،إلى عمان ورمال الربع الخالي جنوبًا، وتنتهي حدودها الشرقية عند الساحل الغربي للخليج العربي مع بعض الجُزر في هذا الخليج."[٣]

أمّا مؤسس الدولة العيونية فهو عبدالله بن علي(الجد السادس للشاعر)،وقد توارث الحكم بعد وفاته أبناؤه الفضل بن عبدالله و علي بن عبدالله و أحفادهم ،في حين لم يكن ابنه الثالث ضبّار ابن عبدالله ذا حظٍّ كبيرٍ في الحكم؛ ولأنّ ابن المقرّب من سلالة ضبّار بن عبدالله ترتّب على ذلك عدم مشاركته لأبناء عمومته بشكل مباشر في الحكم.

مولده ونشأته:

ولد في بلدة العيون بالأحساء سنة ٥٧٢هـ ويؤكد ذلك ابن الشعّار الموصلي الذي قال نقلاً عن ابن المقرّب:"أخبرني أنّه ولد في سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة".[٤]

كما يؤكد ذلك من عاصرهُ من المؤرخين أمثال المنذري[٥]وابن الفوطي.[٦]

---

[١]سامي جاسم المناعي،ابن المقرّب العيوني شاعر الخليج العربي في العصور الإسلامية"حياته وشعره"، القاهرة،مطبعة الجبلاوي ،١٤٠٢_ ١٩٨٢ ،ص٤٠،(بتصرّف).

[٢]علي عبدالعزيز الخضيري،علي بن المقرّب العيوني(حياته و شعره)،رسالة دكتوراه،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ١٩٨١ ،ص٦٢،(بتصرّف).

[٣]أنظر المرجع نفسه،ص١٣.

[٤]أنظر كمال الدين بن الشعار الموصلي،قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان،ج٥،ص٦٦.

[٥]زكي الدين المنذري، التكملة لوفيات النقلة،المجلد٣، ص٣٢٥

[٦]عبدالفتّاح الحلو، مقدمة ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٩ نقلاً عن (تلخيص مجمع الآداب).

ولا تُعطي كتب التاريخ والتراجم معلومات مفصّلة حول الفترة الأولى من حياة الشاعر وبالتحديد منذ مولده وحتى مطلع القرن السابع الهجري_وبلوغهِ الثلاثين من عمره_حيث تُعدُّ تلك الفترة من حياة الشاعر صفحات مجهولة أو شبه مجهولة في بطن التاريخ.[١]

غير أنَّه يمكن القول أنَّ شاعرنا قضى معظم حياته في البحرين من خلال حنينه الدائم في شعره إلى أيّام اللّهو والصبا التي قضاها في بعض الأماكن في البحرين نحو قوله:[٢]

رعى الله الثّليم وساكِنِيْــهِ وأجزاعًا تكنّفهــا الثّلام

فمسْرحُ لذَّتي ومراحُ لهْوي هُنالِكُمُ وجِيْرَتِي الكِــرَامُ

وعُرف ابن المقرّب بعلو الهمة،والاعتداد بالنفس،والطموح العالي،والرغبة في فترة من فترات حياته بالوصول إلى الحكم،وهو أحد الأسباب التي دفعت بأمراء الأسرة العيونية إلى معاداتِهِ، ،خاصةً بعد أن عَمِد إلى انتقادهم وانتقاد أسلوبهم في التعامل مع الأعداء الطامعين،وقد استغلّ الوشاة ذلك لتحريض أمراء الأسرة العيونية عليه فعمدوا إلى تدبير الحيل والمكائد ووضع العديد من العقبات في طريقه،وتولّد عن ذلك الكثير من العوامل التي كان لها تأثيرها في حياة الشاعر ومن بينها الاستيلاء على أمواله وممتلكاته،وهو ما سنورده بالتفصيل في حينه إن شاء الله.

ونتيجة لتضييق أبناء عمومته عليه تحوّلت حياته إلى سلسلة من الرحلات التي كان يتنقّل خلالها داخل إقليم البحرين و خارجه،وقضى جُزءًا كبيرًا من حياته وهو يتردّد على وطنه"البحرين" ويعمد إلى استعطاف الأمراء العيونيين ومطالبتهم باستعادة أمواله وممتلكاته.

وفاته:

قيل إنّه تُوفي في سنة٦٢٩هـ وهو ماذهب إليه المنذري حيث قال:"وفي هذه السنة أيضًا توفي الأديب الفاضل أبو عبدالله ويقال:أبو الحسن علي بن المقرَّب....بالبحرين"[٣]

---

[١]سامي جاسم المناعي،ابن المقرّب العيوني"شاعر الخليج العربي في العصور الإسلامية"حياته وشعره"، ص٤٠وص٤١،(بتصرّف).

[٢]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٥٦٣،و الثّليم موضع بالصّمّان وهي قرية تقع في جنوب جبل الدخان من جزيرة البحرين.

[٣]أنظر زكي الدين المنذري،التكملة في وفيات النقلة،المجلد٣،ص٣٢٥

وقيل:سنة ٦٣٠هـ وهو ما ذهب إليه ابن الشعَّار الموصلي حيث قال:"وتوفي به_يعني موضعًا بالأحساء يُقال له العيون_في آواخر المحرَّم سنة ثلاثين وستمئة."[١]

وقيل:سنة ٦٣١هـ وهو ماذهب إليه ابن النَّجار في قولهِ:"بلغنا أنَّه توفي بالبحرين سنة إحدى وثلاثين وستمئة."[٢]

ويُمكن في هذا الشأن القول بأنَّ الرواية الصحيحة محصورة بين روايتي (المنذري)و(ابن الشعَّار) وذلك لمعاصرتهما الشاعر،وعند المفاضلة بين الروايتين يمكن ترجيح رواية ابن الشعَّار الموصلي لكونها أكثر تحديدًا،حيث حدَّدت الوفاة في أواخر شهر محرَّم كما حدَّدت المكان في البحرين وهو "بلدة العيون".

[١]أنظر كمال الدّين بن الشعار الموصلي،قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان،ج٥،ص٦٦وص٦٧.

[٢]أنظر زكي الدين المنذري،التكملة لوفيات النقلة،المجلد٣،ص٣٢٥ضمن تعليقات الأستاذ بشار عواد.

ثانيًا:العوامل المؤثرة في حياتهما.

_عوامل اختلف فيها الشاعران.

الفتنة البربرية في حياة ابن درّاج.

من العوامل التي دفعت ابن درَّاج إلى أن يحيا حياةً ينقصها الاستقرار المادي والنفسي انتماؤهُ إلى أسرة حاكمة تداولت على رئاسة بلدة قسطلة بالأندلس،إلا أنَّ هذه الرئاسة و حياة الرّفاهية والسيادة لم تدم طويلاً بعد أن اشتعلت نيران الفتة البربرية،وانتشر الظلم والفساد والعصبية القبلية التي دفعت كل طائفة إلى التعصُّب لأميرها،ونتيجة لذلك تحوَّلت حياة ابن درَّاج إلى سلسلة من الرحلات داخل حدود الأندلس وخارجها،خاصةً بعد أن سيطر عليه الخوفُ من الفقر والضياع.

ولأنَّ الفتنة البربرية كان لها التَّأثير الأكبر على حياته، لابد من تسليط الضوء عليها.

فبعد وفاة مؤسس الدولة العامرية بالأندلس "الحاجب المنصور بن أبي عامر"تولَّى الحكم ابنه عبدالملك المُظفَّر،وشهدت الأندلس خلال فترة توليه الحكم ماشهدته خلال ولاية أبيه من استقرارٍ سياسي واجتماعي،وازدهار ثقافي وحضاري،وكان ابن درَّاج نتيجة لذلك ينعم بالاستقرار والاطمئنان،وبعد وفاة الخليفة عبدالملك المظفَّر خلفهُ أخوه عبدالرحمن بن المنصور المعروف بلقب"شنجول"،وقد قامت الفتنة البربرية بعد شهرين من توليه الحكم بسبب إصرارِهِ على الخروج على رأس غزوة لمحاربة النصارى في قشتالة،فانتهز الأمويون فرصة غيابهِ عن قرطبة وقاموا بوضع خطة للإطاحة به وبرجاله،وتمكَّن محمد بن بن هشام بن عبدالجبار المُلقَّب (بالمهدي) من قتله ليتولّى الحكم بعده،ولكنَّ حكمه لم يدُم طويلاً بسبب مناصبتهِ العداء للبربر،وذلك عندما"قرَّرَ إخراج البربر الذين كانوا في خدمة المنصور من قرطبة،فرفض هؤلاء الخروج وبدأ الصراع بين البربر والأندلسيين في عاصمة الخلافة"[1]ووقعت الأندلس ضحية لتلك الفتنة،وانقسمت الدولة إلى دويلات متناحرة بسبب الصراع على الحكم.

وكان لذلك كله تأثيره على حياة ابن درَّاج التي اتّسمت بالضياع وعدم الاستقرار.

وفي أثناء تنقلاته اتّجه إلى مديح الملوك بحثًا عن العطايا و الأمن والمكانة الرفيعة في ظل أحدهم.

[1]أنظر حسين مؤنس،معالم تاريخ المغرب والأندلس ،دار الرّشاد،القاهرة ، ١٩٩٧ ،ص٤١٠.

_ابن المقرّب وحياة الحرمان.

بعد وفاة عبدالله بن علي الجد السادس لعلي بن المقرّب و مؤسس الدولة العيونية،توارث الحكم أبناؤه الفضل بن عبدالله و علي بن عبدالله وأبناؤهم وأحفادهم،في حين كان الشاعر علي بن المقرّب من سلالة الابن الثالث لمؤسس الدولة العيونية" ضبّار بن عبدالله"،و يبدو أنَّ حظ ضبّار في الحكم كان باهتًا،حيث لا يوجد ما يُشير إلى مشاركته في الحكم سوى ما يُروى من أنّ الحسن بن عزيز بن ضبّار وولديه"المبارك و المقرّب"قد تولوا الإمارة،وقد وضّح الدكتور علي الخضيري ذلك بقوله:"ولعلَّ مشاركتهم في الحكم كانت مقتصرة على ولاية بلد صغير أو قرية تحت حكم الأمراء العيونيين المعروفين من سلالة الفضل بن عبدالله أو علي بن عبدالله،ولا يُستبعد أن يكونوا قد توارثوا إمارة ذلك البلد أو تلك القرية فترة من الزمن".[١]

وهذا يعني أنّ حكمهم كان جزئيًّا وليس كليًّا.[٢]

وكانت علاقة ابن المقرّب العيوني بأبناء الفضل بن عبدالله علاقة وثيقة حيثُ خصَّهم بالعديد من قصائدهِ في المديح والفخر.

وكانت قصائده في مديحهم والفخر بهم بمثابة دعم لحكمهم وإعلان عن الولاء لهم،وهو ما دفع بآل علي بن عبدالله إلى الحقد عليه واعتباره عدوًّا لهم،وما أن تولَّى آل علي حكم الأحساء وتحديدًا الأمير محمد بن علي بن عبدالله حتى صادر أموالهُ وأودعهُ في غياهب السجن.

وممَّا يدُل على أنَّ ولاءه و محبته لآل الفضل كانت سببًا في حقد أبناء عمه علي بن عبدالله عليه ومناصبتهم العِداء له عند توليهم الحكم،قوله في إحدى قصائده مُعاتبًا آل الفضل بسبب تخلِّيهم عنه:[٣]

بلى إنَّني قاسيتُ فيكم مصائبًا تهُدُّ القُوَى إذ أدرَكَ الثّأرَ طالِبهْ

ولولا هواكُم ما شَقِيتُ ولا غَدَا يَصُكُّ برجلي القَيدَ مَن لا أُشَاغِبُهْ

ولا اجتَاحَتِ الأعداءُ مالي ولا انبَرَى يُطَاولُني من ليس تُحصى معائِبُهْ

---

[١]أنظر علي عبدالعزيز الخضيري،علي بن المقرّب العيوني(حياته و شعره)،ص٧٠و٧١.

[٢]عبده عبدالعزيز قليقله،التجربة الشعرية عند ابن المقرّب ،النادي الأدبي،الرياض ، ١٩٨٦ ، ص٢٦، (بتصرّف).

[٣]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٦١و٦٢.

وبعد خروج ابن المقرّب من السجن تحَّولت حياته إلى سلسلة من الرحلات التي تنقَّل خلالها بين البحرين والعراق،حيث خرج إلى العراق ومكث فيها أشهرًا معدودة،وبعد أن تولَّى حكم الأحساء الأمير محمد بن ماجد _وهو من آل الفضل_ عاد إلى البحرين [١]وأنشدهُ قصيدة يستعطفه من خلالها و يُطالبه بأن يردَّ إليه أمواله وقال فيها:[٢]

فَصُن حُرَّ وجهي عن سُؤَالٍ فإنَّــهُ عَلَيَّ ولو عاشَ ابنُ زائِدةٍ صَعبُ

وَرُدَّ كثيــرًا مِن يَسِيرٍ تُقِت بـــهِ فِرَاخًا قَدِ استولى على رَبعِهَا الجَدبُ

وقد وعدهٌ الأمير محمد بن ماجد بأن يرُدَّ إليهِ بعض أملاكهِ،ولكنّه لم يفِ بوعده له بسبب الوِشاة الذين صَوَّروا له بأن ابن المقرَب يطمع في الحصول إلى الحكم،فخاف ابن المقرّب على نفسهِ وخرج إلى القطيف و قام بمدحِ واليها فَضل بن محمد،إلاَّ أنَّه لم يحظَ منه بطائل فعَادَ إلى الأحساء وابتعد عن الأمير محمد بن ماجد و توقَّف عن مطالبته باستعادة أمواله وممتلكاته.[٣]

ثم قُتِل الأمير محمد بن ماجد على يد الأمير أبو القاسم محمد بن مسعود بن محمد بن علي الذي تولَّى الحكم في الأحساء[٤]،فمدحه ابن المقرّب غير أنَّ مديحه له لم يدُم طويلاً،نتيجة لعدم رضاه عن طريقته في الحكم،فعَادَ إلى العراق ليتولَّى بعد ذلك حُكم الأحساء الأمير علي بن ماجد بن محمد بن علي بن عبدالله بن علي بن ماجد[٥]،مما دفع ابن المقرَّب إلى العودة من العراق ومدحهِ بقصيدة، ثم بعد ذلك خرج هذا الأمير من البلاد لِيتولَّى الحكم بعده الأمير مُقدَّم بن غُرَير بن الحُسين بن شكر بن علي بن عبدالله بن علي،ولم يمدحه ابن المقرّب بسبب سوء أخلاقه ممّا دفعه إلى مغادرة الأحساء مرة أُخرى إلى العراق[٦].

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،مقدمة ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٧،(بتصرّف).

[٢]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٣٥،وابن زائدة هو مَعَن بن زائدة اشتُهِر بالجُودِ والشجاعة.

[٣]علي بن المقرّب العيوني،مقدمة ديوان ابن المقرّب،ص٨وص٩،بتصرّف).

[٤]المصدر نفسه،ص٩،(بتصرّف).

[٥]المصدر نفسه،نفس الصفحة،(بتصرّف).

[٦]علي بن المقرّب العيوني،مقدمة ديوان ابن المقرّب،ص٩وص١٠،(بتصرّف).

وخلال الفترة التي ساءت فيها علاقة ابن المقرَّب بآل الفضل بن عبدالله نتيجة تخلّيهم عنه وعدم مساعدته في استعادة ممتلكاته،نظم الشاعر قصائد أبدى فيها رغبته في الوصول إلى الحكم نحو قوله مخاطبًا نفسه:[1]

ذَرِيني والملــوكَ بكُـــلِّ أرضٍ أُكابِلُها الرَّدى صَاغًـــا بِصَـــاعِ

فمـا أيمـــانُهم تغلُــو شِمــالي ولا أبواعُهُــم تعـــدو ذِرَاعـــي

دعيني أركــبُ الأهــوالَ إنّـــي رأيـــتُ ركـــوبها فـــيهِ اتِّداعِـــي

فإنَّ بِأرضنـــا بقـرًا شِبَـــاعًـــا ولكـــن بيـــنَ آســادٍ جِيـــاعِ

تقُارعــنِي الحــوادثُ عن مُــرَادي وأرجـــو أن يُذلِّـلَـها قِـــراعِـــي

سأطلُـــبُ حـقَّ آبائــي وحقِّـــي ولو من بيـــنِ أنيـــابِ الأفاعـــي

وإنَّ الموتَ فـي طلبِ ارتفـــــاعٍ لـــديَّ ولا حيـاتي فـــي اتِّضـاع

ونظم قصائد أعلن فيها ندمهُ الشديد على مدحه لأبناء عمومته واصِفًا حكمهم بالضعف الشديد وأنَّه لِضعفِهِ أوهن من بيت العنكبوت،و موجهًا سهام النقد لأسلوبهم في الحكم بقوله:[2]

فَيَا ضيعةَ المدح الذي سَـارَ فيكُـمُ على ألسُـنِ الرَّاوِينَ سيرَ الكواكِـــبِ

أَغَرَّكُم دهـرٌ خسيسٌ أحَلَّـــــكم مراتِبَ مـا كانت لكم مِن مراتـــبِ

تظُنُّـونها أهـرام مصرَ وإنَّهـــا لأوهى بناءً من بيـــوتِ العنـاكبِ

أَشَريًاعلى الأدنى وَأَريًاعلى العِـدى وذُلاً لذي صِـــدقٍ وعِزًّا لِـــكاذِبِ

تعِستُم و أدَّى الله ما في رِقابكـُم أَمَـا لِإلهٍ فيكـــمُ مِن مُرَاقـــبِ!

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٢٦٦_٢٦٩،والاتّداع:الهدوء والسكينة،والقِراع:المُجالدة بالسيوف.

[2] المصدر نفسه،ص٧١_٧٣والشَّرى:الحنظَل،والأرى:العسل.

وهناك قصائد أشار فيها إلى مناصحته لهم بعد تعاظُم الصراع على الحكم،وهو الأمر الذي لم يأتِ بنتيجة معهم.

كم لُمتُ قوميَ لا بل كم أمرتُـــهُمُ بِحَسم داءِ العِدَا فيهم فَلـــمْ أُطـــعِ

فَلَم أجِد بعدَ يأسِي غير مُرتحـــلِي عنهُم لِهَـمٍّ أُسلِّيـــــهِ ومُتَّـــــدَعِ[1]

_عوامل اتّفق فيها الشاعران.

أولاً:الرحلات.

بعد وقوع الفتنة البربرية تحوَّلت حياة ابن درّاج إلى سلسلة من الرحلات بحثًا عن الاستقرارِ والهدوء،وعن حاكمٍ يبلغُ في ظلهِ المكانة الرفيعة التي بلغها في عهد المنصور بن أبي عامر وابنه عبدالملك المُظفَّر.

فغادرَ الأندلس واتَّجه نحوَ سبته التي كان يرأسها علي بن حمود"وقد كانت هذهِ أول رحلة لابن درَّاج خارج حدود الأندلس وآخرها على مايظهر...ولا شكّ في أنَّ سن ابن درّاج_وكان قد قارب الستين سنة_وكثرة أبنائهِ وارتباطه الشديد بوطنه رغم كل مالاقاه فيه كل ذلك لم يكن يسمح لابن درّاج بهجرة طويلة المدى عن الأندلس."[2]

كما أنَّ الشاعر على مايبدو لم يجد هناك مايطمح إليه فعادَ إلى الأندلُس لتشهد العديد من الرحلات التي قام بها ابن درَّاج داخلها.

"وقد تردَّد ابن درَّاج مابين سنتي (٤٠٤هـ_١٠١٤م)و(٤٠٨هـ_١٠١٨م)بين المرية وبلنسية وشاطبة وطرطوشة مادحًا أُمراء هذهِ المدن دون أن يظفر منهم بطائِل."[3]

ثم اتَّجه إلى سرقسطة"ولم يخب أمل ابن درَّاج في هذه المرَّة فقد أُتيحَ لهُ في سرقسطة جوٌ من الاستقرار لم ينعم به منذُ فارق قرطبة في سنوات الفتنة،وفي بلاط التجيبي وابنه يحيى قضى ابن درَّاج نحو عشر سنوات تمتَّع خلالها ببعض الهدوء والنِّعمة."[4]

---

[1]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص،٢٧٨.
[2]أنظر ابن درّاج القسطلي،مقدمة ديوان ابن درّاج القسطلي ،ص٦٧.
[3]أنظر المصدر نفسه،ص٦٨.
[4]أنظر المصدر نفسه،ص٧٢.

ففي خلال هذه الفترة تمكَّن من تحقيق طموحه في بلوغ مكانة رفيعة لدى المنصور منذر بن يحيى التجيبي و أصبحَ الشاعر الرسمي لبلاطه،ومدحه بالعديد من القصائد منها قوله:[١]

أسرى إلى الرَّوعِ فـي تأمِينِ روعتِنا وساوَرَ الموتَ في تمهيدِ محيَانَـا

وأتعبَ الخيلَ إيثـارًا لِراحتِنَـا وفرَّقَ المـالَ إكـرامًا لِمثوانَـا

كأنَّهُ لم يجِد غـيرَ الوغَى وطنًـا ولا سِوَانَـا لِما يحـويهِ خُزَّانـا

وبعد وفاة المنصور بن منذر تولَّى الخلافة بعده ابنهُ يحيى وتوجَّه إليه ابن درَّاج بالمديح،إلاَّ أنَّ العلاقة بينهما لم تدُم على وفاق لفترةٍ طويلة.

والسبب في ذلك قد يرجع إلى شعور ابن درَّاج بأنَّ يحيى بن المنذر لم يعُد يعاملهُ بمثل ما كان يُعاملهُ أبوه.[٢]

ونتيجة لذلك غادرَ ابن درَّاج سرقسطة متَّجهًا إلى مدينة (دانية) وكان أميرها آنذاك مجاهد العامري،وكانت تلك آخر رحلة قام بها داخل الأندلس،حيثُ بقي في كنف مجاهد العامري حتى وافاهُ الأجل.

أمّا ابن المقرّب فتُعدّ رحلاته من العوامل المؤثرة في شخصيته؛لأنَّها أكسبتهُ التَّعرُّف على رجال العلم والأدب في بغداد والبصرة والموصل،و مكَّنتهُ من دخول بلاط الخلفاء،و إنشاد أشعارهِ بين أيديهم،وهو ما أسهم في شهرته لدى ابن الشعَّار الموصلي،وياقوت الحموي وغيرهم ممن شهِد له بالسبق والحذق.[٣]

ومن الشخصيَّات التي كان لابن المقرَّب صِلة بها من أعيان العراق أمير البصرة شمس الدِّين باتكين،وقد مدحهُ الشاعر بلامية مطلعُها:[٤]

سَمَا لك مِن أُمِّ العُبيدِ خَيَـــالُ ودُون لِقَـاها أجـرُعٌ وسَيَـــالُ

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٣٤ و١٣٥.

[٢] المصدر نفسه،ص٧٦،(بتصرّف).

[٣]علي عبدالعزيز الخضيري،علي بن المقرب العيوني(حياته وشعره)،ص٧٨،(بتصرّف).

[٤]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرب العيوني،ص ٤٣٤ والجرعاء:الرملة الطَّيبة المنبت،وسيال جمع سيالة،وهي نبات له شوك أبيض طويل إذا نُزِع خرج منه اللبن،أو الطِّوال من السُمُر.

وكانت علاقة الشاعر بالأمير شمس الدِّين وطيدة حيث خصَّهُ بالكثير من مدائحهِ.

كما اتَّصلَ بملك المُوصِل بدر الدِّين لؤلؤ ومدحه بقصيدة لامية يقولُ في مطلعها:[١]

حُطُّو الرِّحالَ فقد أودَى بِها الرَّحــلُ ما كُلِّفَت سيـــرَهَا خَيـلٌ ولاَ إبِــلُ

وقد أجزل له بدر الدِّين في العطاء،غير أنّه بالرُّغم من ذلك قد هجَاهُ ببيتينِ من الشِّعر علَّق عليهما مُحقِّق ديوان الشاعر بأنَّ الأمير هو الذي طلب منه ذلك دون أن يوضح الأسباب التي دفعته إلى أن يطلب طلبًا كهذا من ابن المقرَّب،ويقولُ الشاعر فيها:[٢]

تَسَلطنَ بِالحَدبَــاءِ عَبــدٌ بِلُؤمِــهِ بَصيرُ بَلَى عـــن نَيلِ مُكرَمَةٍ عَـــمِ

إذَا أيقَـــظَتْهُ لَفظَـــــةٌ عَرَبِيَّــةٌ إلى المجـــدِ قَالت أرمَنِيَّتُهُ : نَـــــمِ

و يُعد الخليفة العبَّاسي النَّاصر لدين الله من أبرز الخلفاء الذين التقى بهم الشاعر في بغداد،حيثُ توجَّه إليهِ ليطلُب منه العون لابن عمِّه الفضل بن محمد بن أبي الحُسين حتَّى يتعقَّب قتَلَة أبيه.

ومدحه بقصيدته الميميَّة التي يقولُ في مطلعها:[٣]

أَمَــارَاتُ سِرِّ الحُبِ مالاَ يُكَتَّـــمُ وأَبيـــنُ شـــيءٍ ما يُجِـــنُّ المُتَيـــمُ

والحائية التي يقول في مطلعها:[٤]

أَرَتها المآقِي ما تُكِــنُّ الجَوانِــحُ فَبُــح فالمُــعَنَّى بالصَّبــابةِ بَائِــحُ

وخُذْ حظَّكَ الأَوْفى مِنَ ٱللهوِ والصّـبَا وغُصْـــنُكَ ريَّانٌ وطَـــرْفُكَ جـــامِحُ

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٤٣٩،والرِّحال :جمع رِحل وهو مركِب للبعير،ويعني بهذا أنَّ السَفر قد أضنَاها.

[٢]المصدر نفسه،ص٥٠٥،والحدباء:المُوصل،وتسلطن:أصبحَ سُلطاناً،وبصير بلى:هكذا في الأصل،ولعلَّها بصير بلا،أي يقول لا،أو بصيرٌ بالبلاء.

[٣]المصدر نفسه،ص٤٤٨،وأبين شيءٍ:أظهرهُ،ويُجن،يستُر.

[٤]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١٢٠

أمَّاالشيوخ فقد التقى في بغداد بالعالم الشافعي مُحب الدِّين الواسطي وقال فيهِ قصيدة بمناسبة خروجهِ إلى الحج بدأها بقوله:[١]

أَلقَـــت إليـــكَ مَقَـــادَها الأيَّـامُ وأَمـــدَّكَ الإجـــلالُ والإعـــظَامُ

ومَشـَى إليكَ الدَّهرُ مِشيَـةَ خَاضِـعٍ وقَـــضَى بِمَـــا تختـــارُهُ العَـــلاَّمُ

والتقى كذلك بابن الشعَّار الموصلي صاحب كتاب"قلائد الجُمَان في فرائِد شعراء هذا الزمان"وقد تحدَّث ابن الشعَّار في كتابهِ عن هذا اللقاء قائِلاً:"شاهدتهُ بمدينة السَّلام سنة ثلاث وعشرين وستمائة،وأنشدني الكثير من قوله،ومُعظم شعره يحفظهُ ويُورده،ولم يتوقَّف في إيرادِه،ولا يجدُ بذلك سآمة ولا ضجر."[٢]

ووصفهُ بقوله:"كان شاعرًا مُجوِّدًا منتجعًا كثير المدح،قليل الهجاء،جيِّد القول متينهُ،قوي اللفظ رصينهُ،وهو أحد الشعراء الموصُوفين المشاهير في عصرنا المعروفين،أقرَّ له بالحَذق آية العراق من ذوي الأدب والعلم،ومذهبهُ في الشعر مذهب الشعراء المُتقدِّمين في جزالة الألفاظ وإبداع المعاني."[٣]

والتقى كذلك بمُحب الدين أبي البقاء العكبري ،وهو أحد علماء الأدب واللغة والفرائض والحساب ببغداد،وأقرّ هو أيضًا لابن المقرَّب بالحذق وشهِد له بالسبق،وفي ذلك يقول ابن المقرَّب مُعتزًا بشهادتهِ له:[٤]

لقد تقَدَّمتُ سَبـقًا مَن تقَدَّمنـــي سِنًّا وأَدرَكَ شَـــأوِي فَـــارِطَ الأُوَلِ

بذاَك قدوةُ أهـلِ العلمِ قاطبـــةً أبو البقاءِ مُحبُّ الدِّينِ يشهـــدُ لي

واتَّصلَ كذلك بالأديب البغدادي ابن نُقطة صاحب كتاب المستدرك الذي ذكر فيه ابن المُقرَّب وأثنى عليه فيه.[٥]

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٥٦٩.

[٢]أنظر كمال الدين بن الشعار الموصلي،قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان،ص٦٧

[٣]أنظر المرجع نفسه،ص٦٧.

[٤]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرب العيوني،ص٣٨٢و٣٨٣،والشأو:المدى والغاية،وفارِط :البعيد.

[٥]فهد بن عوض وريدة،ابن المقرّب العيوني"حياته وشعره"،رسالة ماجستير،جامعة الأزهر،١٩٧٣ ،ص٣٨ ، (بتصرّف).

ثانيًا:مؤامرة الوشاة والحاسدين.

لابد من الإشارة إلى أنّ هذا العامل من أبرز العوامل التي يشترك فيها الشاعران مع المتنبي،فقد عانى المتنبّي من كثرة حُسّاده الذين كانوا يسعون إلى إزاحته من طريقهم عن طريق التّشكيك في أصالة شعره ليصلوا إلى مكانة رفيعة لدى سيف الدولة الحمداني،فاتّخذ المتنبّي من شعره سلاحًا للرّد عليهم ودحض اتّهاماتهم،بالتأكيد الدائم على أصالة شعره بقوله:[١]

أنّا السّابِقُ الهادي إلـــى ما أقولُه إذ القـــولُ قبْلَ القائِليـــنَ مقُوْلُ

وقوله:[٢]

أجِزْنـي إذا أُنْشِدْتَ شِـعْرًا فإنّمـــا بِشِعْرِي أتاكَ المادِحُـــــونَ مُردَّدَا

ودعْ كُلَّ صوتٍ غيرَ صوتي فإنَّني أنَا الصَّائِحُ المحكيُّ والآخرُ الصّدى

وموقف المتنبّي من حُسّاده تظهر فيه الأنا العالية لديه وكبرياؤه الذي يمنعه من الاعتراف بما عاناه بسببهم،لذلك عادةً مايتظاهر بعدم اكتراثه بهم،فمذمّتهم له ماهي إلاّ شهادة منهم على كماله.

وإذا أتتْكَ مذمَّتـــي مِـــنْ ناقصٍ فهي الشهـــادةُ لي بأنّي كامِـــلُ[٣]

وكلامهم فيه ليس له أصل كما أنّ قائليه أيضًا ليس لهم أصل.

وما لِكـــلامِ النّاسِ فيمـــا يُريبُنِي أُصُـــولٌ ولا لِقائِلِيْـــهِ أُصُـــوْلُ[٤]

وهو لايلومهم على حسدهم لأنّ الحسد داء ليس له دواء،وبما أنّه أعلى مكانةً منهم فلن يتوقفوا عن حسده.

أُعادَى على مايُوجِبُ الحُبَّ للفتَـى وأهـــدأُ والأفكـــارُ فيّا تجُـولُ

---

[١]عبدالرّحمن البرقوقي،شرح ديوان المتنبّي،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة،٢٠١٤،ص٩٢٢.
[٢]المرجع نفسه،ص٣٨٣.
[٣]المرجع نفسه،ص٩٤٤.
[٤] أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص٩٢٢.

سوى وجعِ الحُسّـــــاد داوِ فإنّه إذا حلّ في قلْبٍ فليْسَ يحُولُ[١]

كما أنّه لايلومهم على حسدهم لأنّه يعلم بأنّ فضلهُ وعُلوّهُ عليهم جعل منه بالنّسبة لهم عقوبة.

إنِّي وإنْ لمْتُ حاسِـــــدِيَّ فما أُنْكِرُ أنِّي عُقُوبَــةٌ لهـــــمُ[٢]

وكيفَ لا يحسدونَهُ وهو رجلٌ مشهور وله على كُلِّ هامة قدم.

وكيفَ لايُحْسَدُ امرؤٌ علَـــــمٌ لـــــهُ على كُلِّ هامَــةٍ قدَمُ[٣]

وعلى الرّغم من حرصه على إظهار عدم اكتراثه بهم لعُلو شأنه بالنسبة لهم،إلاَّ أنَّ حديثه الدائم عنهم في شعره دليلٌ على شقائه بهم وشقائِه بمحاولاتهم المستمرّة في إفساد علاقته بسيف الدّولة،والتي تكلّلت في النهاية بالنّجاح،فقد بدأ المتنبّي يحس بتغيُّر سيف الدولة من جانبه،ثمّ أصابته خيبة الأمل بعدما اعتدى ابن خالويه عليه بحضور سيف الدّولة،ولم يقتص له،فرأى المتنبّي في ذلك إهانة له،وظلّ الجفاء يكبُر بينه وبين سيف الدولة حتى عزم على الرّحيل،ففارق سيف الدولة نتيجة لكرهه للجو الذي ملأه حسّاده بالحسد والكيد،وجعله يشعر بأنَّ في بقائه خطرٌ عليه وجرحٌ لكبريائِه.

أمّا ابن درّاج فعند انتقاله إلى قرطبة عانى كثيرًا من الدّسائس والتَّحريض والاتهام بانتحال الشعر،حتى يحال بينه وبين النجاح الفني الذي كان يحلم به.[٤]

ففي قرطبة اتَّصل بالحاجب المنصور بن أبي عامر،وقد طمحَ خلال فترة حكمه إلى الشهرة والمال والمنصب،ذلك لأن المنصور بن أبي عامر عُرف باهتمامه بالشعراء وتقريبهِ لهم واستخدام أشعارهم كوسيلة لتأييده،فمدحه ابن درَّاج بالعديد من القصائد،وكانت أول قصيدة مدحه بها تلك التي يقول في مطلعها:[٥]

أضاءَ لها فجرُ النُّهى فنهَــاهَــا عن الدَّنِفِ المُضنَى بِحَرِّ هَواهَا

---

[١]أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،٩٢٢.
[٢]المرجع نفسه،ص١٢٤٢.
[٣]المرجع نفسه،ص١٢٤٢.
[٤]أحمد هيكل،الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،القاهرة،دار المعارف ، ٢٠٠٨، ط١٥،ص٣١٠، (بتصرّف).
[٥]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص١٠والدَّنف: المرض الثقيل.

وضلَّلها صُبحٌ جَلاَ ليـلةَ الدُّجـى وقــد كانَ يَهديــها إلىَّ دُجاهـا

وتابعَ القصيدة مادحًا المنصور بن أبي عامر بقوله:[١]

هو الحاجِبُ المنصورُ والــمَلِكُ الـذي سَعَـــى فتعَـــالى جـدُّهُ فتنَـاهَى

سليلُ الملوكِ الصِّيد مِن سَرْوِ حِميَــرٍ توسَّطَ فـــي الأحسَابِ سَمْكَ ذُرَاهَـا

وقد تسبَّبت هذهِ القصيدة في إثارة الحسد تجاه القسطلي مِن قِبل الشعراء المُحيطين بالمنصور، حيثُ تشكَّلت لديهم مخاوف من أن يبلُغ ابن درَّاج مكانة رفيعة لدى المنصور فيؤثِّر ذلك عليهم، لذلك اتهموا ابن درَّاج بالسرقة والانتحال،ممّا دفَعَ المنصور بن أبي عامر في أحد مجالسه إلى أن يتأكد مِن صحَّة هذا الاتهام من خلال اختبار قدرة ابن درّاج على الارتجال ،وقد نجح ابن درَّاج في أن يقول شعرًا مُرتجلاً بحضور المنصور،وبذلك زالت تُهمة السرقة والانتحال عنه.

ولأنَّ العوامل المؤثرة في حياة الإنسان ليست بالضرورة أن تكون سلبية لتترك أثرها في حياته كان لهذه الحادثة أثرٌ إيجابي على ابن درَّاج على عكس ما أرادَ الوشاة،حيث تمكَّن من تحقيق طموحه في أن يبلغَ مكانةً رفيعة لدى المنصور،بعد أن "أثبته في ديوان شعره،ووصّى له في ذلك المجلس بمائة دينار."[٢]

وأشار ابن درَّاج إلى ذلك الاتهام الباطل في إحدى قصائده بقوله:[٣]

وأشرقَت شاهداتُ الحقِّ تنشُرُ لي نُــورًا غدَت فيهِ أقوالُ الوِشاةِ هَبَـــا

هيهاتَ!أعجَزَ أهلَ الأرضِ أن يجِدُوا للدُّرِّ غيرَ عُبَابِ البــحرِ مُنتسَبَـــا

وحاشَ للوردِ أن يُعْزَى إلى رَمَضٍ وأن يكونَ لهُ غيرُ الربيــعِ أَبَـــــا!

وظلَّ ابن درَّاج يعمل في ديوان المنصور،ومدحهُ بثلاثين قصيدة عُرِفت بالعامريات كانت بمثابة سِجل تاريخي للفترة التي عاشتها قرطبة خلال حكم المنصور بن أبي عامر.

أمّا موقفه من حاسديه فكان قائمًا على البحث عن الحامي الذي يدفع عنه غدرهم.

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٤.

[٢]أنظر المصدر نفسه،ص٤٦.

[٣]المصدر نفسه،ص٣٦٥،وعباب البحر:موجُهُ،و الرَّمض:شِدَّة وقع الشمس على الرمل.

وقدْ وجدْتُ عيـــاذَ اللهِ أمَّنَنِـــــي في ذِمّة المَـــــلكِ المنصورِ ماحزَبَا

مِنْ شرِّ تشْغِيْبِ حُسّادِي إذا حســدوا وشرِّ غاسِـــــقِ أيّامـــي إذا وقبَا

وفلَّ عنِّي أحزابَ العِــدى ملِـــكٌ مُعوّدٌ أنْ يَحُـــــلَّ الجحْفَـــلَ اللجِبَا[1]

إضافةً إلى اشتراكه مع المتنبي في ارتفاع الأنا الشاعرية لديه والتماس العذر لحاسديه على حسدهم له بسبب إبداعه.

حاشَى لِقدْرِكَ أنْ أزْجِيَ الثناءَ لـــــهُ دعْوى وأهْدِي إليـــــهِ الدُّرَّ مُغْتَصَبَـا

لكِنَّـــها هِمَـــــمٌ أنْشَأتَـــها نِعَـمًا تَشَاكَها بِنَفيسِ الْقَـــــــدْرِ فاصْطَحَبَا

ولسْتُ أوَّلَ مَنْ أعْيَـــتْ بدائِعــهُ فاسْتَدْعتِ القوْلَ مِمَّــنْ ظَنَّ أو حَسِبَا

إنَّ امْرِأَ الْقَيْسِ في بَعْـــضٍ لَمُتَّــهَمٌ وفِيْ يَدَيْـــهِ لِواءُ الشّـــــعْرِ إنْ رَكِبـَا

والشِّعْرُ قدْ أَسَــرَ الأعْــشَى وقَيَّــدَهُ خُبْراًوقدْ قِيْلَ والأعْشَـــــى إذا شرِبَا[2]

ففي الأبيات السابقة يؤكد بأنّه من الطبيعي أن يُوجِد إبداعه الشعري الحسد في قلوبهم،شأنه في ذلك كشأن كبار الشعراءالذي تعرّضوا للحسد بسبب إبداعهم.

كما يلجأ أحيانًا إلى دحض اتهاماتهم له من خلال التّأكيد على أصالة شعره كما في قوله:[3]

لا والذي قادَتْ إليـــــكَ هِبَاتُـــهُ مُلْكَ الملـــوكِ وصفوَ طاعاتِ الأمَمْ

لا أقتـــدِي بالخـــــالِفِيْنَ ولا أُرى أسْعـــى لِنَيْلِ رِضَاكَ في أعلى الهِمَمْ

حتّـــى تبيّنَ كيــفَ أثْمارُ النّـــدى عندي وتبْلُــوَ كيـــفَ شُكْرِي للنِّعَمْ

ويُرِيْكَ صدقُ موارِدِي ومصـــــادِري إبطَالَ ما اختلَـــقَ الحسُودُ ومـازَعَـمْ

---

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٦٧.
[2] المصدر نفسه،ص٣٦٥و٣٦٦.
[3] المصدر نفسه،ص٤٢٣.

أمّا ابن المقرّب فقد عانى هو أيضًا من الحسّاد الذين ملأوا صدور أبناء عمومته عليه وأوهموهم بأنَّه يرغب بانتزاع الإمارة منهم،وعلى الرُّغم منْ أنّ ابن المقرّب قد صرّح في إحدى مراحل حياته برغبته في الإمارة والحكم،غير أنّ ذلك كان ردّة فعل منه تجاه أبناء عمومته الذين تخلّوا عنه بسبب استماعهم للوشاة والحاسدين،ورفضهم الاستماع لنصائحه بعد تردّي الأوضاع في الدولة العيونية،ممّا يعني أنّه لم يطمح في السلطة إلاّ بعد دخول الحسّاد بينه وبين أبناء عمومته.

وموقفه مع الحسّاد يختلف عن موقف المتنبّي وابن درّاج،فلم يتوجّه لهم بشعره وإنّما توجّه إلى أبناء عمومته بنصحهم وتحذيرهم منهم،ثمّ عتابه لهم لتصديقهم أقوالهم وتخليهم عنه،ثمّ عزمه على الرّحيل عنهم وهجرهم بعد أن نجح الوشاة والحاسدين في إفساد علاقته بهم.

فنجده ينصحهم في مثل قوله مخاطبًا ابن عمه الأمير علي بن ماجد:[1]

اعْطِف على أحْيَاءِ قومِكَ واحتَمِل ذنْبَ المُسِـــيءِ وكافِ بالإحِسَـانِ

واعْمَل لما يُحْيي العشِيْرَة واطّــرِح قـــــوْلَ الوُشَاةِ فكُلُّ شــيءٍ فـانِ

واعْلَم بأنَّ النَّسْرَ يسقُـــــطُ ريشُهُ حِيْنًا فيُقْعِـــــدُهُ عـــنِ الطَّيرانِ

واحْذر أُصيحَابَ النّصائِحِ واحترِسْ منهُمْ فكلُّهـــم أخُـو كيْسَـــانِ

ويعاتبهم بمثل قوله للأمير فضل بن محمد:[2]

فلا تقْطَعَنْ مابيْننَا مِـــــنْ مـودّةٍ وقُرْبى وخَلِّ الشّعْرَ فالشّعْـرُ كاسِدُ

ولاتنْسينْ مانالنِي فـــــي هواكُـمُ وقدْ ظَفِرَ السَّاعِي وقـــلَّ المُسَاعِدُ

لقدْ كُنْتُ أرجو في جنابِكَ حالَـــةً يمُوتُ لها غيْظًا غيُـورٌ وحاسِـــدُ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٦٤١،وكيسان:اسم للغدر.
[2] المصدر نفسه،ص١٤٧.

وقوله للأمير مقدم بن ماجد:[1]

أأَسْكُتُ عنْ مولى الورَى أم أُعاتِبُهْ وأُهْمِلُ وعـــدِي عندَهُ أم أُطـــالِبُهْ

أرانِي بِأدْنـــى مطْلَبٍ هِنْتُ عِندَهُ وقدْ غرَّقَتْ منْ ليْسَ مِثْلِي مــواهِبُـهْ

ثمّ يعلن يأسه منهم ونيّته بالرحيل في مثل قوله:[2]

سأرْحلُ لا مُسْتوحِشًا لفُـــراقِكُم ولا آسِفـًــا يومًـــا ولا مُتنَدِّمـا

فإنْ حنَّ قلبِي نحوكُم أو شكَا جوىً فصَادَفَ مِـــنْ زُرْقِ الأسِنّـــةِ لهْذَما

وإنْ دمعَتْ عيناىَ شوقـًــا إليكُم فعوّضتُــها مِـن ذلكَ الدّمعُ بالعمَى

وإنْ عارِضَ الرُّكبانِ يسْــألُ عنكُم لِســـاني فـوافيْتُ القيامـــةَ أبْكَما

فما فُرْقَةُ القالِيْنَ عنـــــدِي زرِيّةٌ أُقِيْمُ لهـــا فـي ندْوةِ الحيّ مأتَما

وماخيْرُ أرْضٍ لايـــزالُ كرِيْمُـها مُهانًا ونذْلُ القـــوْمِ فيهـا مُكرّما

واشترك الشعراء الثلاثة في ردّة الفعل تجاه العوامل التي مرّوا بها،فما كان منهم إلاّ أنْ صبُّوا جام غضبهم على الدّهر.

فعاشَ المتنبّي ناقِمًا على زمانه يشكو منه ومنْ أهله ومِن نوائب الأيام نتيجة تعثُّره في بلوغ غاياته وآماله.

فعكس شعره خلاصة تجربته الذاتية في الحياة وماواجهه فيها مِنْ إخفاقٍ وحِرْمان ولّدا في داخله نظرة سوداوية عبّر عنها بكثرة في شعره.

وما الدّهرُ أهلٌ أن تُؤمَّل عندَهُ حياةٌ وأنْ يُشتاق فيهِ إلى النّسْلِ[3]

---

[1]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٥٩.
[2]المصدر نفسه،ص٤٧٢و٤٧٣،اللهذم:القاطع من الأسنة.
[3]أبو الطيب امتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص٩١٤.

فنظرته السوداوية جعلته يرى أنّ الدّهر لايستحق أنْ نعيش فيه الحياة ولا أن نشتاق فيه إلى النّسل لنُسبِّب له الشقاء كما شقينا نحن من قبله.

وفي قوله:[1]

رمانِي الدّهْرُ بالأرزاءِ حتّـــى فؤادي فـــي غِشاءٍ مِنْ نِبَالِ

فصِرْتُ إذا أصابتنِي سِهـــامٌ تكسَّرَتِ النِّصالُ على النِّصالِ

يؤكد توالي الأزراء عليه حتّى اعتاد عليها،وأصبحت السّهام لاتُميِّزُ موضعًا لها تنفُذُ منهُ إلى قلبه فتتكسّر نصالها على النِّصال التي أصابته قبلها.

ويقول أيضًا:[2]

صحِبَ النَّاسُ قبْلنَا ذا الزّمـانا وعناهُم مِـــنْ شانِهِ ماعنَانَا

وتولّوا بِغَصَّةٍ كلُّـــــهم مِنْـ هُ وإنْ سَرَّ بعضَهُـــم أحيانَا

ربما تُحسِـــنُ الصَّنِيْعَ لياليْ هِ ولكن تُكـــــدِّرُ الإحسانا

وله في الزّمان وأهله:[3]

أذُمُّ إلى هذا الزّمانِ أهيلَـــهُ فأعلمهم فدْمٌ وأحزمهُم وغْـــدُ

وأكرمهـــم كلبٌ وأبصرهُم عمٍ وأسْهدهُم فهـــدٌ وأشجعهم قِردُ

وتجدُر الإشارة هنا إلى أنَّ المتنبّي لم يكن في الأصل كارهًا للحياة بل على العكس كان مقبلاً عليها.

ولذِيْذُ الحياةِ أنْفَسُ فـــي النّفْ سِ وأشْهَى مِنْ أنْ يُملَّ وأحْـلَى

---

[1]أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص٩٠٨.
[2]المرجع نفسه،١٤٩٦و١٤٩٧.
[3]المرجع نفسه،ص٣٩٣،وأسهرهم فهد:أي أسهرهم وأيقظهم ينام نوم الفهد،وبه يُضرَب المثل في كثرة النوم،وفدْم:الفدم ثقيل الفهم والغبي.

وإذا الشّيْخُ قالَ أُفٍّ فمــا ملْ لَ حياةً وإنَّما الّضُعْــفَ ملاًّ[1]

ففي الأبيات السابقة نجده يؤكّد أنَّ الحياة لاتُمل وأنّها أعز وأحلى مِنْ أن يمَلّها صاحبها،وحتى الشيخ إذا ضجِر وقال أُف فإنَّ ذلك مِنَ الكِبر والضُّعف وليس منَ الحياة.

ومن هنا يمكن القول بأنَّ التشاؤم قد تولّد في داخله وغلَب على حبّه للحياة بسبب كثرة الخيبات التي تعرّض لها في حياته،حيثُ لم يُحقّق شيئًا من طموحاته،ولم ينل منَ الدّنيا سِوى الآمال والوعود الكاذبة.

وعندما يئسَ منْ تحسُّن أوضاعه صبَّ جامَ غضبه على الدّهر والنّاس.

ومع ذلك لم تتمكّن الخيبات من هزيمة عزيمته فنجده دائمًا مايُردّد في شعره أبياتًا يُشير من خلالها إلى قوة عزيمته وصبره واعتداده بنفسه نحو قوله:[2]

قدْ هوَّنَ الصَّبْرُ عندِي كلُّ نازِلَةٍ وليَّنَ العزْمُ حدَّ المركَبِ الخشِنِ

وقوله:[3]

عِشْ عزيْزًا أو مُتْ وأنتَ كريْمٌ بينَ طعْــنِ القنا وخفْقِ البنُودِ

أمَّا ابن درّاج القسطلي فنتيجة لتقهقر وضعه وتحوّله إلى نازح يتودّد للملوك والأمراء،نجد في شعره شكوى من الدّهر ومن الفاقة والحاجة.

فاتّجه في بعض قصائده إلى إلقاء اللّوم على الدَّهر والنَّاس،مُحمِّلاً إياهم مسؤولية الخذلان الذي عاشه في حياته،ومُتّخذًا خلال ذلك مِن شعره وسيلة للتنفيس عمّا بداخله،الأمر الذي نتج عنه بعض الأبيات الشعرية التي عبّر من خلالها عن نقمته على الدَّهر والنَّاس.

وذلك في مثل قوله:[4]

وإنّ بلاداً أخْرَجَتْنِــــــي لَعُطَّـــــلٌ وإنّ زمانًا خـــــانَ عهدِي لخوَّانُ

---

[1]أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص٩٢٦.
[2]المرجع نفسه،ص١٤٩٢.
[3]المرجع نفسه،ص٣٨٦.
[4]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٨٩.

سلامٌ على الإخوانِ تسْليـــــــمَ آيِـسٍ وسُقْيًا لِدهــرٍ كانَ لي فيهِ إخوانُ

وقوله:[1]

وخَلَتْ بيَ النَّكباتُ ترمِـــــي ناظِري وخواطِـري بنـــوافِذِ النُّشَّـــــابِ

ولكمْ أصَابَتْنِي الخطُـــــوبُ بشِكَّـةٍ تُعْيي التَّجلُّـــدَ فاحْتَسَبْتُ مُصَابِي

غير أنّ كلّ ذلك لم يتمكّن من أن ينال من قوة عزيمته

ولأسْطُــونَّ على الزَّمــانِ بِعَزْمَــتِي ولَأَنْحِيَــنَّ على الْخُطُــوبِ بِكَــلْكَلِي

ولَأَرْمــيَــنَّ مــقاتِـلَ النُّوبِ التي ولِعَــتْ مـــــع المُتَخَلِّـفِينَ بِمقْتَلِـي

بِعَـــزَائِـمٍ لا تَنْثَنِـــى وبصَـــائِرٍ لا تنتــهِي ووسَـــائِلٍ لا تـأْتَـــلي[2]

وظلّت نظرة الأمل هي الغالبة لدى ابن درّاج،فنجد روح التفاؤل تسيطر على شعره مع كل حاكم يقصده كما في قوله في المظفّر محمد بن عبدالملك بن أبي عامر:[3]

فـــآنَ يانفْـــسُ أن تُسَـــرِّي بكُـــلِّ ماشِئْـــتِ أن تُسَـــرّي

وحـــانَ ياعيْـــنُ أنْ تقَـــرِّي بِكُـــلِّ ماشِئْـــتِ أن تقَـــرّي

غَيْـــثُ سحـابٍ غيْـثُ جـودٍ وطِيْـــبُ عَـــرْفٍ وطِيْـبُ ذِكْرِ

وقوله في خيران العامري:[4]

ولاقنَطٌ واليُسْرُ للعُسْـــرِ غالِـــبٌ وفي العـرْشِ ربُّ الخلائِقِ رحْمـــنُ

ولا يأسَ مِـــنْ رَوحٍ وفي الله مطْمعٌ ولابُعْد مـنْ خيْرٍ وفي الأرضِ خيرانُ

---

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٦.
[2] المصدر نفسه،ص٤١٧,٤١٨و كلكلي:الكلكل هو الصدر،و النُّوب:جمع نُوبة وهي النازلة أو المصيبة.
[3] المصدر نفسه،ص٣٠.
[4] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٩٠و٩١.

متى تلْحظُوا قصْرَ المريَّةِ تظْفَروا بِبحْرٍ حصـــى يُمناه دُرٌّ ومَرْجانُ

وتسْتبْدِلوا مِنْ موجِ بحرِ شجاكُـم بِبحْـــرٍ لكُــم مِنْهُ لُجَيْنٌ وعِقْيَانُ

كما تبدو لغة التفاؤل والأمل عند قدومه على علي بن حمود من خلال تصويره له بأنّه هو الذي سيجيرهُ من ألم الغربة وغدر الليالي والأيّام،فهو المستضيف الذي يُحسن إكرام ضيوفه حتى ألفوا النزول في منزله المعروف بكرم صاحبه.

إلى المُسْتجارِ مِنَ المُسْتجِيْـــرِ إلى المُسْتَقَـــالِ مِـــنَ المُسْتَقِيْلِ

إلى المُسْتضَـــافِ المليْكِ العزِيْزِ مِنَ المُسْتَضِيْـــفِ الغرِيْبِ الذَّلِيْلِ

سلامٌ وأنْتَ ابْنُ بِـــــدْءِ السّلا مِ مِـــنْ ضَيْفِهِ المُكْرَمِيْنَ الدُّخُـولِ

غَـــــدَاةَ يُضيـــفُ أهلَ السماءِ إلـــــى منْزِلٍ آلِفٍ للنَّزِيْـــــلِ[1]

أمّا ابن المقرّب فقد فرَض وضعه مع أبناء عمومته الذين لم تلِن قلوبهم عليه يومًا ولم يسعوا إلى إنصافه أن تغلِب لُغة الإحباط والتشاؤم في قصائده على لغة التفاؤل والأمل،فنجد ديوانه مليء بالقصائد التي يشكو فيها من صروف الدّهر ومِن أبناء عمومته الذين لم يجد منهم سِوى الإحباط والشقاء والبُؤس كما في قوله:[2]

بلَوْتُ صُرُوفَ الدّهْرِ كهْلاً ويافِعًا فما ازْدَدْتُ عِلْمًا غيرَ ما كانَ أوَّلا

وألْقَى صُرُوفَ الدّهرِ سِنَّ ابنِ أرْبَعٍ فتحْسَبُنِـــي الأحداثُ عَوْدًا مُذلاَّلا

وقلَّبْتُ هذا الدّهْرَ بطْناً و ظاهِـــرًا فألْفَيْتُهُـــم ذِئْبًـــا وهِرًّا وتتْفُلا

وما اخْتـــــرْتُ خِلاًّ مِنْهُم اتَّقِي بهِ زمانِـــــي إلاَّ اشْتَقْتُ أنْ أتبَدَّلاَ

---

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٧٩.المُسْتقال:المطلوب منه،والمُستقيل:الطّالب.

[2] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٣٦٦،و العود: المُسِنْ مِنَ الإبِل والشاه والتتفُل:الثعلب أو جرْوه.

وقوله:[1]

لحَى اللهُ هذا الدّهْرَ كمْ يسْتفِـــزُّنِي لِخـــوْضِ بِحـــارٍ أو لِشقِّ جِبالِ

يُكلِّفُنِي جرْيَ الجوادِ وقدْ لـــــوى شِكـــالاً علـــى ساقيّا خلْفَ شِكالِ

وقوله:[2]

أَبَـتْ نُوْبُ الأيَّـامِ إلاَّ تمَـــادِيَـا فواشِقْوتَا ما للَّيـــالي ومـــالِيَا

إذا قُلْتُ يومًا حانَ منِهاَ تعطّــفٌ رأَيْتُ زرَايَاهَا تسَامَـى كما هِيَـــا

فليْتَ أخِـــلاَّئِي اللَّذيـنَ ادَّخـرْتُهُم جلاَءً لِهمِّـــي لا علـــيَّ ولا لِيَـا

أقُولُ وقدْ طالَ اهتِمامـــي لِفِتْيَةٍ تسامَـــى إلى غُرِّ المعالي تسامِيَا

إلى مَ بنِي الأعمامِ نُسْقى نِطافَهَا أُجاجًا ويُسْقى الغيْرُ عذْبًا وصافِيَا

وعلى الرّغم من معاناته إلاّ أنّ لغة التحدّي والإصرار ظلّت حاضرة عند الحديث عن نوائب الدّهر التي لم تتمكّن من النّيل من عزيمتهِ وثباتهِ في وجه الخطوب والنوائب.

تُقارِعُني الحـــوادِثُ عنْ مُـرادِي وأرجـــو أن يُذلِّلَهـــا قِراعِـي

وإنّي والعُـــلا فَرَسَـــا رِهانٍ كمـــا أنا والنّـدى أخوا رَضَاعِ

ولسْـــتُ إذا الهُمُـــومُ تأوَّبَتْنِي مُلاقِيْهـــا بِآراءٍ شَعَـــاعِ

ولكِنّـــي سأَلْقَاهـــا بِعـــزْمٍ وباعٍ فـــي المكـــارِمِ أيَّ بـــاعِ[3]

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٣٧١،والشِّكال:الحبل الذي تشد به قوائم الدّابة.

[2] المصدر نفسه،ص٦٥٧وص٦٥٨،و نوُب الأيام:صُرُوفها وحوادثها،و النُّطاف:المياه القليلة،و الأُجاج:الماء الشديد الملوحة.

[3] المصدر نفسه،ص٢٦٨و٢٦٩،والقِراع:المجالدة بالسيوف،وتأوبُني:رجعت إليّ أو أطبَقَت عليّ ليلاً،والآراء الشعاع:المتفرّقة التي لا تجتمع.

وفي قصيدة أخرى يقول:[1]

أتدْري الليالي أيَّ خَصْمٍ تُشَـاغِبُهْ وأيَّ هُمــامٍ بــالزرايـــا تُواثِبُـــهْ

تجَاهلَ هذا الدَّهْرُ بـــي فتَكتَّبَتْ علــيَّ بأنــواعِ البـــلايا كتــائِبُهْ

وظنَّ مُحــالاً أن أدِيـــنَ لِحُكمــهِ لِتبْكِ علــى عقْــلِ المُعنَّى نوَادِبُـهْ

وإنّي وإنْ أبْدَى إصــعْرارًا بِخــدّهِ وأوْجَفَ بي وازْوَرَّ لِلْبُغْضِ جَانِبُهْ

لأَغْضَى علــى بغْضائِهِ وازْوِرَارِهِ وأعجــبُ مِن حُرٍّ كريــمٍ يُعاتِبُـهْ

واستَقبلُ الخطبَ الجـليلَ بثاقبٍ مِنَ العزْمِ يعْلُو لاهبَ النَّارِ لاهبُهْ

ورأْيٍ متــى جــرَّدتُهُ وانْتَضــيْتُهُ وجدت حُسـامًا لم تُفــلَّلْ مضارِبُهْ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٥٢،وتكتَّبت:تهيَّأت،وصعَّر خدَّه:أمالهُ عن النظر إلى الناس تهاوناً مِنه وكبْر،واليهفوف:الجبان.

الفصل الأول

السمات الموضوعية لدى الشاعرين"أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف"

المبحث الأول:الموضوعات الشعرية لدى الشاعرين.

المبحث الثاني:موازنة بين الموضوعات الشعرية وسماتها لدى الشاعرين.

المبحث الأول

الموضوعات الشعرية لدى الشاعرين

أولاً:موضوعات شعر ابن درَّاج القسطلي.

١_المديح.

المديح هو الموضوع الذي يغلب على قصائد ابن درّاج،وهذا أمرٌ طبيعي نتَجَ عن طبيعة المدّة التي قضاها في ظل الدولة العامرية الحافلة بالانتصارات والأمجاد الحربية والسياسية،بالإضافة إلى معاصرتهِ للفتنة البربرية التي أحاطت حياته بالفقر والخوف والقلق والضياع مما دفعه إلى البحث عن الاستقرار و الحماية من خلال مديح الملوك و الأمراء.

ولأن قصائد المديح هي الغالبة على ديوانه،فلن يتّسع المجال لذكرها جميعًا،ولكن سيتم اختيار بعض القصائد لدراسة هذا الغرض لديه.

ويُعد المنصور بن أبي عامر أكثر شخصية خصّها ابن درّاج بالمديح في ديوانه،وعند العودة إلى قصائد المديح التي قالها فيه يتّضح بأنّها كانت نابعة من إعجاب حقيقي بشخصيته،إلى جانب الرّغبة في العطاء،فقد قضى ابن درّاج حوالي ستة عشر عامًا في ظل الدولة العامرية التي حكمها المنصور بن أبي عامر وولديه عبدالملك المظفّر وعبدالرحمن (شنجول)وكان المنصور ابن أبي عامر مثالاً للحاكم الذي شهد عهده استقرارًا سياسيًّا واقتصاديًّا،وفتوحاتٍ حربية ضد الرّوم،وهو ماجعل من دولته أقوى دول الغرب الإسلامي،كما أنّ ابن درّاج قد تمكّن من أن يحظى بمكانة رفيعة لديه،فعاش في ظلّه في نعيمٍ واستقرار،وكان كل ذلك كفيلاً بإعجاب ابن درّاج بشخصه.

وقد أكّد ذلك محقق ديوانه بقوله:"والذي يقرأ شعر ابن درّاج في القائد العامري لا يملك تفكيره من أن يثِب إلى مدائح المتنبّي لسيف الدولة،فهو مدحٌ لايقوم فقط على الطّمع والرّغبة...وإنّما المصدر الأوّل فيه هو شعور قوي من الإعجاب بشخصية الممدوح".[١]

[١]أنظر ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤٨.

أمّا نصوص المديح في ديوانه فقد كانت تدور إمّا حول مدح الممدوح بالقيم والأخلاق الفاضلة،أو مدحه بالانتصارات والإنجازات الحربية.

ويبدو ذلك في مثل مدحه للمنصور بن أبي عامر بقصيدة بثّ فيها المعاني التقليدية للمديح من كرم،وشجاعة ونسَبٍ رفيع قال فيها:[1]

بِمَكَارِمٍ شَهِدَتْ عليْـــــهِ بأنَّـــهُ أنْدَى الـــورَى كفًّا وأطْيَبُ مَحْتِـــدا

وشمائِلٍ لو شـــام رهْبَةَ سَيْفِـــهِ لغدَا لِرِقَّتِهـــا الـــــورَى مُسْتَعْبَـــدَا

بِعزَائِمٍ فـــي الرّوْعِ قحْطانِيـــةٍ تركَتْ ديـــــارَ الشِّرْكِ قاعًـــا فدْفَدَا

ياحَاجِبًا ورِثَ الرِيَاسَةَ والعُـــلاَ والمُلْـــــكَ والإعْظَامَ أمجدَ أمْـــجَدَا

وقوله في قصيدة أخرى مدح فيها المُظفَّر بن عبدالملك، ووصفه فيها بأنَّه الأكثر شجاعةً في ساحات القتال،والأكثر مهابةً،والأكثر صُمودًا عند مجابهة السيوف،وبأنَّهُ أجمل منْ ظلَّلتهُ الأعلام في ساحات المعارك،فكان بذلك سورًا منيعًا للمُلك ورُكنًا للدين:[2]

وأشجعَ مـــــنْ حمَلَتْهُ الخُيـــولُ وأهيبَ مـــــنْ رهِبتـــــهُ الأُســـودُ

وأصْمَدَ مـــــنْ جرَّبتْهُ السُيُـــوفُ وأجمَـــــلَ مـــــنْ ظلَّلَتْهُ البُنُـــــودُ

ومنْ هوَ لِلْمُلْكِ ســـــورٌ منيْـــعٌ ومـــــنْ هـــوَ لِلـــديْنِ رُكـــنٌ مَشيْدُ

ومن الملاحظ في قصائد المديح لديه حرصه على التركيز على صفة الكرم بشكلٍ كبير أكثر من غيرها كما في قوله في إحدى قصائده:[3]

إلَيْكَ سبَقْـــتُ أقـــدارَ الحِمـــامِ وعنْـــكَ هتَكْتُ أسْتـــارَ الظَّـــلاَمِ

وفِيْكَ حمَيْتُ مثْوى النَّومِ جَفْنِـــي وأحْمَيْـــتُ الهواجِرَ فـــــي لِثَامِـــي

---

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج،٤٥٣و٤٥٤،و المحتد:الأصل،وفدفدا:الأرض المستوية.
[2] المصدر نفسه،ص٢٦،والبنُود:الأعلام الكبيرة.
[3] المصدر نفسه،ص٢٢٦وص٢٢٧،والمُدام:المطر الدائم،والجهام:سحاب لا ماء فيه.

ونحْوَكَ جُبْتُ ليْلَ البِيْـــدِ حتّـــى تفجّـــرَ بِالرّيـــــاضِ وبِالمُـــــدَامِ

وفي مأواكَ عـــــادَ شَرِيْدُ رَحْـــلِي عزِيْزَ الجـــارِ مضْـــرُوبَ الخِيَـــامِ

ومِنْ جَدْواكَ رُدَّ دمِـــــــي ولحْمِيْ وما انْتَقَـــــتِ الحوادِثُ مِـنْ عِظَامِيْ

فكَفْكَفْتَ الـــــرّدَى عنِّـــيْ بِكَـــفٍّ تُثِيْرُ الغَيْـــثَ فـــي الغَيْمِ الجَهَـــامِ

وتُظهِر القصيدة السابقة توظيف الشاعر لقصيدة المديح من أجل التّكسُّب،من خلال حرصه على أن تسبق أبيات المديح أبياتًا صَوّر فيها رحلته وما لاقاه فيها من مصاعب ومشاق في سبيل الوصول إلى الممدوح.

وفي قصيدة أخرى يستخدم الشاعرنفس الأسلوب،فيُخصِّص قبل أبيات المديح أبياتًا يستعطف فيها الممدوح من خلال وصف رحلته إليه في الصحراء،وما عاناه في ذلك المكان الواسع المُقفِر من وحدة وسكون جعلت صوته الوحيد الذي تسامرت معه الجِن،إلى جانب مواجهته لحرارة الشمس واستنشاقه للرياح الحارّة في سبيل الوصول إليه.

ولـو شاهَدَتْنـــي والصَّـواخِدُ تَلْتَظي علـــيَّ ورَقـــراقُ السَّـــرابِ يـمـورُ

أسَلِّطُ حـرَّ الهاجِـراتِ إذا سَـــطَا علـى حَرِّ وجهي والأصيلُ هجِيـرُ

واسْتَنْشِقُ النَّكـــباءَ وهـــي بـــوَارِحٌ وأسْتَـوطِيءُ الرَّمْضَاءَ وهـــي تَفُورُ

وللموتِ فـــي عينِ الجـبانِ تَلـــوُّنٌ وللذُّعْـرِ فـي سَمْعِ الجريءِ صَفِيْرُ

لبَانَ لهـا أنِّي مِنَ الْبَيْـنِ جَـــازِعٌ وأنِّي علـى مَضّ الخُطُوبِ صَـبُورُ

أميرٌ على غَـوْلِ التَّـــنائِفِ مالـــهُ إذا ريـــعَ إلاَّ المشْـــرَفِيَّ وزِيْـــــرُ

ولو بَصُرْت بي والسُّرَى جُلُّ عَزْمَتِي وجَرْســـي لِجِنّـانِ الفـــــلاةِ سمـيرُ

وأعْتَسِفُ المَوْمَاةَ في غسَــقِ الدُّجَى ولِلأسَدِ فـــي غِيــلِ الغِيَاضِ زئِيْرُ[1]

ثم ينتقل إلى الممدوح فيغدق عليه صفات المديح من نَّسب رفيع،وحميّة لدين الله مع صفة الكرم كنوع من التلميح للحصول على العطاء.

لقَدْ أيْقَنْتُ أنَّ المُنَى طوْعُ همَّتِـــي وأنّي بِعَطْفِ العامِـرِيّ جدِيْـــــرُ

وأيُّ فتىً للدِّيْنِ والمُلْكِ والنَّـــــدى وتصْدِيْــقُ ظَنِّ الرَّاغِبِيْـــنَ نـــزُورُ

مجِيْرُ الهُدى والدّيْنِ مِنْ كُلِّ مُلْحِدٍ وليْسَ عليْــهِ للظَّـــــلاَلِ مُجِيْـــــرُ

تلاقَتْ عليْهِ مِـــنْ تمِيْــمٍ ويعْرُبٍ شُمُوسٌ تلاَلاَ فـــي العُــلا وبُـــدُورُ

مِنَ الحِمْيَرِيّينَ الذيــنَ أكُفُّهُـــمْ سحَـــائِبُ تهْمِـــي بالنَّـدى وبُحُــورُ[2]

وفي قوله:[3]

ولديّ للمنْصُوْرِ شُكْــرُ صنـــائِعٍ تنأَى الرّكـــابُ بعِبْئِـــها المُتحمَّــلِ

بِكرَائِمٍ لـــــمْ تُمْتَهَـــــنْ وعقَائِلٍ لم تُمْتَثَلْ ومصُوْنَـــــةٍ لـــــمْ تُبْتذَلِ

صرّح بأنّه يقول المديح شُكرًا على مانالله من الممدوح من عطايا.

هذا فيما يخُص مديحه لممدوحيه بالقيم والأخلاق الفاضلة،أمّا مديحه لهم بالانتصارات والإنجازات الحربية فتبدو في مثل قصيدته التي توجّه فيها بالمديح إلى المنصور بن أبي عامر لتجهيزه الجيوش إلى زيري بن عطيّة زعيم قبيلة مغراوة البربرية فاستهلّها بقوله:[4]

لكَ اللهُ بالنَّصْرِ العزيـــزِ كفِيْلُ أجَدَّ مُقَـــامٌ أمْ أجَـــــدَّ رحِيْـــــلُ

---

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٢٩٩و ص٣٠٠،و الصَّواخد:من صدخته الشمس أي أحرقته،و يمُور:مارَ الشيء أي تحرذَكَ وتدافع،والنكباء:الريح التي تجري بين الصبا والجنوب،و البوارح:الرياح الحارة في الصيف.

[2] المصدر نفسه،ص٣٠١.

[3] المصدر نفسه،ص٤١٩.

[4] ابن درّاج الشطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣.

ثم ينتقل إلى وصف جيش الممدوح بأنَّه جيش كبير ترهبُه أمواج البحر ،وتبدو سفنه خلالها كالخيول التي تحمل الفرسان وتقطع بهم الأمواج في قوله:[١]

تحمَّلَ منْهُ البحْرُ بحْرًا مِنَ القَنَا يروعُ بهـــا أمـــواجَهُ ويهُـــولُ

بِكُلِّ مُعالاَةِ الشِّـــرَاعِ كأنَهـــا وقدْ حمَلَتْ أُسْدَ الحقائِـــقِ غِيْـــلُ

إذا سابَقَتْ شأْوَ الرِياحِ تَخَيّلَـتْ خُيُولاً مـــدى فُرْســـانِهِنَّ خُيُـــولُ

ويُتابع وصف الجيش وسفنه حتّى يصل إلى شرح أسباب المعركة ونتائِجها ووقعها على الأعداء ،مُبيّنًا بأنّها معركة لم تقُم على الظُلْم والطمع،وإنّما كانت لمواجهة جيش النفاق ونصرة الدين.

كتائِبُ تعْتَـــامُ النّفـــاقَ كأنّهـــا شآبيْبُ في أوطانِـــــهِ وسيُـــولُ

وبِيْضٍ تركْنَ الشِّرْكَ في كلِّ مُنتأىً فُلُوْلاً ومـــا أزْرَى بِهِـــــنَّ فُلُـــوْلُ[٢]

ثم ينتقل إلى مدح الممدوح بالصفات التقليدية في قوله:[٣]

جوادٌ لهُ منْ بهْجَةِ العِزِّ غُـــرَّةٌ ومنِ شِيَمِ الفضْلِ المُبيْـنِ حُجُـــولُ

يصُولُ بسيْفِ اللهِ عنَّا وإنّـــما بهِ السيْف في ضَنْكِ المقامِ يصُـوْلُ

ويخرُج ابن درّاج عن الإطار التقليدي للمعاني من خلال تشخيصِهِ للطبيعة وتصوير فرحها بانتصار المنصور في قوله:[٤]

ليزْهُ بهِ بحْرٌ كـــأنَّ مُـــدُوْدَهُ نوافِلُ مِنْ معْرُوفِـــــهِ وفضُـــوْلُ

ويارُبَّ نجمٍ في الدُّجى وُدَّ أنّـــه من المركبِ الحـــــاوِي سنَاهُ بدِيْلُ

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٥،و غيل:موضع الأسد.
[٢]المصدر نفسه،ص٦و٧،و شآبيب:الدُّفعة من المطر
[٣]المصدر نفسه،ص٧.
[٤]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٨.

كما مدح المنصور بن أبي عامر بقصيدة أخرى بمناسبة انتصاره على مملكة"ليون":[1]

ياقائِدَ الخيْلِ العِتــاقِ كأنَّمَــا عَزَمــاتُـهُ أرْمـاحُهَــا وشِفَارُهَــا

لَيثٌ يُخَاطِرُ فــي المَكَرِّ بِنَفْسِهِ هِمَمٌ عظيـمٌ فــي العُلا أخْطَارُهَــا

أوطَأْتَ أرضَ المُشركِين كتَائِبًا فيهـا وشِيْــكٌ فنَـائُهَا ودَمَــارُهَا

وتَركْتَ أرْضَ لِيُـونَ وهي كَأنَّها لَمْ تَغْنَ بِالأمــسِ القريـبِ دِيَــارُهَـا

مرْفُوعـةً لكَ فـي العُلا أعْلامُهَـا لمَّا غَـدتْ بِــكَ عَـافِيًا آثارُهــــا

وفي قصيدة أخرى مدح سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن النَّاصر"والملقَّب "بالمستعين بالله"وهو الثائر على محمد بن هشام بن عبدالجبَّار الملقَّب "بالمهدي"نتيجة لتماديه في الإساءة إلى البربر،مما دفعهم إلى اللجوء لسليمان وطلب العون منه،فما كان من سليمان سوى الاستجابة لطلبهم حيثُ أعلن الثورة على محمد بن هشام وقاد حرْبًا ضدَّه،انتهت بانتصار سليمان وتنصيبه خليفه لقرطبة،فنظم الشاعر قصيدته التي قال فيها:[2]

هنيئا لهــذا الدَّهــر روحٌ وريحــانُ وللــدِّين والدنيــا أمــانٌ وإيــمانُ

بــأنَّ قعــيدَ الشِّرْكِ قدْ ثُــلَّ عرْشُهُ وأنَّ أمــيرَ المؤمنــينَ سُلــيمانُ

سَمِــيُّ الذي انْــقادَ الأنَــامُ لِأمرِهِ فلمْ يعْصِهِ في الأرضِ إنسٌ ولا جَانُ

وبانِــي العــُلا للمجْدِ غــادٍ ورَائِحٌ وحِلْفُ التُّقى في اللهِ راضٍ وغضْبانُ

بــهِ رُدَّ في جَوِّ الخلافةِ نُــورُها وقدْ أظْلَمَتْ منــها قصـورٌ وأوْطانُ

وقــامَ فقَامــتْ للــمعَالِي معــالِمٌ وللخــيرِ أســواقٌ وللــعدْلِ مــيزانُ

وقد سار الشاعر في هذه القصيدة على المنهج نفسه من حيث استخدامه للمعاني التقليدية في المديح،وتصويره لجيش الممدوح،غير أنّها اتّسمت بإظهار ثقافة الشاعر التاريخية من خلال

---

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن دراج القسطلي،ص٤٠٩و٤١٠.

[2] المصدر نفسه،ص٥٤وص٥٥،و ثُلَّ عرشه:ذهبَ سلطانه،وقعيد الشرك:يقصدبه محمد بن هشام.

الاستعانة بأسماء بعض القبائل العربية،وثقافته الدينية من خلال الإشارة إلى أخوة يوسف الواردة قصتهم في القرآن الكريم،مع اللجوء إلى الغلو في قوله:[1]

ولولاكَ والبِيْضُ التي نهدوا بـــــها لما قامَ للإسلامِ في الأرضِ سُلطانُ

فِللّهِ عزْمٌ ردَّ فـــــي الحقِّ رُوحَــهُ وأوْدَى بِهِ في الأرْضِ زُوْرٌ وبُهْـتانُ

وأصْبَـــحَ أهْلُ الحقِّ في دارِ حقهمْ ونحْنُ لهم في اللهِ أهْـــلٌ وإخْــوانُ

فحمْدًا لمن ردّ النُّفوسَ فأصْبَحَــتْ لهم كالذي كُنَّا وهــم كالذي كانُــوا

وقدْ أَمِنَ التَّثْرِيْبَ إخــوَةُ يوسُـــفٍ وأدْرَكَهُـم للهِ عفْـــــوٌ وغُفْـــرانُ

وحنَّتْ لِداعِي الصُّــلْحِ بكْرٌ وتغْلِبٌ وشفَّعَتِ الأرْحامَ عبْسٌ وذُبْيَـــــانُ

وأُغْمِـــدَ سيْفُ البغيِ عنَّا وعُطِّلَتْ قُيُودٌ وأغْلالٌ وسِجْـــنٌ وسُجَّـــانُ

[1]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٥٨و٥٩.

٢_ الاغتراب والحنين.

كان للفتنة البربرية وماترتَّب عليها من انتشار للظلم والفساد تأثيرٌ كبيرٌ على حياة ابن درّاج،حيث حوَّلته إلى متشرّد يبحث عن الاستقرار المادي والنفسي،وكان نتيجة لذلك صورة لمن عاشوا في اغتراب داخل وطنهم وخارجه.

ولم يحاول ابن درّاج من خلال قصائدة في الاغتراب أن يُسجِّل أحداث الفتنة وتفاصيل حدوثها،وإنّما عمِد إلى تصوير آثارها عليه وعلى أسرته،فكان تعبيره عنها تعبيرًا ذاتيًّامزَج فيه أبيات الشكوى بأبيات الشوق والحنين من منطلق تجربته الشخصية مع الاغتراب الناتجة عن الفتنة.

فنجده يُصوّر في بعض قصائده على سبيل المثال أسباب الإحساس النفسي الدائم بالاغتراب لديه،ذلك الإحساس الذي تولّد في داخله مع اشتعال نيران الفتنة فملأ نفسه بالاضطراب والقلق وجعله يشعر بأنَّه مغترب في كل مكان .

وذلك في مثل قوله:[١]

أهِلَّـــة سَفَــرٍ وقفْــرٍ قَطَعــنَا إليــكَ الشُــهُـورَ والسِنِـــــينَا

نُلاقِـــي السُـيُوف إذا ما فـزِعْنَا ونُسْقَى الحُتُوفَ إذَا ما ظَمِـــيْنَا

فطَوْرًا نرى الْعيْـــشَ ظنًّا كَذُوبًا وطوْرًا نرَى الموتَ حــقًّا يَقِيـنَا

ديارًا تسُــحُّ علــيها الدُّمـــــوعَ وفيــها قُتِــلْنا وفيــها سُبِـــينَا

وفيها صــدَقْنا إليــكَ الرَّجــاءَ وهُنَّ يُرْجِّمْــنَ فِـينا الظُّنـــــونَا

أهِمْــنا بِغُرْبَتِنـــــا أمْ هُدِيْـــنَا ومِتْنَـــا بِكُرْبَتِــنَا أمْ حَيِيْنَـــــا

فإن يَعْجَبِ الدَّهرُ أنَّا صَـــبَرْنَا فَأَعْجــَبُ مِــنْ ذَاكَ أنَّا بَقِيْنَا

فهذه القصيدة قالها الشاعر عند قدومه على المنذر بن يحيى في سرقسطة،وهي من القصائد التي عبَّر من خلالها عن إحساسه بالاغتراب النفسي الذي جعله يشعر بالاغتراب حتى عندما كان

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن دَّاج القسطلي،ص٢٣٣.

داخل وطنه بسبب ما آلت إليه الأمور فيه بعد الفتنة،حيثُ انعدم الأمن وحلَّ مكانه الخوف والقتل والسبي،ووصل الأمر إلى درجة أنَّ البقاء على قيد الحياة أمْرٌ يدعو إلى التَّعجُّب.

وكثيرًا ما كان يلجأ الشاعر إلى أسلوب المقارنة للتعبير عن مدى تأثير الغربة عليه كما في قوله:[١]

ولا حَلْيَ إلاَّ جُمَـــانُ الدُّمُــوعِ يسِـــــيْلُ على كُلِّ خَدٍّ أَسِيلِ

فَبُدِّلْنَ مِنْ بَعْدِ خَفْضِ النَّعِــيمِ بِشَقِّ الْحُزُونِ ووَعْثِ السُّهُولِ

ومِنْ قِصَرِ اللَّيلِ تحْتَ الحِجَالِ بِهَوْلِ السُّرَى تحْتَ ليلٍ طَوِيْلِ

ومِنْ عِلَلِ الماءِ تحْتَ الظِّـلالِ صِلاءَ القلـــوبِ بِحَرِّ الْغَلِيْلِ

حيث عقد الشاعر مقارنة بين حال البلاد قبل الفتنة وبعدها مُشيْرًا إلى تأثير الفتنة،فلم يعُد للنساء حُليٌ سوى الدموع التي تسيل على خدودهنَّ كاللآليء ،وتبدَّل خفض النعيم بالحزن والتَّشرُّد، كما تبدَّلت راحة القلوب باحتراقها من حرارة الحزن.

وفي قوله في مديح المظفر يحيى بن المنذر يعقد مقارنة بين حاله قبل مجيئِهِ إليه وحاله بعد أن نزَلَ في رحابه،حيثُ أصبح الاستقرار والأمن والإكرام بديلاً للتشرُّد والخوف والوحشة والغربة:[٢]

هرَبْنا إليـــــكُم فآويتُمُـــــونا وخِفْنَـــــا الحُتُوْفَ فأَمَّنْتُمـــــونَا

وشرَّدَنَـــا السّيْفُ مِنْ أرْضِـــنَا سِـرَاعًا إلَيْكُـــــمْ فآسيْتُمُـــــونَا

وهـــوَّنَ أقْدارَنا الاغْتـــــراب علـــى كُلِّ خَلْـــقٍ فأكْرَمْتُمُـونَا

وأوْحَشَـــــنَا الدَّهْـرُ فـي كُلِّ بِرٍّ وفي كُـلِّ بحْـــــرٍ فأَنَّسْتُمُـــونَا

وأكثر ماعبّر عنه ابن درَّاج في الاغتراب كان اشتياقه وحنينهِ لأسرته من خلال تصوير مشاهد الوداع،وفي ذلك يقول الدكتور أحمد هيكل:"وأهم تلك الأغراض الفرعية التي يضمَّها الديوان

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٧٨،و أسيل:أملَس،و وعث:وعث الطريق أي وعِر وتعسَّر سلوكه،و عِلل الماء:الشربة الثانية من الماء،و الصِّلاء:الشواء،والغليل:حرارة الحب أو الحزن أو الغيظ.
[٢]المصدر نفسه،ص٥٢٤.

وتتضمنها قصائد المديح،وصف مواقف الوداع وفراق الأهل،...ثم التعبير عن تجارب القلق والغربة والضياع،والإحساس بقسوة الأيام على الأبناء".[1]

فصوّر الشاعر ذلك في إحدى قصائده بقوله واصفًا مشهد وداع بينه وبين زوجته:[2]

ولمَّا تدانَــتْ للــودَاعِ وقــدْ هَفَــا بِصَبــرْيَ مِنْـــهَا أنَّــةٌ وزفيرُ

تُناشِــدُنِي عَهْدَ المَــودَّةِ والهَــوى وفي الْمَهْدِ مَبْغُومُ النِّــداءِ صَغِيرُ

عَيِــيٌّ بِمَرْجُوعِ الخِــطابِ ولَفْظُهُ بمَــوقِعِ أهْــوَاءِ النُّــفوسِ خَبــيرُ

تَبَوَّأَ ممــنوعَ القــلوبِ ومُهّــدَت لـــهُ أذْرُعٌ محْفــوفَةٌ ونُحُـــورُ

عَصَيْتُ شَفِيعَ النَّفْسِ فيــهِ وقَادَنِي رواحٌ لِتَــدآبِ السّـــرَى وبُكُــورُ

وطَارَ جَنَاحُ الشَّوقِ بي وهفتْ بها جوانِحُ مِنْ ذُعْرِ الْفِــرَاقِ تَطِــيرُ

وفي قصيدةٍ أخرى يُصوّر مشهد الوداع بينه وبين زوجته،من خلال التعبير عن لومِها وعتابها له، وشكواها من الفراق الذي يلاحقهم حتى وهم في الاغتراب،حيثُ أصبح الارتحال شيئًا أساسيًّا في حياتهم كما أصبحت الصحاري والبحار بالنسبة لهم بديلة عن القصور والملاعب.

قالت وقدْ مَزَجَ الوداعُ مدامِـــعًا بمدامـــعٍ وترَائِـــبًا بِتَـــرَائِبِ

أَتَفَـــرُّقٌ حتى بِمَنْـــزِلِ غُرْبَةٍ؟ كــمْ نحْنُ للأيَّامِ نُهْبَــةُ نَاهِبِ

فـــي كُلِّ يومٍ مُنْتَــوىً مُتَباعِدٌ يرْمِي حُشاشَـةَ شَمْلِنَــا المُتَقَارِبِ

وتَنَت تُذكِّـــرُ مُقْرَباتِ سفائِنٍ عُذنَا بهــا مِـنْ مُقْفِراتِ سباسِبِ

أيّامَ تُؤنِسُـــنا فلاً وسواحـــلٌ عنْ آنِســاتِ مقاصِرٍ وملاعِبِ[3]

---

[1]أأنظر لأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،أحمد هيكل،ص٣١١.

[2]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٢٩٨وص٢٩٩،ومبغوم:مِن بغَمَ الرجل صاحبه أي لم يُفصح له عن معنى مايُحدِّثه به.

[3]المصدر نفسه،ص١١٠،و سباسب:أرض لا ماء فيها.

ويعمد في بعض الأحيان إلى التعبير عن حزنه الشديد على حالهم كما في قوله:[1]

ظِماءٌ ومايَدْرُونَ في الأرضِ مشْرَبا سِوى كبِدي الحرّى ومُهجتي الظّمْيا

ولا خُلّةٌ إلاَّ الهجيـــــرَ إذا التظَـى فكانَ لهم جمْرًا وكانـوا لهُ شيَّـــــا

وكثيرًا مايشعر بأنّ تضحياته غير كافية لحمايتهم من التشرُّد وتأمين الحياة الكريمة لهم،فيعبَّر عن ذلك من خلال ذكره لزوجتهُ وما لحقها من ذُل،وذِكْره لابنه الرَّضيع الذي عانى قسوة الحياة فلم يجد الرَّاحة في مهدِهِ.

ونجد ذلك في مثل قوله:[2]

شدَّ الجلاَءُ رِحَالَهُـــــم فَتَحَـمَّلَتْ أفْلاَذَ قَــلْبٍ بِالهُـــمُومِ مُبـدَّدِ

وحَدَتْ بهم صَعَقَــاتُ قَلْبٍ شَرَّدَتْ أوطانَهُم في الأرْضِ كُلَّ مُشَرَّدِ

لا ذَاتُ خِـــــدْرِهُمُ يُرَامُ لِوجـهِهَا كِــنٌّ ولا ذو مَهْــدِهِمْ بِمُمَــهَّدِ

وقوله مُعبّرًا عن إحساس أسرته مع التشرُّد ومعاناتهم في الغربة والارتحال:[3]

ولا كَبَنِـي سبـــــيلٍ شرَّدتهـــم عنِ الأوطَانِ قاضــيةُ الْقَضَاءِ

عواصــفَ فِتنَـــةٍ غمَّــت بِغَيْمٍ بَوَارِقُهُ سُيُـــوفُ الاعتِـــدَاءِ

وطَــافَ عليْــهِم طُوفَانُ رَوْعٍ أفَـاضَ بِهِم إلى الْقَفْرِ الْفَضَاءِ

سِهَامُ نَوىً إلـــى بَــرٍ وبَحــرٍ وأَغْــرَاضٌ لِنُشَّــابِ الْبَــلاَءِ

وَمِنْ كَلَلِ السُّتُورِ كِلاَلَ خُــوصٍ وَعَدْنَهُــمُ النَّجَاةَ على النـَّجَاءِ

---

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٣٩،الخُلّة:الطريق.
[2] المصدر نفسه،ص٧٤،و كنٌّ: الكن وقاء كل شيء وستره.
[3] المصدر نفسه،ص٣٢٢وص٣٢٣،و النَّوى:البُعد،وكَلَلِ:اللكلَّة:ستر رقيق مُثقّب يُتوقَّى به من البعوض وغيره،والخوص:ورق النخل،و النّجاء:يقال نجا الرجل أي ما أُلقي عنه من اللباس،وجدعت:قطعت.

وقدْ جَدَعَتْ أُنُوفَ الْعِزِّ مـنهــم خُطُــوبٌ سُمْــنهُم أنْفَ الإِبَاءِ

أمَّا حنينه إلى قرطبة فقد ظلَّ مُلازمًا له خلال غربته من خلال حديثه عن ماضيه السعيد فيها،وكأنّه بتذكّر أيامه فيها يخفّف من مرارة الواقع الذي يعيشه بعيدًا عنها.

"فحين يشعر المرء أنَّ حياته قد قسَتْ عليه فإنّه يجِد مُتنفّسًا بالهروب منها إلى ماضيه...إذ يحس المرء بِثِقل الحياة ومآسيها فيهرب إلى الذكريات الجميلة أو الحزينة".[١]

ويظهر ذلك من خلال ذكره لها في بعض قصائده التي قالها وهو في رحاب المنذر ومنها قوله:[٢]

وامزُجْ بِطِيْبِ تحِيَّتِي غَــدِقَ الحَيَا فاجْــعَلْهُ سَقْيَــا أحِبَّتِي وحَبَــائبِي

عَهْدَاً كَعَهْدِكَ مِن عِهَــادٍ طَالَمَـا كَسَتِ الْبُرُودَ مَعَاهِدِي ومَـلاَعِبِيْ

واجْنَحْ لِقُرْطُبَــةٍ فَعَــانِقْ تُرْبَــهَا عَنِّــيْ بِمِثْلِ جَوانِــحِيْ وَتَــرَائِبِي

وقوله في قصيدة أُخرى:[٣]

يامعْهدًا لم يضِعْ عهْدَ الوفاءِ لــهُ مُكسَّفُ النُّورِ عافي القَدْرِ ضائِعُهُ

ولا ثَنَى عبرَاتِي عــــن تذكُّـرِهِ دهْرٌ تقَارَعُ في صــــدْرِي قوارِعُهُ

حسبيْ ضُلُوعٌ ثَوَتْ فيها مصَـائِبُهُ ومقْلَـــــةٌ ربَعَــتْ فيها مرابِعُهُ

سَقَاكَ مِثْلُ الذي عفّى رُباكَ عسى يُنْبِيْكَ كيْفَ غرِيْبُ الرَّحْلِ شاسِعُهُ

للهِ منْ وطنٍ قلبي لهُ وطَــــــنُ يبْلَى وأبْلَى وما تبْلــــــى فجائِعُهُ

لا يسْأَمُ الدّهرُ منْ شوْقٍ يُطالعُني منْهُ ومِــــــنْ زفْرَةٍ منّي تُطالِعُهُ

---

[١]أنظر عبدالرزّاق الخشروم،الغربة في الشعر الجاهلي ،منشورات اتحاد الكُتّاب العرب،دمشق،١٩٨٢ ، ص٢٤١.

[٢]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٦٧.

[٣]المصدر نفسه،ص١٣٨.

وللشاعر أيضًا أبيات نظمها في الحنين لأيام الصِّبا والشباب مزج فيها بين مشاعره الذّاتية وبين عناصر الطبيعة، كما في قوله:[1]

ويشْفَعُ لي منها إلى الوصْلِ مِفْرَقٌ يُهِلُّ إليْهِ حلْيَـــــها وحُلاهــا

فيا للشّبابِ الغضّ أنْهـــــجَ بُرْدُهُ ويالَرِياضِ اللّهوِ جفَّ سفَاهَــا

وماهيَ إلاَّ الشّمسُ حلَّتْ بِمِفْرقِي فأَعْشى عيونُ الغانِيَاتِ سناها

سلامٌ على شرخ الشّبـــابِ مُرَدَّدٌ وآهًا لوصْلِ الغانِيَاتِ وآهـــــا

[1]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٠و١١،والسفا:هو اسم كل ماتسفي الرّيح أي تحمِل وتذرو.

٣_الفخر.

عادةً يتضمّن الفخر لدى الشعراء معاني الفخر بأقوامهم وأمجادهم،أو الفخر بأحسابهم وأنسابهم.

إلاَّ أنَّه عند مطالعة أبيات الفخر في ديوان ابن درَّاج نجد أنَّها قد خلت من تلك المعاني،حيثُ كانت معاني الفخر لديه تدورحول محورين اثنين هما:

المحور الأول:الفخر بهمَّته وقوَّة عزيمتهِ في مواجهة نوائب الدَّهر.

المحور الثاني:الفخر بشعره.

أولاً:الفخر بهمَّته وقوّة عزيمته في مواجهة نوائب الدَّهر.

ونجد هذا النّوع من الفخر لديه في مثل قوله:[١]

أميرٌ على غَوْلِ التَّنائِفِ مالَهُ إذا رِيعَ إلاَّ الْمَشْرَفِيَّ وزِيْرُ

فقُدْني لكشْفِ الْخَطْبِ والْخَطْبُ مُعْضِلُ وكِلْنِي لِلَيْثِ الْغابِ وهوَ هَصُوْرُ

وله قصيدةٌ أخرى ضمَّنها أبياتًا في الفخر بسعة صدره في مواجهة صُرُوف الدّهر قال فيها:[٢]

وخَلَتْ بيَ النَّكَبَاتُ ترْمِي ناظِرِيْ وخواطِرِي بِنَوَافِذِ النُّشَّاب

ولَكَمْ أَصَابَتْنِيْ الْخُطُوبُ بِشِكَّةٍ تُعْيِيْ التَّجَلُّدَ واحْتَسَبْتُ مُصَابِي

حتَّى تَرَكْتُ الدَّهْرَ وهو لِما بِهِ صبْرًا وغَادَرَنِي السّقَمُ لِمَا بِي

وصَرَفْتُ عنْ صرفِ الزَّمانِ ملاَمَتِي وكَفَفْتُ عنْ سَعْيِ الحسودِ عِتَابِي

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٣٠٠وص٣٠٣،و التنائِف:جمع تنوفة وهي الفلاة لاماء فيها ولا أنيس،و ريَعَ:خافَ،و هصور:الأسد وهو يكسِّر فريسته.

[٢]المصدر نفسه،ص١٦،و النشَّاب:جمع نُشَّابة وهو السهام أو النّبْل،و الشَكَّة:جُرح يسببه دخول طرَفْ أداة حادَّة.

وفي قصيدةٍ أخرى يفخر بهمَّته العالية وعزيمته مُشيرًا إلى أنَّهما سلاحه في مواجهة تقلّبات الزمان:[1]

ولأسْطُــونَّ على الزَّمــانِ بِعزْمَــتِي ولَأَنْحِيَــنَّ على الْخُطُــوبِ بِكَــلْكَلِي

ولَأَرْمــيَــنَّ مــقاتِــلَ النُّــوب التي ولِعَــتْ مع المُتَخَلِّـفِينَ بِمقْتلِــي

بِعَــزَائِمٍ لاتَنْثَنِــي وبصَــائِــرٍ لا تنتــهِي ووسَــائِلٍ لا تــأْتَــلي

وعلى الرّغم من أنّ الشاعر عادةً يقتصد في فخره ولا يعمد إلى الإسهاب،إلاَّ أنَّ الاقتصاد لديه يكمُن في الألفاظ لا المعاني،فهو الأمير في الصّحاري ووزيره السيف الذي يواجه به مخاوفه،وهو من قهر نوائب الدّهر بسعة صدره وقوّة عزيمته،وهو من خاطب الخطوب والمصائب بلغة التّحدي.

ثانيًا: الفخر بشعره.

للشاعر بعض القصائد التي خصَّها بأبياتٍ شعرية في الفخر بشعره،ومن ذلك قوله في قصيدة مدح بها المنصور بن أبي عامر،وفيها يفخر بشعره من خلال وصفه له بأنَّه هدية منه للمنصور وبأنَّ ألفاظه جواهر ثمينة لا يليْقُ بقدرها إلاَّ استماع المنصور بن أبي عامر لها.

هلْ أنتَ مُدْرِكُ آمــالِي فَمُحَيِيْــها ومُبْدِلِيْ في الـوْرَى مِــنْ ذِلَّتِي تِيْـهَا

بِلَحْظَةٍ تَقْتَضِــيْ مِنِّي مَكَارِمَــهَا هَدِيَّةً لــكَ حَــازَ السَّبـقَ مُهْدِيْــهَا

جواهِرًا مِنْ بُحُورِ الْعِلْــمِ لَيْسَ لـها إلاَّ اسْتِــمَاعَكَهَا قــدْرٌ يُسَاويـهَا[2]

وله أيضًا قوله:[3]

هيهاتَ أعجَزَ أهلَ الأرضِ أنْ يجِدُوا للدُّرِّ غيرَ عُبــابِ البحــرِ مُنْتَسَبَـا

وحاشَ للوردِ أنْ يُعْزَى إلى رَمَــضٍ وأنْ يكــونَ لهُ غــيرُ الرَّبيــعِ أبَا

---

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٤١٧،و كلكلي:الكلكل هو الصدر،و النُّوب:جمع نُوبة وهي النازلة أو المصيبة.
[2] المصدر نفسه:ص٩.
[3] المصدر نفسه،ص٣٦٥.

ويتابع في نفس القصيدة فيقول:[١]

حاشَى لِقدْرِكَ أنْ أزْجِيَ الثناءَ لـــــهُ دعْوى وأهْدِي إليـــــهِ الدُّرَّ مُغْتَصَبَـا

لكِنَّـــها هِمَـــــمٌ أنْشَأتَـــها نِعَـمًا تَشَاكَها بِنَفـيسِ الْقَـــــدْرِ فاصْطَحَبَا

ولسـْتُ أوَّلَ مَنْ أعْيَـــتْ بدائِعــهُ فاسْتَدْعـتِ القوْلَ مِمَّــنْ ظَنَّ أو حَسـِبَا

إنَّ امْرِأَ الْقَيْسِ في بَعْـــضٍ لَمُتَّـهَمٌ وفِـيْ يَدَيْـــهِ لِـواءُ الشّـــعْرِ إنْ رَكِـبَا

والشِّعْرُ قدْ أَسَـرَ الأعْـشَى وقَيَّـدَهُ خُبْراً[٢]وقدْ قِيْلَ والأعْشَـــى إذا شرِبَـا

وكيــفَ أظْمَا وبَحْري زاخِــرٌ فَطِناً إلى خيالٍ من الضَّحـْضَاحِ قـدْ نَضَبَا

وفي قصيدة أخرى يقول:[٣]

ولَـديَّ للمـنصورِ شُكْـــرُ صَنائِعٍ تَنْـــأَى الرِّكَـــابُ بِعِبْـــئِهَا المُتـَحَمَّلِ

بِـكرائِمٍ لـــمْ تُمتَـــهَنْ وعـقائِـلٍ لـمْ تُمتَثَل ومَصُـــونَةٍ لـــم تُبـــتَذَلِ

وله قصيدة أخرى يشير فيها إلى أنَّه خصَّ الممدوح بالجديد من المعاني التي لم يسبقه إليها شاعر ،وهي معانٍ لشدَّة جمالها وإبداعها انتشرت في مشارق الأرض ومغاربها فسارت في الظلام بلا نجوم كما انتشرت واهتدت في الصحاري بلا دليل،فيقول:[٤]

إليـــكَ جَلَـــوْتُ أبْكَـــارَ المـعَانِي معَـــاذِيـــرًا بِـــلَألاءِ القُبُـــولِ

سَـــوَارٍ في الظـــلامِ بِلا نُجُـــومِ هَـــوَادٍ فـــــي الفَـــلاَةِ بِـــلاَ دَلِيـلِ

وفي قصيدة أخرى يقول:[٥]

شوارِدُ لولا حِلْـــــمُ يحيى دنَا بِها لجلّـــــتْ أدانِيْها عـنِ الشّمِّ واللمسِ

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٦٥و٣٦٦.
[٢]في جذوة المقتبس:دهْراً.
[٣]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤١٩.
[٤]المصدر نفسه،ص٥٤٠.
[٥]المصدر نفسه،ص٣١٠.

وكمْ فتّقَت في الأرضِ منْ وقْرِ مسْمَعٍ وكمْ أنْطقَتْ بالحمْدِ منْ ألْسُنٍ خُرْسِ

ثناءٌ علـــى منْ ردّ رُوحِـــــي رَوحُهُ وقرّب أنفاسَ الحيـــاةِ منَ النّفــسِ

فشعره لولا مكانة الممدوح لجلّ أقله عن الشمّ واللمس،فهو الشعر الذي أسمع من في أذنه وقْر، وأنطقَ بالحمد من به خرَس،ومن المستحيل أن يبيعه لأنّه لايقوله إلاّ لمن يستحقه.

٤_الوصف.

يعتبر الوصف من أهم أغراض الشعر الأندلسي التي أظهر فيها الأندلسيون تميُّزًا شديدًا من خلال وصفهم للطبيعة،والحروب،ومجالس اللّهو والغناء،والتَّغني بكل ذلك في قصائدهم الشعرية.

وقد حظيت الطبيعة بعناية كبيرة في شعرهم،حيث كان كل مافي البيئة الأندلسية يدعو إلى وصف الطبيعة،فأسهب الشعراء نتيجة لذلك في وصفها بكل مافيها من جمال،وخضرة ،وسهول ومراعي وحدائق غنّاء.

وعلى الرّغم من أنّ شعر الطبيعة قد شاع بشكلٍ كبير لدى شعراء الأندلس إلاَّ أنّه لم يأخذ حقّه عند ابن درّاج ،وإنّما تناوله في أبيات أو قصائد معدودة،ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى أنّ وصف الطبيعة يحتاج إلى صفاء الذّهن والاستقرار،وهو مالم يتحقّق لابن درّاج.

ومن قصائد وصف الطبيعة في ديوانه قصيدة يصف فيها السَّوسن بقوله:[١]

إنْ كانَ وجْــهُ الرَّبيعِ مُبْتَسِمًا فالسَّوسنُ المُجْــتلى ثنايــاهُ

ياحُسنَهُ سِنَّ ضَاحِكٍ لـهُ عبِقٍ كطِيْبِ رِيْــحِ الْحَبيــبِ ريَّاهُ

وهُــوَ إذا مُغْــرَمٌ تنسَّــمَهُ خلى على الأنْفِ منْهُ سِيْمَاهُ

وله أيضاً في وصف الطبيعة قصيدة يصفُ فيها روضةَ سوسن ويدعو فيها إلى مجلِسِ أُنْس فيقول فيها:[٢]

جَهِّزْ لنا في الأرْضِ غَزْوَةُ مُحْتَسِبْ وانْدُبْ إليْهَــا مَنْ يُساعدُ وانْتَدِبْ

واحْمِلْ على خِيْلِ الْهَوى شِيَمَ الصِّبَا واعْقِدْ لِجَيْشِ اللّــهْوِ أَلْوِيَةَ الطَّرَبْ

واهْتِــفْ بِأَجْنَــادِ السُرُورِ وقُدْ بِها نحْوَ الرّياضِ وأنْتَ أكْرَمُ مَنْ رَكِبْ

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤١وص٤٢، وريَّاهُ:الريَّا هي الريح الطيّبة.
[٢]المصدر نفسه،ص٣٥وص٣٦،و مجانيق:جمع منجنيق:وهو آلة حربية قديمة تستعمل لدكّ أسوار المدن أو القلاع،و النِّيَم:جمع نِيْمَة وهي عند الأندلسيين القِتِّينة أو الزجاجة،و الرَّواطم:جمع رطومة ومعناها القِنِّينة أيضا.

جيْشًا تكُــونُ طُبُولُهُ عِـــــيْدانُهُ وقُرُوْنُهُ النَّايَاتِ تُسْــعِدُها الْقَصَبْ

واهْزُزْ رِمَاحًـــا مِنْ تباشيــرِ المُنَى واسْــلُلْ سُيُوفًا مِـنْ مُعَتَّقَةِ الْعِنَبْ

وانْصِـــبْ مجَانِيْقًا مِــنَ النِّيَمِ التي أحْــجارُهُنَّ مِنَ الرَّواطـِمِ والنخَبْ

لِمَعَاقِلٍ مِنْ سَــوْسَنٍ قـــد شَيَّدَتْ أيْدِي الرَّبيعِ بِناءَهَا فَـوقَ القُضُبْ

ومن الموصوفات في ديوان الشاعر "السفن الحربية" التي وصفها بقوله:[1]

إذا سابَقَـــت شأْوَ الرِّيــاحِ تَخَيَّلَتْ خيــولاً مــدَى فُرْسَــانِهِنَّ خيولُ

سحائِبُ تَزْجِيْها الرِّياحُ فإنْ وفَتْ أنَافَــتْ بِأجْيــادِ النَّعـــامِ فُيُولُ

ظباءُ سِمــامٍ مالـــهُنَّ مفَــاحِصٌ وزُرْقُ حمــامٍ مالهُـــنَّ هدِيْـلُ

سواكِنُ في أوطانِــهِنَّ كـأنْ سما بها الموجُ حيثُ الرَّاسِيَاتُ تَـزُولُ

كلما رفَعَ الآلُ الهوادِجَ بالضّـُحى غداةَ اســتقلَّت بِالخَـلِيْطِ حُمُـولُ

أرَاقِمُ تَقْري نــاقِعَ السُّـــمِّ مـالَها بما حَمَـلَت دون الغُـــواةِ مَقِيْلُ

وهذه القصيدة قالها الشاعر عندما خرج المنصور بن أبي عامر على رأسِ أسطولٍ بحري لمحاربة زيري بن عطيَّة بعد أن أعلن ثورته ضد المنصور.

وفيها وصف الشاعر سفن الأسطول من خلال سلسلة من التشبيهات،فشبَّهها بالخيول في سرعتها،وبالسَّحاب في خفَّتها،و شبَّه مقدِّمتها بأعناق النَّعام في طولها،وهياكلها بالفيلة في ضخامتها،كما شبه منظرها الجميل بالظِباء والحَمَام،إلاَّ أنَّ سفن المنصور ليست وديعة مثلها فهي ظِباءٌ مسمومة وحمَام لا يعرف الهديل.

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٥و٦.

ثم انتقل إلى وصف قوتها فهي سفن قوية راسخة لها قدرة عالية على الثبات في وسط الأمواج المتلاطمة،تشبه الحيَّات التي تنفُثُ سمَّها على الأعداء فتقضي عليهم.

وكان لرحلات الشاعر نصيبٌ من الوصف في شعره كما في قوله في إحدى قصائده:[1]

إلَيْكَ شحَنًّا الفُلْكَ تهْـــوِي كأنَّهـــا وقدْ ذُعِرَتْ عنْ مغْرب الشَّمْسِ غرْبَانُ

على لُجَجٍ خُضْـــرٍ إذا هبَّتِ الصَّبَا ترَامَـــى بنَا فيها ثبِيْـــر وثَهْـــلانُ

موائِلَ ترْعَى فـــي ذُرَاها مواثِـــلاً كمَا عُبِـــدَتْ فـــي الجاهليةِ أوثانُ

وفـــي طيِّ أسمـال الغريب غرائِب سكَـــنَّ شِغافَ القلْبِ شِيْبٌ ووِلْدانُ

يُرِدِّدْنَ في الأحشاءِ حـــزَّ مصائِبٍ تزِيْـــدُ ظلامًا ليلَها وهـــي نيْرَانُ

إذا غِيْضَ ماءُ البحْـــرِ مِنْها مدَدْنَهُ بِدَمْعِ عيـــونٍ تمْتَرِيْهِنَّ أشْجَـــانُ

وإنْ سَكَنَتْ عنَّا الرياحُ جَـــرَي بِنَا زفِيْرٌ إلـــى ذِكْـــرِ الأحبَّةِ حنَّـانُ

يقُلْنَ وموجُ البحْرِ والهـــمِّ والدُّجَى تمُـــوجُ بنا فيهـــا عيـونٌ وآذانُ

ألاَ هلْ إلى الدُّنْيا معَادٌ وهـــل لنا سوى البحر قبْرٌ أو سوى الماءِ أكفَانُ

فالشاعر هنا يصف الفلك التي تهوي ساعة الغروب حيثُ بدَت كالغربان الخائفة من مقدم الليل،ويصفها وهي تُسرع على لُجج الماء الخضر التي تقذف بما يشبه جبلي ثبير وثهلان كلما هبّت الرياح،فتبدو السفن مائلة وترى في أعلاها رُكَّابًا أصبحوا كالأصنام حيث تجمّدوا من شدّة الخوف،ثم يصف حاله وأهله الذي سكنوا شغاف قلبه،حيث يبكون بدموع غزيرة لو أنَّ البحر غاض ماؤه،لمدّته دموعهم بما تجري فيه السفينة،ويزفرون بزفرات قوية لو أنَّ الرياح هدأت

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٨٧,٨٨.

لسيّرت تلك الزّفرات شراع السفينة،وخلال ذلك يتساءلون عمَّا إذا كان لهم عودة إلى الدنيا أم سيكون البحر قبرهم والماء أكفانهم؟.[1]

وكذلك وصف الشاعر المعارك الحربية في مثل قوله:[2]

ياقائِدَ الخيْـــــلِ العِتـــاقِ كَأنّما عزَمَاتُهُ أرماحُهـــــا وشِفَـــارُها

ليْثٌ يُخاطِرُ بالمكَـــــرِّ بِنفْسِـــهِ هِمَمٌ عظيْمٌ فـــي العُلا أخْطَـــارُهَا

أوْطأتَ أرْضَ المشرِكِيْنَ كتائِبًـــا فيها وشِيْكُ فنَائِهـــا ودَمَارُهـــا

وترَكْتَ أرْضَ ليونَ وهـــي كأنَّها لمْ تغْنَ بالأمـــسِ القريْبِ ديـــارُها

مرْفُوعةً لكَ فـــي العُـــلا أعلامُها لمَّا غدَتْ بِـــكَ عافِيًا آثارُهَـــا

لَبِسَتْ ثيَابَ الأمنِ حيْـــنَ تمنَّعَتْ آفَاقُهـــا وتبَاعَـــدَتْ أقْطَـــارُها

وتسَرْبَلَتْ حُلَلَ الثلـــوج جبالُهـــا واسْتَفْرغَتْ مَدَّ الحيَـــا أنْهارُهـــا

والخيْلُ والأبطالُ تجْهـــدُ خلْفَهَا إلاَّ يشِطَّ على الخليـــلِ مزارُهَـــا

حتّى عبَرْنَ خليج "دُويْرُ" كأنَّهـــا سُفُنٌ ترامَى بالحتـــوف بحارُهـــا

بقواضِبٍ قُضِبَتْ بِهِنَّ حيـــاتُها وصوارِمٍ صُرِمَتْ بِهِـــا أعْمارُهـــا

ففي الأبيات السابقة قدَّم الشاعر في البداية وصْفًا لبلاء المنصور في المعركة،حيثُ ألحق بمملكة "ليون" الدّمار وغدَت كأنّها لمْ تُعمّر مِنْ قبل، ثم انتقل إلى وصف مناعة هذه المملكة ليُدلِّل على قوة الجيش الإسلامي وقُدرَتُه على السيطرة عليها،فهي مملكة تحيط بها الثلوج من كلّ مكان، وتحيط بها الأنهار من كل جانب مما يجعل من الوصول إليها أمرًا في غاية الصعوبة،وعلى الرّغم من أنّ طبيعتها قد أَنهكَت الجيش العامري وخيوله،إلاّ أنّ المنصور وجيشه

---

[1] أحمد هيكل،الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،ص٣١٦،(بتصرّف).

[2] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤٠٩و٤١٠،وقواضب:السيف القاضب يُقصد به السيف القاطع،وصوارم:السيف الحاد.

قد استطاعوا أن يتغلّبوا على كل هذه الصعاب ويقهروا الروم،ويستولوا على مملكة "ليون" وحصونها.

وإلى جانب ذلك كله وصف الشاعر كما أسلفنا سابقًا مشاهد الوداع بينه وبين أسرته وتأثيرها عليهم.[1]

[1] ص٣٨وص٣٩ من هذه الدراسة.

٥_الغزل.

أبيات الغزل قليلة جدًّا في ديوان ابن درّاج،برغم أنّ البيئة الأندلسية ساعدت على ازدهار الغزل في الشعر الأندلسي،نتيجة لانتشار أسواق النخاسة التي كانت تُباعُ فيها الجواري،إضافةً إلى التّغلغل الأجنبي في نسيج المجتمع،ممّا أسهم بشكل كبير في تحرُّر الأندلسيين من أغلال التقاليد الموروثة.

وقلّة أبيات الغزل في ديوان ابن درّاج أمرٌ طبيعي ناتج عن تأثير ظروف حياته عليه،فقد فرضت عليه تلك الظروف أن يعيش في حالة قلق مستمرة على مصيره ومصير عائلته وهو قلقٌ منعه من أن يحيا حياةً هادئة مستقرَّة،فما كان منه إلاَّ أن وظَّف شعره لتحقيق طموحه في أن يبلغ مكانة شعرية مهمة في بلاط من مدحهم،أملاً في أن يحصل لديهم على المكانة الرفيعة التي تضمن له الأمان إلى جانب العطايا والحياةالكريمة،ومن هنا حتّمت عليه الظروف أن يكون لغرض المديح الغلبة في ديوانه على حساب باقي الأغراض الشعرية وعلى رأسها الغزل.

ولم يخرج ابن درّاج في شعره الغزلي عن الإطار التقليدي،حيثُ جاء غزله في معظمه تقليديًا تتردّد فيه المعاني والأفكار التي تردّدت في الشعر المشرقي.

ومن ذلك قوله:[١]

ولا توقَّيْتُ سَهْماً مِنْ لَوَاحِـــظِهِ يُذيْبُ سيفي وفي قلْبِـــي مَوَاقِعُــهُ

وفي الأبيات السابقة تغزّل الشاعر بعيني المحبوبة وتأثيرِها عليه من خلال تشبيهها بالسّهام التي أصابت قلبه فأذابته،وهذا الوصف يُعد من الأوصاف الشائعة لدى شعراء الأندلس،وفي ذلك يقول المستشرق الفرنسي هنري بيريس:"إنَّ هناك نظرية عرفتها إسبانية الإسلامية،ترى في الحب قوة سحرية تمارسها الجفون الفاتكات خلال النظر،وعن الفكر يصدر سحر النّهى الذي يمُر عبر العيون".[٢]

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص١٣٩.
[٢]أنظر هنري بيريس،الشعر الأندلسي في عصر الطوائف،دار المعارف،القاهرة ،١٩٨٨،ط١،ص٣٢٠.

ويتابع مشبّهًا المحبوبة ببدر السناء وبالغزال قائلاً:[1]

فيَا ضَلالَ نُجُومِ اللَّيْلِ إذْ عَدِمَتْ بدْرَ السَّماء وفي حِجْرِي مضَاجِعُهُ

ويا حَنِيْنَ ظِبَاءَ الْقَفْرِ إذْ فقَدَتْ غَزَالَهُـنَّ وفي روْضـــي مراتِعُهُ

وله أيضًا قصيدة أخرى استهلّها بغزله بجمال المحبوبة عندماشبَّه مبسمها بالضوء في بريقهِ ولمعانه، وجبينها بالصُبحِ في إشراقهِ،وشعرها باللَّيل في سواده.

أنُورُكِ أمْ أوقَدْتِ بِاللَّـيلِ نـــارَكِ لِبَاغِ قِرَاكِ أم لِبَـــاغٍ جِـوارَكِ

ومَبْسَمُكِ الوضَّاحُ أم ضَوءُ بَـارِقٍ حدَاهُ دُعَائِي أنْ يجُـودَ دِيَارَكِ

وطُرَّةُ صُبْـحٍ أم جَبِيْنـكِ سَـــافِرًا أعَرْتِ الصَّباحَ نُـورَهُ أم أعَارَكِ

وأنتِ أجَرْتِ اللَّيْلَ إذ هزَمَ الضُّحَى كتائِبُهُ والصُّبْحَ لمَّا استَجـارَكِ

فلِلصُّبْحِ فيمَا بينَ قُرْطَيْكِ مَطْلَـعٌ وقدْ سَكَـنَ اللَّيلُ البَهِيْـمُ خِمَارَكِ

فياَ لِنَهَـــارٍ لايغيضُ ظـــلاَمُهُ ويا لِظلامٍ لا يغيـــضُ نهـارَكِ[2]

وله أيضًا قصيدة أخرى يشتكي فيها من هجر محبوبته له،وما لاقاه من عذابٍ في سبيل حبّها الذي اجتمعت بسببه الأضداد في داخله،فصارت المحبوبة هي مصدر راحته وسروره وفي ذات الوقت مصدر أرَقِهِ واكتِئابه ،وفيها يقول:[3]

دأْبُكَ الْهـجْرُ ودَأْبِـي فيـــكَ إدمانُ التَّصَابـي

أيُّها الْمُـغْرَى بِقَـتْلِي بِكَ أصْبَحْـــتُ لِما بِـي

لا ومَنْ آوى اغْتِرَابِـي وشفَـى حَـــرَّ مُصَابِـي

---

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص١٤٠.
[2] المصدر نفسه،ص١٠١وص١٠٢.
[3] المصدر نفسه،ص٣٥٦وص٣٥٧.

وكفَانِي صَرْفَ دهْرٍ سَامَنِي سُـــوءَ العَــذَابِ

ما رَأَتْ عَيْنَيَّ كظَبْيٍ لاحَ فــي تَــمِّ الشَّبَــابِ

أسْبَلَ اللَّيلَ علَـى متْـ نَيْــهِ إسْبَــالَ النِّقَـــابِ

فتجَلَّى كتَجَلِّـــي الــ بَدرِ مِنْ تحتِ السَّحَـــابِ

في عقُودٍ مِنْ نُجُـومٍ ووشَـــاحٍ مِـــنْ سَـرابِ

فهْو نومِي وسُـرُورِي وسُهَـــادِي واكتِئَـــابِـي

وله قصيدةٌ أخرى يشكو فيها من لوعة الحب،ويتوعَّد فيها محبوبته بنسيانها والابتعاد عن كل مايُذكره بها،حتى صار يصُدُّ بوجهه عن سنا الشمس لأنه يذكره بوجهها،ويستفظع مذاق الشهد لطعمه الموجود في شفتيها،ويجتَنِبُ ظبيَ الفلا لأنَّ عيني المحبوبة وعنقها تشبهان عينيه وعنُقه، وفي ذلك يقول:[1]

سَأَمْنَـــعُ قلـــبي أنْ يحِـــنَّ إليْـــكِ وأنْهَى دُمُوعِـــي أنْ تَفِيْضَ عَليْكِ

أَغَدْرًا ولَـــمْ أغْدِرْ وخَـــوْنًا ولم أَخُنْ لقَد ضَاعَ لي صِـدْقُ الْوفَاء لدَيْكِ

بِفِعْلِكِ عِيْبَ الْحُسْنُ عِنْدِي ولإنْ غَدَتْ مَهـــاةُ النَّقا والشَّمْـــسُ مُشْتَبِهَيْكِ

أَصُدُّ بِوجْهِي عنْ سنَا الشَّمْسِ طَـالِعًا لأَنْ صَارَ مَنْسُوبَ الصِّـفَاتِ إلِيْكِ

وأسْتَفْظِعُ الشَّـــهْدَ اللَّذيـــذَ مذَاقُـــهُ لِمَطْـعَمِهِ الموجودِ فـــــي شَفَتَيْكِ

وأَصْرِفُ عنْ ذِكْرَاكِ سَمْعِي ومَنْطِـقِي ولـــــو نَازَعَتْنِيْهَا حَمَامَـــةُ أيْـكِ

ولَو عنَّ لي ظَبْـيُ الفَلاَ لاجْتَنَبْتُـــهُ لِتِمْثَـــالِ عيْنَيْـــكِ وسَالِفَتَيْـــكِ

---

[1]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٣٤٨،و مهاة: حجر معدني بلوري صافٍ تتخذ منه الأواني والخواتم والعقود والثريَّات،النَّقا:النُّقَاوة من الشي خياره وخُلاصَتُهُ،و سالِفَتيكِ:السَّالفة هي جانب العُنُق.

وكل الأوصاف السابقة التي وظّفها الشاعر في غزله كانت بعيدة عن معاني الغزل الفاحش وكانت أوصافًا تقليدية ألفناها في شعر القدماء،وهي إلى جانب ذلك كانت مستقاه من الطبيعة بما فيها من مظاهر جمالية.

وفي ذلك يقول المستشرق هنري بيريس:"إنّ الشاعر الأندلسي جعل الطبيعة تحاكي معايير الجمال عند المرأة،...فصوّر جمالها أروع تصوير،ممّا يدُل على أنّه كانَ مؤمنًا كُلَّ الإيمان بها،وقد أخرجها بهذه الصورة،وعبرَ أنفاس الحُب ونسائِم الحبيب".[١]

[١]أنظر هنري بيريس،الشعر الأندلسي في عصر الطوائف،ص٣٤٦.

ثانيًا:موضوعات شعر ابن المقرّب العيوني.

١_المديح.

يغلب غرض المديح في ديوان ابن المقرّب على باقي الأغراض الشعرية ،ومعاني المديح في ديوانه هي المعاني التقليدية التي حرَصَ من خلالها على رسم الخصال الرفيعة والقيم المُثلى في شخصية الممدوح،كالكرم،والشجاعة،والشهامة،والحزم،ونجدة المستغيث ورِفعة النسب، إلى جانب الإشادة بانتصارات الممدوح ومعاركه.

ويُمكن أن نُقسِّم قصائد المديح في ديوان الشاعر إلى قسمين:

القسم الأول:مدائحهِ لأبناء عمومتهِ مِن الأمراء والرؤساء العيونيين .

القسم الثاني:مدائحهِ لِرجالِ عصره من خارج الأسرة العيونية.

أولاً:مدائحه لأبناء عمومته من الأمراء والرّؤساء العيونيين.

مِن الأمراء الذين مدحهم ابن المقرّب الأمير محمد بن أحمد بن أبي الحسين،وهو أكثر أمير خصّه ابن المقرّب بقصائد المديح،حيثُ كانت علاقته به قائمة على الحب والتقدير ،وتخلو من المصالح خاصّة وأنّ علاقة الشاعر به كانت قبل أن يمُرّ بأزمة السجن ويتم الاستيلاء على أمواله وممتلكاته،فكانت جميع مدائحه له نابعة عن إعجاب حقيقي بشخصه.

ويدُل على ذلك حكايته معه حينما أنشده ابن المقرّب قصيدة أُعْجِب بها الأمير فعرَض عليه أنْ يأخُذ من ماله مايُريد،فردّ عليهِ بقوله:"والله ماقُلْتُ ماقُلْت وذكَرْتُ ماذَكَرْت لِشيءٍ من الجوائِز ولا زِيادةِ مال،وإنّما ذلك كان منّي إذ رأيتُكَ أهلاً لما ذكرْت فوضعْتُهُ في موضعه".[١]

---

[١]أنظر علي بن المُقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٥٨٥.

ومن القصائد التي مدحه بها قوله:[1]

فتىً لمْ يزَلْ مُذْ كانَ يُخْشَى ويُرْتَجَى إذا قصَّرَت عن يومِ خَطْبٍ رِجَالُها

فيَخْشَـــاهُ جبَّارٌ ويرْجُـــوهُ خَائِـفٌ وأرْملَـــةٌ قدْ مـــاتَ هُزْلاً عيـــالُهَا

أعَزَّ عُقَيْلاً عِـــــزُّهُ فتدَامَلَـــــتْ ومِنْ قبْلُ أعْيَى مَنْ سِواهُ اندِمالُـها

لعمْرِي لنِعْمَ المُسْتَغَاثُ إذا دَعَـــوا لِنائِبَةٍ جلّـــتْ وآذَى احْتِمَـــــالُها

ونِعْمَ لِسانُ القوْمِ أنْ قِيْـلَ منْ لها خطِيْـبٌ وأعْيَى الحاضِرِيْنَ مقالُها

ونِعْمَ مَـــلاذُ المُعْتَفِيْـــــنَ إذا نبَا زمانٌ وهبَّتْ عامَ مَحْـلٍ شَمالُـــها

وبعْدَ وفاة الأمير محمد بن أحمد بن أبي الحسين،ودخول الشاعر السجن والاستيلاء على أمواله تنوّعت قصائده بين التّعفُّف والطلب.

ويبدو أنّ الشاعر كان يُريد أنْ يخُصّ أبناء عمومته وحدهم بشعره ومديحه،إلاّ أنّ الحاجة دفعته إلى أن يمدح غيرهم،ويدُل على ذلك قصيدته في مديح ابن عمّه الأمير محمد بن ماجد التي قال فيها:[2]

هوَ البدْرُ لكـــــن ليْسَ يسْتُرُ نُورَهُ حِجَـــابٌ ونُوْرُ البدْرِ يسْتُرُهُ الحُجْبُ

هُو الموْتُ لكن ليسَ يقْتُلُ غِيْلَـــةً هـــو البحْرُ إلاَّ أنَّ مـوْردَهُ عـــذْبُ

أبَا ماجدٍ انْظُـــرْ إلى ذِي قرَابـــةٍ بِعَيْنِ رِضًا يُغْضَـى لها الخائِنُ الخِـبُّ

وأُقْسِمُ لولا وُدُّكَ المحْضُ لمْ تَخُضْ إلى بلَدِ البحْرَيْنِ بي بُزَّلٌ صُهْـــبُ

وثَانِيَـةً أنّـــــــي أغـــارُ عليْـكُم إذا ما جزِيْلُ النّظْمِ سارَتْ بهِ الكُتْـبُ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٣٦٠ و ٣٦١و٣٦٣ ،وتدَاملَت:تصَالَحَت والمعْتفى:طالِب المعروف.

[2]المصدر نفسه،ص٣٣و٣٤و٣٥،و الخِب: الخداع،و البزّل:الجمال انشقّ نابها،والأصهب:هو الذي يخالط بياضه حُمْرَه،وابن زائدة:يقصِد بهِ معَن بن زائِدة الذي يُعد من أشهر أجواد العرب وشجعانهم.

وجـــاءَ مديحِي في سِواكُـــم فيالهـــا حُويْجَةٌ يأْبَى لـــــها الماجِـــدُ النّدبُ

هُناكَ يقُوْلُ النَّاسُ:لـــو أنّ قومـــــهُ كِرامٌ لكانَتْ زنـــــدَهُم عنْـهُ لا تكْبُوا

فصُنْ حرّ وجْهِي عـــنْ سُؤالٍ فإنّـهُ عليّ ولو عاشَ ابنُ زائِدَةٍ صعْـــبُ

ورُدّ كثِيْراً مِنْ يسِيْرٍ تُقِـــتْ بِـــــــهِ فِرَاخًا قدِ اسْتولى على ربْعِها الجدْبُ

ومن الأمراء الذين خصّهم الشاعر بشيءٍ من مدائحه الأمير علي بن ماجد،ومن مدائحه فيه قوله:[1]

لهُ هيبةٌ مِلءُ الصـــدورِ فلَو رَنَـــا إلى الموتِ مُزْورًّا لمـــاتَ مِنَ الذُعرِ

ولو قالَ للأفلاكِ فـــي سيرِها قِفِـيْ لبَاتَتْ رُكودًا لاتسيـرُ ولا تجْـــرِي

فتىً لو لِلِيْثِ الغَابِ بـــأسٌ كَبَأسِـهِ لأغْنَاهُ عـنْ نابٍ حديدٍ وعـنْ ظُفْرِ

ولو أنَّ لِلعضْبِ اليمَـانيّ جـــوهرًا كعزْمَتِهِ لمْ ينْبُ عـن قُلَلِ الصَّـخْرِ

حيثُ يصفه في الأبيات السابقة بالهيبة الشديدة التي أفزعَتْ الموت منهُ،وأخْضَعَتْ الأفلاك له في سيرها،و بالبأس الشديد الذي لو ملكهُ الليث في الغاب لأغناهُ عن الأنياب الحادة والأظافر القاطعة،وبالعزيمة القوية التي لو كانت في السيف القاطع لما أصابهُ النُّبُو ولما عجز عن قطع رؤوس الصخور.

وللشاعر أيضًا قصائد طبعت معانيه بطابع التدوين التاريخي نحو قوله مشيدًا بدور الأمير الأشرف موسى بن محمد في الحروب الصليبية التي خاضها في دُمياط بمصر وإلحاقِهِ الهزيمة بالمشركين:[2]

فلوْلاهُ لمْ ينْطِق بدُمْيَـــطَ داعِيًا إلى كلـمة التوحيدِ والعدلِ ناطِقُ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٢٠٢وص٢٠٣،والعضْب:السيف القاطع.
[2] المصدر نفسه،ص٣٠٢.

فأُقْسِمُ مــاولاَهُ إلاَّ مُوحِـــدٌ تقيٌّ ومَــا عـــاداَهُ إلاَّ مُنافـقُ

فلاَ يُعْدِمــنَّ اللهُ أيَّامَــهُ التــي بِها يَفْتُقُ الإسلامُ مالكُــفْرُ راتِقُ

أبَا الفَتْحِ لا زالَتْ بِكفَّيْكَ تلْتَــقِي مفاتيحُ أرْزاقِ الورَى والمغَــالِقُ

إليكَ رمــتْ بي نائِباتٌ هـوَارِقٌ لِدمْعِي وأحْدَاثٌ لِعظْمِي عوَارِقُ

ولمْ يَبْقَ بعدَ اللهِ أيَّاك مقْصِــدٌ تمُدُّ إليهِ بِالأَكُــفِّ الخــلائِقُ

وقوله في مديح الأمير الفضل بن محمد مشيرًا إلى دوره في محاربة بني عقيل قرب نهر السّيب بالبصرة،وتمكُّنه من حماية البحرين بعد وفاة أبيه الأمير محمد بن أحمد بن أبي الحسين،والإحاطة بالقطيف وأهلها وكل مافيها:[1]

وحميـتَ دارَ أبيك مِنك بهــمَّةٍ الجُــودُ والإقــدامُ مـِن هاماتِهـا

مِنْ بعدِ ماجمَعَتْ عقِيْـلُ كيْدَهــا بالــرَّأيِ مِن عُقَّالِها وغُواتِهــا

ودَعَت بأهلِ السّيبِ فابتَدَأْتَ بها مِــن شــطِّ دِجْلتِها وشطِّ فُراتِهــا

تتــلُو المُعــلاَّ حيثُ سارَ وإنَّهُ للفَــارِسُ الــولاَّجُ في غمَرَاتِهــا

فتَكَـنَّفَتْ أهــلُ القطيــفِ بخيْلِهَا ورِماحِــها وقُسِيّهــا ورُمــاتِهــا

تَرَكت نساءُ السّيبِ تبكي حسْرَةً لِوُلاتِــها وتُطيــلُ مِــن ويلاتِهــا

[1]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١١١وص١١٣.

ثانيًا:مدائحهُ لرجال عصره مِن خارج الأسرة العيونية.

مدح الشاعر في بعض قصائده رجالاً عصره من خارج الأسرة العيونية ومنهم أمير البصرة شمس الدِّين باتكين،حيث نظَم فيه قصيدة أشاد فيها بحكمه للبصرة يقول فيها:[١]

لَوْ لـــــمْ يكُنْ بالبصرةِ انْقَلبَتْ بِمَنْ فِيهــا وجــرَّ بِها الخَرَابُ ذُيــوْلاَ

كـانَتْ ســوَادًا قبْلَـــــهُ فَأَعَــادَهَا مِصْرًا تَـرُوقُكَ مَمْسِئـاً ومَقِيـــلاَ

أفعــالُـــهُ للهِ خالِـصـــــةٌ فمَـــا تلْقَى لِمُعْتَقَدِ الرِيــاءِ مَثيْـــلاَ

لَوْ كانَ فـــــي الأُمَمِ الخَوالِي مِثْلُهُ مَلِـكٌ لَمَا بَعَـثَ الإلــهُ رسُـولاَ

وفي قصيدة أخرى مدح الخليفة الناصر لدين الله بقوله:[٢]

فإنْ غاضَ في أرضِي الوفاءُ وقُطِّعَتْ أواصِرُ ذي القُربى وعَزَّ المُناصِحُ

ففــي شاطِيءِ الزَّوراءِ نُصْحٌ يمُدُّهُ وفاءٌ تَهَــادَاهُ العُقــودُ الصّـَحائِحُ

وعــدْلٌ تساوَى فيهِ سَــامٌ ويـــافِثٌ يقومُ بهِ نورٌ من الحقِّ واضـحُ

إمامُ هُدىً بطْحَاءُ مكّــةَ مَوْلــدٌ لآبائِهِ الشُّمِّ الذُرَى لا البطَائِحُ

فتىً حلَّ مِن عليا لؤيٍّ بن غالِبٍ مَحَلاً بهِ لا يعْلَقُ الطَّرْفَ لاَمِحُ

وله أيضًا قصيدة في مديح الخليفة المُستضيء أبي العباس أحمد مشيْدًا بدوره في محاربة الشرك والفساد:[٣]

ومُذ سلَكَت فِرسَــانُهُ مِــن ديارِهــا محَارِمــَها لم يبــْقَ للشركِ مــحْرَمُ

---

[١] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٤١٠وص٤١١.
[٢]المصدر نفسه،ص١٢٤وص١٢٥،والزَّوراء:بغداد،ولؤي بن غالب بن فهر القرشي العدناني:جدٌّ في سلسلة نسب الرسول ﷺ وبني هاشم.
[٣]المصدر نفسه،ص٤٥٤.

أعزَّ بـــهِ اللهُ الرَّعيَّـــة فاغتَـــدَتْ ولا ظـــالمٌ فيهـا ولا مُـتظلِّـــمُ

وخلَّى الأذى منْ كانَ لولا انتقامُـــهُ يُشمِّـــرُ عـــن ساقٍ لـــهُ ويُصَمِّـــمُ

ومَنْ ألْزمَ الأُسْدَ القِصَاصَ فهلْ ترَى أويْسًا علـــى شـاءٍ بِوادِيـــهِ يُقْـدِمُ

ولابُدَّ من الإشارة إلى أنَّ قصائد ابن المقرَّب العيوني في المديح لم تكن دائمًا تهدُف إلى إيجاد من يساعده في استعادة أمواله وممتلكاته التي سُلبت منه، فهناك قصائد خصَّ بها أشخاصًا جمعته بهم علاقات ودٍّ وصداقة.

ومن هذه القصائد قصيدة قالها في مديح إبراهيم بن عزيز بن إبراهيم بن أبي مروان"لمودَّة بينهما،وخُلطة ولحمة ونسب"[١]

آبـاؤهُ مـِن عبـــدِ قيْـسٍ خيْـرُهَا حَسَبًا وأكرمُـها وأوســـعُها نـــدَى

قـومٌ هُمْ ملَـكوا البِـــــلادَ ودوَّخوا أهلَ العِنادِ وأوضحوا سُبُـلَ الهُدَى

أيَّامهـــم فـــي الجاهليـــةِ كُلُّـــها بِيضٌ تُعِيرُ الخصْمَ وجْهًا أسْـــودَا

وفضيلةُ الإســـلامِ فيهُم إذ علَـوْا فيهِ إلى الحـــقِّ الطَّـريقَ الأرْشَـــدا[٢]

وفي الأبيات السابقة يمدح الشاعر الممدوح من خلال الإشادة بنسبه،حيث أنَّ آباءهُ من خيرة رجال عبدالقيس حسبًا وكرمًا،وهم من ملكوا البلاد ودوَّخوا من عاند السير في طريق الهدى،ثم ذكر مالَهم من مفاخر في الجاهلية حيثُ الانتصارات التي اسودَّت بها وجوهُ خصومهم،إضافةً إلى مفاخرهم في الإسلام فقد كانوا من السبَّاقين إلى اتِّباع طريق الحق والهدى.

---

[١]أنظر علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١٦٧.
[٢]المصدر نفسه،ص١٧٣.

وله قصيدة أُخرى في مديح فخر الدِّين أبي عبدالله الدَّوَامي "وكان أسْدى إليهِ معْرُوفًا سنة٦١٤هـ"[١]يقولُ فيها:[٢]

فيا قَاصِدَ البـحرينِ يُزجـي شِمِلَّـةً كأنَّ علـــى أشْدَاقِها الهُــدْلِ كرْسُــفَا

فــحَيِّهِمُ مِنِّـــي تحيَّـــة وامِـــقٍ عطُوفٍ على ابنِ العمِّ لوْ عَقَّ أو جَفَا

وقُــلْ لـــهُم لاتُغْــفِلُوا شُكـرَ سيِّدٍ تَوخَّـــى أخاكُــم بِالــكرامةِ واصْطَفَـى

ومــنْ لم يــوفِّ ابنَ الدَّوَاميَّ حقَّهُ على مُوجِباتِ الشُكْرِ مِنكم فمـــا وَفَى

---

[١]أنظر علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٢٨٣.

[٢]المصدر نفسه،ص٢٨٨،ويزجي شملة: يسوق ناقة سريعة،والهدل:المتهدِّلة،والكرسف:القطن،وامِث:الماضي منها ،ومِقَهُ:أي أحبَّهُ.

٢ــــالاغتراب والحنين.

نتيجة لِتردّي العلاقات بين ابن المقرَّب العيوني وأبناء عمومتهِ من الأمراء العيونيين،عزَم على الرحيل عن وطنه البحرين بعد أن وصل إلى مرحلة من اليأس قتلت في نفسه كلَّ أمل في إصلاح العلاقات أو في تحسُّن الأوضاع في الدولة العيونية.

وقد أشارَ ابن المقرَّب إلى نيته بالرحيل عن الوطن وأسبابه في العديد من القصائد التي بثّ فيها شكواه ومنها قوله:[١]

لاتحسبوا بُغْضِيَ الأوطانَ مِنْ مَللٍ لابُدَّ للـــــودِّ والبغضاءِ مِـنْ سبـــبِ

قِــلٌّ وذُلٌّ وخُـــذلانٌ وضيــمُ عِدىً مُقَامُ مثْـــلي على هذا مِنَ الْعَجَـبِ

إذا الدِّيــارُ تغشَّـــاكَ الهَـــوانُ بِهـا فخَلِّهَـــا لِضعِيــفِ العــزْمِ واغْتَـرِبِ

وقوله:[٢]

خليليَّ ما آضَ اعْتـزِامي ولا نَـضَا غرامـــي ولا ضـاقتْ عليَّ المنَـادِحُ

ولا فـــلَّ صبـــرْي مالَقِيـتُ وإنَّنـــي لأَلْـوى على اللأْواء جَلْـدٌ مُكافـحُ

ولكـــنَّ إنْفَـــاقي على الصبرِ مابَقِي مِنَ الْعُمرِ خُسْرَانٌ بـــهِ الْغَبْنُ لائِـحُ

فقَومَا ففـي عُـرْضِ البسيطةِ مُنْتَـأَى ومُتَّـــدَعٌ عَـــنْ موْضِعِ الذُّلِّ نـــازِحُ

وهو ماترتّب عليه بعد ذلك ندمه الشديد على مديحهم خاصّة بعد تخليهم عنه في أزمته ويبدو ذلك في مثل قوله:[٣]

فآهٍ مِـــــن زفَراتٍ كلَّمـــا صـــعَدَتْ في الصدرِ كادَت تورّي النارِ مِنْ ضِلَعِي

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٧٦.

[٢]المصدر نفسه،ص١٢٣،ص١٢٤،و آضَ:رجع،ونضَا غرامه:سَكَنْ،والمنادح:جمع مندوحة وهي ما اتسع من الأرض ،و فلَّ صبري:قل،واللأواء:الشِّدّة،والجَلَدْ:الصبر،والغبْن:الظلم،وعرض البسيطة:وجهها.

[٣]المصدر نفسه،ص٢٧٥وص٢٧٦، ،و تورّي النار:مأخوذة من ورى النار أي استخرجها،و كسع:كسعَ فُلاناً بما ساءه أي رماه بكلمة يسوؤه بها،والأزلم الجذع:الدهر الشديد كثير البلايا.

يسُوقُـــها أسَفٌ قـــد ثارَ مِنْ ندَمٍ يُرْبي على ندَمِ المغْبُـونِ مِنْ كُسَـــعِ

وليْـسَ ذاكَ عـلى مالٍ نعِمتُ به حيْنًا وأفْنـــاهُ صـــرْفُ الأزْلَـــمِ الْجَذَعِ

ولا علـــى زلَّةٍ أخـــشى عواقبها والنَّاسُ حِـــزْبانِ ذو أمْـــنٍ وذو فـــزَعِ

لكن علـــى دُررٍ تزْهـــو جواهرها فـــي عِقْدِ كُلِّ نَظَّـــامٍ غـــيرِ مُنْقَطِـــعِ

توجْتُها معْشَراً لا أبْتغِـــي عِوضًا عنْـــها وإنّي فـــي قومي لـــذو قَنَـــعِ

وكُنْتُ أولَـــى بها منهم وكمْ مِنَنٍ ضاعَـــتْ وما فائِتٌ يمْضـــي بِمُرْتجَعِـــي

وغرَّني مِنْهـــم لفظٌ خُدِعـــتُ بهِ والنَّـــاسُ مابيْنَ مخْـــدُوعٍ ومُخْـــتـــدِعِ

وكانَ لذلك الرحيل وقعه الشديد على ابن المقرَّب،حيثُ سيطرت عليه مشاعر الشوق والحنين وراحَ يبُثُّها في شعرٍ ينْضحُ باللَّوعة والألم،في محاولة منه للتعبير عن الآم الغربة والتخفيف مِن المتاعب والأحزان التي تملكته نتيجة للبعد عن أهله وديارِه.

وقد عبّر الشاعر عن شوقه وحنينه لأهله وديارِه بعدّة طرق،فتارةً يُبيّن شوقه لديارِه وأهله من خلال حرصه الدائم على سؤال المسافرين القادمين من البحرين إلى العراق عنهم:[1]

وإنَّ انْـفِرَادي عنـــهم وتغرُّبـــــي ترامَى بي الأمـــواجُ والْحَزْنُ والسُّهـبُ

بغيرِ اختيـارٍ كانَ مِنّي ولا قِلـــيً وإنَّهُـمُ لَلعيـنُ والأنْـفُ والقـــلبُ

ولكِنَّـــها الأيَّـامُ تُبْعِـــدُ تَـــــارةً وتُدْني ولا بُعْـدٌ يـدُومُ ولا قُـــرْبُ

وإنّـــي حَفـــيٌّ عنهـــمُ ومُسائِـــلٌ بِهِمْ حيثُ يَثْوِي السَّفَرُ أو ينْزِلُ الرَّكْبُ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب،ص٣١وص٣٢،انفرادي:ابتعادي،والحَزْنُ:ماغلُظ من الأرض،والسّهب:ماسهُلَ منها،وقِلى:القِلى هو البُغض والحقد،والسّفر: جماعة المسافرون،ويثوي السفر:يُقيم،والإرب: الحاجة.

وتارةً يُحمّلُ المسافرين إلى دياره رسالة لقومه يعبّر من خلالها عن شوقه وعتابه لهم فيقول:[1]

فياراكبًا تَطْوِي بهِ الْبِيـــــدَ جَسْـرَةٌ وتغتَالُ غِيْطَـــانَ الفــلاَ والأخَـــاشِبَا

إذا أنتَ أَلْقَيْتَ العِصِـــــيَّ مُخَيِّمًا بالأحسا وجـــاوَرْتَ المُلـوك الأطَايِـبَا

فَيَمِّمْ لِجرْعَاءِ الشَّمالِ فـإنَّ لـــــي بهـــا خِلَّـــةٌ أشـتاقُها ومـلاَعِبَـــا

وقِفْ وقْفةً بِالدَّرْبِ غَرْبـــيَّ بابِهـــا فثـــمَّ تُـــلاقي أُســـــرتي والأقَـارِبَـا

فتلْقَى مُلُوكاً كالأهِلَّـــةِ لـــمْ تَـزَلْ تهـــشُّ إلى الجُـلَّى وتَأْبَـــى الْمعَايِبَا

فقُـلْ لهُم بعْدَ السَّـــلامِ مقالـــــةً تعـــمُّ بهـــا عنِّـي شبـــابًاوشائِـــبَا

ألا يالَقومي والْفتَـــــى حـينَ يرْتَمِـي بـــهِ الدَّهرُ يدْعُـــو قومـــهُ لا الأجانِبَا

كفَـــى حُزْنًا أنِّي بِبغـدادَ مُفْـــــرَدٌ عنِ الأهـلِ ألْقَـــى كلَّ يومٍ عجـائِبَـا

ويشْتَاقُكم قلبي فأذكـــرُ دُونَـــــكُمْ مهامِـــــهَ لا أشتـاقُها وسَبَاسِـبَـــا

فيَسهُلُ عندي خَوْضُهَا فيعزُّ لـــــي تذكُّـــر حـــالاتٍ أشَبْـــــنَ الذَّوائِبَـــا

وتارةً يمزج بين الحنين ووصف الطبيعة في قصيدته فيشتاق فيها إلى دياره وجمالها وجمال نهرها وحدائقها الغنّاء فيقول:[2]

ولا بأْسَ لو غنّيْتُمـــانِي فقُلْتُمـــا رعَى اللهُ بالجرْعـــاءِ حيًّا ومـــأْلَفَا

بِخَفـــقِ المثَانِي في ظِلالِ حدائِقٍ تظَلُّ على أغْصانِهـــا الطّيْـرُ عُكّفَا

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٣٨وص٣٩،والجسرة:العظيم من الإبل،وغيطان الفلا:المطمئن الواسع من أرضها،والأخاشب،جبال الصمان،وجرعاء:موضع بالأحساء،وهي أيضاً الرملة الطيبة المنبت.

[2] المصدر نفسه،ص٢٨٤،و الجرعاء مكان بالأحساء،والمألف:المكان المألوف،والمثاني:من أوتار العود"مابعد الأول"،ودجيليّة:نسبة إلى دجيل،وهو اسم نهر،وغيلان:هو ابن عقبة بن نهيس بن العدوي ذو الرّمّة،شاعر فحل امتاز بإجادة التشبية،وحزْوى:موضع بنجد،ومشرف:رمل بالدهناء.

دُجَيْلِيَّةٌ لو حطَّ غَيْلانُ رحْلَـــهُ بِها ساعَةً أنَسَتْهُ حُـــزْوى ومُشْرِفَا

وفي قصيدة أخرى جعل غناء الحَمَام وشدْوه مصدر شوق وحنين لأهله وديارِه،وبيّن فيها شعورِه الدائم بأنَّ جسده في البصرة ولكنَّ قلبه رهينٌ في أرض الأحساء وأهلها ويحِنُّ إليهم كلما هبَّت ريح الشمال لأنها تتَّجه إليهم أو تمُرُّ عليهم:[1]

كِتَابَ مشُوقٍ ماتغَنَّتْ حمَامـــةٌ مِنَ الوُرْقِ إلاَّ حَنَّ شــوْقًا إليْكُمُ

مُقيْمٍ بِأرْضِ المَجْـــزَرِيّ وقلْبُـهُ رهيْنٌ بِجَرْعَــاءِ الشَّمَالِ لَدَيْـكُمُ

يحِنُّ إذا هبَّتْ شَمَــالٌ لِأنَّـــهَا تُــؤدّي إليْكُـــم أو تَمُرُّ عليْـكُمُ

وله أيضًا قصيدة عبّر فيها عن شوقه من خلال حنينهِ إلى دياره في الأحساء،وإلى الليالي التي عاشها فيها بقوله:[2]

يا مَنْزِلَ الحَيّ بالْجَرْعَاءِ لا بَرِحَتْ تَهْمِي بِكَ المُزْنُ مُنْهَلاّ عَزَالِيهَا

كمْ لِي بِمَغْنَاكَ مِنْ يومٍ نَعِمْتُ بهِ وليلةٍ تَعْــدِلُ الدُّنيا ومــا فيها

واهًا لها مِنْ ليالٍ لو تعُــودُ كما كانت وأيُّ ليالٍ عادَ ماضِيهـا

لمْ أنْسهَا مُذْ نَأَتْ عنِّـــي بَهْجَتِهَا وأيْنَ غُرٌّ مِنَ الأيَّامِ تُنْسِيْـــهَا

ومن ذلك أيضًا قوله:[3]

يــا حبَّذا وادي الْحَساءِ فإنَّـــهُ لوْ ســـاءَنِي وادٍ إليَّ مُحَبَّـبُ

يا حـــــبَّذا درْبُ السَّلــيمِ وحبَّذا ذاك القَطينُ بهِ وذاكَ الملْعَبُ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب،ص٤٦٥،والمجزريّ:لعلَّه نسبة إلى جزيرة وهي أرض بالبصرة،والجرعاء:موضع بالأحساء:وهي أيضاً:الرَّملة الطيبة المنبت.

[2] المصدر نفسه،ص٦٥١،و الجرعاء: موضع بالأحساء:وهي أيضاً:الرَّملة الطيبة المنبت،وهمى المطر:سالَ لا يُثنيهِ شي،والْعزلاء:مصب الماء من القرية،ويقال:أنزلت السماء عزاليها،إشارة إلى شِدّة وقع المطر.

[3] المصدر نفسه،ص٨٥،والقطين:القاطن أو أهل الدَّار،وقِلى:القلى هو البُغض،

وعِصابةٌ فارقتهُم لا عــنْ قِلًى منّي ولا لي غير والدِهِم أبُ

ولم تقتصِر مشاعر الشوق والحنين لدى الشاعر على الأهل والدِّيار،حيثُ امتدَّت لتشمل الاشتياق لأيَّام الصِّبا والشباب التي قضاها في دياره وبين أهله وأحبائه،وذلك في مثل قوله:[1]

سُقيا لليالي اللهـــــو لقـد كانت وتولَّـــت كالحـــــلمِ

يا خُضرتَها يا نَضْـــــرتَها ياحسْرتها إذ لـــم تَـــــدُمِ

إذ ليـــــــس البِيضُ تُؤنِبُني بمشيـــبٍ لاحَ ولا عـــــدَمِ

وقوله في قصيدة أخرى أشار فيها إلى حنينه للأماكن التي شهدت نشأته وشبابه:[2]

للـــهِ أيّامُ الصِّبا إذ دارُنـــا حجْرُ القُرَى ولنا بِإجْلَةَ معْهَـدُ

كمْ ليلةٍ طالَتْ فقصَّرَ طُولَها شَدْوُ المزاهِرِ والغزالُ الأغْيَـدُ

وترنُّمُ الأوتارِ في يـدِ قَيْـنَةٍ غَنِجٍ يدِينُ لها الغَريضُ ومعْبَدُ

أنْكرتْنِي للشيبِ وهو جلالـةٌ أَوَ كيْفَ يُنْكَرُ للصِّقالِ مُهَنَّـدُ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٥٨١.

[2] المصدر نفسه،ص١٦٠وص١٦١،و حجْر:مدينة باليمامة،وإجلة:من قرى اليمامة،والمزاهر:جمع مزهر وهو العود،والأغيد:الوسنان(الناعس) المائل العنق،والغريض:من أشهر المغنيين في صدر الإسلام،واسمه عبدالملك ويُلقَّب بالغريض لجماله ونضارة وجهه،ومعبد:هو معبد بن وهب،نشأ يرعى الغنم لمواليه بني مخزوم بالمدينة،ثم نبغ في الغناء وأقبل عليه كبراء المدينة.

٣_الفخر.

عند العودة إلى ديوان الشاعر نجد أنَّ معاني الفخر لديه كانت تدور حول ثلاثة محاور:

المحور الأول:الفخر بذاته.

المحور الثاني: الفخر بقومه وأمجادهم.

المحور الثالث:الفخر بشعره.

أولاً:الفخر بذاته.

غلبت قصائد الفخر الذاتي لدى الشاعر على قصائد الفخر بقومه من ناحية العدد،والسبب في ذلك يعود إلى إعجاب الشاعر واعتداده الشديد بنفسه.

ومن الملاحظ أنَّ معاني الشاعر في الفخر بذاته كانت مُسْتمدّة من ظروف حياته التي انعكست على تجربته الشعرية،فكان الشاعر نتيجة لذلك دائم الفخر بشجاعته،ونُبْل أخلاقة،وهمّته العالية،وقوته في الصبر على الخطوب ونوائب الدّهر التي واجهها في حياته.

ويبدو ذلك في مثل قوله مفتخرًا بقوة عزيمته في مواجهة نوائب الدّهر:[١]

أتدْري الليالي أيَّ خَصْمٍ تُشَاغِبُهُ وأيَّ هُمــامٍ بــالزرايـــا تُواثِبُـــهْ

تجَاهلَ هذا الدَّهْرُ بـــي فتَكتَّبَتْ علــيَّ بأنــواعِ البـــلايا كتــائِبُهْ

وظنَّ مُحــالاً أن أدِيـــنَ لِحُكمــهِ لِتبْكِي على عقْلِ المُعنَّى نوَادِبُـهْ

وإنِّي وإنْ أبْدَى اصــعْرارًا بِخــدِّهِ وأوْجَفَ بي وازْوَرَّ لِلْبُغْضِ جَانِبُهْ

لأَغْضَى علــى بغْضائِهِ وازْوِرَارِهِ وأعجــبُ مِن حُرٍّ كريــمٍ يُعاتِبُـهْ

واستقبلُ الخطبَ الجـليلَ بثاقبٍ مِنَ العزْمِ يعْلُو لاهبَ النَّارِ لاهبُهْ

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٥٢وص٥٣،وتكتَّبت:تهيَّأت،وصعَّر خدَّه:أمالهُ عن النظر إلى الناس تهاوناً مِنه وكبْر،واليهفوف:الجبان.

ورأْيٍ متــى جـرَّدتُـــــهُ وانْتَضـيْتُهُ وجدت حُسـامًا لم تُفـلَّلْ مضارِبُـهْ

ولسْتُ بِيَهْفُوفٍ يـــــرى رأيَ عِرْسِهِ متى أركبْتــهُ مركبًا فهـوَ راكِبُـــهْ

وقوله في قصيدة أخرى يفخر فيها بمعاني العزّ والمجد والشرف يقول فيها:[١]

يأْبى لي المجدُ أنْ أرْضَى بغيرِ رِضا ورأيٍ مــاضٍ وعزمٍ غيـر مُفْتَـرَعِ

مالِــي أُجمْجِـمُ في صدري بلاَبِلَــهُ ومَنْكِبُ الأَرْضِ ذو منْــأَى ومُتَّسَعِ

وكـل أرضٍ إذا يمَّمْتُهــا وطنِـــــي وكــلَّ قومٍ إذا صاحبْتُهـمُ شِيَـعِي

ولــي مِنَ الفضْــلِ أسْنَــاهُ وأشْرَفــهُ وهــمَّةٌ جَــاوزَت بي كُــلَّ مُرْتَفَعِ

وقوله مفتخرًا بعزّة نفسه فيقول:[٢]

فــلا يتــوهَّمِ السُـفهــــاءُ أنَّـــــي أحِـــــنُّ إلى غـــوَانٍ أو مَغَــانِ

ولا أنِّـــــي أرَى والمــوتُ حتْـــمٌ بعيــنِ جَلاَلَــةٍ مــنْ لا يرَانـــــي

عظيمُ النَّاسِ في عينـــي حقيـــرٌ إذا بالمُقْلــةِ الخوْصَـــــاَ رآنِــي

مُحَــالٌ أنْ أُواصِــلَ مـــنْ جفَاني وأسْمـــحَ بِالــوِدادِ لِمــنْ قلانِـــي

ونجده يفخر بنفسه أيضًا في قصيدة تغلب عليها لغة التعالي من خلال عقده لمقارنة بينه وبين قومه فيقول:[٣]

وإنّي لأَذْكَى القــومِ لوْ تعْلَمونَــه نِصَابًا وإنْ كانــتْ كرِيــمًا نِصابُهـا

وأبْعَدُها في باحةِ المجْدِ غايـــةً وقابًا إذا ما امتـــدَّ للمجـــدِ قابُها

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرب العيوني،ص٢٧٧،وافترع الشيء:افتتحه وابتدأه من غير أن يُسبق له،والجمجمة:إخفاء الشيء في الصدر،والمنكب:ناحية كل شيء،ويمَّمتُها:قصدتها،وشيَعي،أنصاري،وأسناه:أعلاه.

[٢]المصدر نفسه،ص٦٢٤،والخوص:غؤور العين،والقلى:البُغض.

[٣]المصدر نفسه،ص٤١،وص٤٢،وأكدى خطابها:انقطع ولم يبن.

وأفْصحُها يومَ الخِصامِ مقالــةً إذا فصْحَاءُ القَوْمِ أكْدَى خِطَابُها

وقوله:[1]

ألستُ أوفاكُم عهْدًا وأحْلــمَكُم عقدًا وأقْوَمَكــُم بالفــرْضِ والنَّفَلِ

أليْسَ بيتُـكُم في العــزِّ مركـزُهُ بيتي فما كانَ مِن فخرٍ فمِنْ قِبَلِي

ألستُ أطْوَلَكُم في كُلِّ مكْرُمَـةٍ بــاعًا وأحْمَلَكُم للحَــادِثِ الْجَــلَلِ

حيثُ عمِد في الأبيات السابقة إلى عقدمقارنة بينه وبين قومه وصف فيها نفسه من باب الفخر بالذّات بأنَّه أوفاهم عهدًا،وأحلمهم،وأحرصهم على القيام بالفروض والنَّوافل،وأكثرهم كرمًا وصبرًا على الحوادث،فكان بذلك بيتهُ هو المركز والأساس الذي ينبع منه العز والفخر لديهم.

ثانياً:الفخر بقومهِ وأمجادهم.

معانيه في الفخر بقومه تدور حول الاعتزاز بنسبهم وأمجادهم وسيادتهم كما في قوله:[2]

أنَا ابـــنُ أرْكانِ بيتِ المجدِ لاكذِبًا والنَّازِلِيــنَ ذُرَى الْعــــلِيَـاءِ والقِمــمَا

قومي هُم القومُ في بَأْسٍ وفي كـرَمٍ إنْ ادَّعى غيــرهمْ مافِيهِمُ وَهِمَــــــا

في الجاهليةِ سُدْنَا كُلَّ ذي شــرَفٍ بالمأثُراتِ وسُدْنَــا العُرْبَ والعَجــما

وصَـارَ كُـــلَّ مُعَــدِّيٍ لنَــا تبَعًا يرْعَى بأسْيافِنا الوَسْمِيَّ حيـثُ هَمَـى

حُطْنَا نِزارًا وذُدْنَا عـن محَارِمِـــها ولــم نـــدَع لِمُنــاوِي عــزِّها حَرَمَـا

حتى أتى اللهُ بالإســـلامِ وافْتَتَحتْ كُلَّ البـــلادِ وأضْحَتْ للأَنَـــامِ سَمَـا

وفضْــلُ آخِرِنا عن فضْــلِ أوَّلِنـا يُغْنِـــي ولكـــنَّ بحرًا هاجَ فالتَطَمَـا

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٣٨١.

[2] المصدر نفسه،ص٥٣٠.،ومعدي:نِسبة إلى معَد بن عدنان،والوسمي:أول مطر الربيع،وهمى المطر:سالَ لايُثْنهِ شيئا،والقرامط:يقصد أتباع أبي سعيد الجنابي القرمطي،وشظَّى جماجمهم:فلقها وكسرها.

سلِ القرامِطَ منْ شظَّى جمَاجِمهُم فَلقًا وغَادَرَهُم بعـدَ العُـلا خَدَمَا

حيثُ أظهر الشاعر في الأبيات السابقة فخره بسيادة قومه التي امتدَّت في الجاهلية والإسلام ووصلت إلى حد تمكنهم من إنهاء حكم القرامطة وإلحاق الهزيمه بهم.

وفي قصيدة أُخرى يقول:[١]

لنا عُقْدُ الرِّياســـةِ فـــي مَعَـــدٍّ يُقِرُّ لنـــا بـــهِ قـــاصٍ ودانٍ

نقُـــودُ النَّاسَ طـــوْعًا واقْتِســـارًا برأْيٍ قـدْ أُدِيـــرَ بِلا اعْتِشَـــانِ

وأبْيضَ قـــد خَضبْنَا البيضَ منـهُ بِأحْمَـرَ مـــنْ دمِ الأوْداجِ قـانِ

ورأْسٍ قـــدْ عنقْنَـــا الرَّأْسَ منـــهُ بأبيـــضَ كالعـــقيقةِ هُنْـدُوانِ

وباحَـــةِ عِـــزٍّ جبَّـــارٍ أبَحْنَـــا بِعشَّـــاتِ القنَـــا لا بِالْعُشَـــانِ

تعيـــشُ النَّـــاسُ ماعِشْنَا بخيْرٍ وتَحْيَـــا ما حَيِينَـــا فـــي أمـــانِ

فإنْ نُفـــقَد فـــلا أملٌ لِـــرَاجٍ يُؤمِّـــلُـــــهُ ولا عـــوْنٌ لِعَـــــانِ

وهلْ يُغْنِي غِنَـــاءَ المـــاءِ آلٌ يُرَيِّعُـــهُ الهَجِيـــرُ بِصَحْصَـــحَانِ

ولاَ كالسَّيْفِ لـــو صَدِأتْ وفُلَّـتْ مضَاربَـــهُ عصَـــا مِـــنْ خَيْزُرَانِ

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٦٣٠،و اعتشن:قال برأيهِ وخمَّن،و الأبيض:السيف،والبيض:جمع بيضة وهي الخُوذة التي تقي الرأس في الحروب،ورأس:يقصد بهِ سيد القوم،وعنق رأسه:شقَّها،والعشان:أصل السعفة،والعاني:الأسير،والآل:السراب،وتريَّع السراب:جاء وذهب،والصحصحان،ما استوى من الأرض.

ويقول في أخرى مفتخرًا بقبيلته وبقومه من خلال وصفه لهم بأنَّهم السّابقون دائمًا إلى المعالي وأنَّهم في الذّروة مِن ربيعة،وأنّهم سيوف نِزار عند القتال والمُجالدة،وهم المدافعون عن حمى مَعْد:[1]

أنا ابنُ السَّابِقِينَ إلـــــى المعَالِي وأرْبَابِ الممَـــــالِكِ والمسَـــــاعِي

حلَلْنَا مِنْ ربيعةَ فـــــي ذُرَاهَـــا وجاوزْنَا الفُـــرُوعَ إلـــى الفِـــرَاعِ

وقدْ علِمـــتْ نِزارُ أنَّ قـــوْمِي سيُوفُ ضِرابِهَـــا يـــومَ المصَـــاعِ

وأنَّا المَانِعـــونَ حِـــمَى معَدٍّ وأهلُ الـــذَّبِّ عنْـــها والدِّفَـــــاعِ

ويقول أيضًا في الفخر بهم:[2]

قومِي سُراةُ ربِيْعَةٍ ومُلُوكُـــــها وإذا نُسِبْتُ وُجِـــدْتُ مـــنْ سَرَواتِهـا

الطّاعِنِـيْنَ الخَيْلَ في لبَّاتِهـــا والضَّارِبِيْنَ الصّيـــدَ فـــــي هاماتها

وقوله:[3]

بِها كُلُّ قرمٍ مِنْ ربِيْعَـــة ينْتَمِي إلى ذرْوةٍ تعْلُو الرّواســـي هِضَابُها

لُكيْزيّـــةٌ أنْسَابُها عامِرِيّـــةٌ يلوذُ المُنَاوِي ضيمُهـــا واعتِصَابُها

إذا ثوّب الدّاعِي بها:يـالَ عامِرٍ أتَتْ مثْلَ أُسْدِ الغابِ غُلْـــبٌ رِقَابُها

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٢٧٠،والمصَاع:القِتال والمُجالدَة.

[2] المصدر نفسه،ص١٠٧،والسراة:جمع سرى،وهو صاحب المروءة والشرَف،وسروات القوم:سادتهم،ولبّاتها:جمع لُبّة وهي موضع القلادة من العُنُق.

[3] المصدر نفسه،ص٤٢،و لُكيزيّة:نسبة إلى لُكيز بن أقصى بن عبدالقيس،وثوّب:صوّت،وغُلب:غِلاظ الرّقاب.

ثالثاً: الفخر بشعره.

أبدى الشاعرفي بعض قصائده فخره الشديد بشعره الذي صاغ مِن كلماتهِ ومعانيه دُررًا منظومة وذلك في مثل قوله:[١]

لقد تفكَّرتُ في شأني وشأْنِهِـمُ فبَانَ لي أنَّ ذنْبِي عِنـــدهُمُ ورَعِي

وليسَ ذلِك على مالٍ نعِمتُ بهِ حيْنًا وأفْنَــاهُ صرْفُ الأزْلَــمِ الجَذَعِ

ولا على زِلَّــةٍ أخْشَى عواقِـبها والنَّـــاسُ حِزْبَانِ ذو أمْنٍ وذو فزَعِ

لكِن على دُرَرٍ تــزهُو جواهِرُها في عِقْدِ كُلِّ نَظَّــامٍ غـيرِ مُنْقطِـعِ

توجْتُها معْشرًا لا أبْتَغِي عِوَضًا عنْها وإنِّـي فـي قومـي لــذو قَنَــعِ

وكُنتُ أولَى بها منهم وكم مِنَنٍ ضاعَت وما فائِتٌ يمْضِي بِمُرْتَجَعِ

وقوله مشبِّهًا شعره بالجواهر التي يعجز سابقوه من الشعراء عن الإتيان بمثلها:[٢]

ولأُهْدِيَنَّ إلى عُـــلاكَ مدائِحًا يُنْسِيْـــكَ شادِيْها الغَرِيْضَ ومعْبَدَا

وإلَيْكَ منْ دُرِّ الكلامِ جواهِــرًا يُعْيِيْ الفـــرزْدَقَ نظْمُها ومُــزَرِّدا

وقوله في قصيدة أخرى:[٣]

إليكَ أبَا المنصورِ عِقْدَ جواهِرٍ قلمَّسُها صدْري وغوَّاصُها فِكْــرِي

نفِسْتُ بها عمَّن سِواكَ وسُقْتُها إليكَ لِعلمي أنَّها أنْفــَسُ الذُّخُــرِ

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٢٧٤وص٢٧٥وص٢٧٦،والأزلم:الدهر الشديد الكثير البلايا.

[٢]المصدر نفسه،ص١٧٥،ومزرّد:هو ابن ضرار بن حرملة المازني الذبياني الغطفاني،من الفرسان الشعراء،وقد أدرك الإسلام في كبَره وأسلم.

[٣]المصدر نفسه،ص٢٠٤وص٢٠٥والقلمس:البحر.

كما افتخر في قصيدة أُخرى بشعره الذي أَلْبَسَ من خلاله قومه وموطنهُ ثوبَ العُلا فاستحقَّ بذلك شهادة العالم الفاضِل "مُحب الدين أبو البقاء العكبري"[١]الذي أقرَّ له بالحذق وشهِد له بالسبق،مبيّنًا بأنَّه ليس العالم الوحيد الذي شهد له بذلك بل كان إلى جانبه علماء بغداد أيضًا فنجده يقول:[٢]

كَسَوْتُ قومِيَ والبحرينَ ثوْبَ عُـلاً ... يبْقَـــى جديدًا بقَاءَ الحُوتِ والْحَــمَلِ

لقد تقَدَّمتُ سَبـقًا مَن تقَدَّمنـــــي ... سِنًّا وأَدرَكَ شَـــأوِي فَــارِطَ الأوَلِ

بذاَك قدوةُ أهـلِ العلمِ قاطبـــةً ... أبو البقاءِ مُحبُّ الدِّينِ يشهـــدُ لي

هـــوَ الإمامُ الذي كُلٌّ لــهُ تَبَــعٌ ... مِنْ كُلِّ حَـــافٍ عنِ الدُّنيا ومُنْتَعِـلِ

ولمْ يَقُلْ وحْدَهُ ماقالَ بلْ شهِـــدَت ... بهِ الأفَاضِلُ مِن بغــداد عن كَمــلِ

---

[١]هو عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري،البغدادي،اشتغل بالأدب واللغة والفرائض والحساب،وهو شارح ديوان المتنبي،وكانت وفاته في بغداد سنة ٦١٦.

[٢]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٣٨٢وص٣٨٣،والحوت والحمل:مِن أبراج النجوم.

٤_الوصف.

لم يعتمد ابن المقرَّب كثيرًا على هذا الغرض الشعري في شعره،حيث كان يُضمَّنه في بعض مدائحه من خلال بعض الأبيات الشعرية.

والوصف في شعر ابن المقرّب يأخُذ ثلاثة اتّجاهات:

الاتّجاه الأول:عمِد فيه الشاعر إلى وصف البيئة من حوله أو ما شاهده في أثناء رحلاته.

الاتّجاه الثاني:وصف تاريخي يتضمّن تسجيل بعض الوقائع التاريخية.

الاتجاه الثالث:وصف الشاعر من خلاله حاله وما آلت إليه الدولة العيونية مع أبناء عمومته.

ومِن أمثلة الاتّجاه الأول في شعره قوله واصفًا إحدى رحلاته وما واجهه فيها من مصاعب:[١]

كمْ جُبْتُ دُونَكَ مِنْ تَيْهٍ يتِيْهُ بِهـا قلْبُ الدَّلِيْلِ مِنَ الإِشْفَاقِ والسَّأَمِ

ومُزَبَّدٍ يَتــرَآى المــوتُ رَاكِبَــهُ يَرْمي بِمُقْلَوْلَبِ الأَمْواجِ مُرْتَطِـمِ

قدْ قُلْتُ للنَّفْسِ فيهِ وهي مُجْهشَةٌ والموجُ مِنْ هَازِمٍ فيهِ ومُنْــهَزِمِ

قِــرِّيْ فلَوْ شَاءَ أَمْرًا فهُوَ بَـالِغُـهُ والْموتُ آتٍ وما تلْقَيْنَ كالْحُـلُمِ

حيث وصف الصحراء التي قطعها في سبيل الوصول إلى الممدوح ذلك المكان الذي واجه فيهِ التَّيه والضياع إلى جانب الخوف والضَّجر،ثم وصف البحر الذي واجه فيه الموت بسبب أمواجه المتلاطمة التي يعلوها الزَّبد،وصوَّر ما أصابه فيه من خوف وهلع دفعه إلى مخاطبة نفسه وتهدئتها بأنَّ الموت حقيقة وليس حلم وهو آتٍ لكلِّ نفسٍ لا محالة.

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٥٦١.

وله أيضًا قصيدة وصفَ خلالها السفينة بقوله:[1]

بِكُلِّ مَطْلِيٍّ الْمِـــــلاَطَيْنِ لـــــــمْ يَجْرَبْ ولـــــمْ يرْعَ بِمَرْعى السَّــوامْ

تسُـــــــوقُهُ الرِّيـــــحُ وتَحْـتَثُّهُ الْ جَلُّ وفـــــي الوجْعَاءِ مِنهُ الزِّمـــامْ

لا يعْرِفُ الإعْياءَ فـــــي سيْـــــرِهِ ولا يُبَـالي أمْـــضَى أمْ أقَـــــامْ

وقدْ تساوى عندهُ فـــــي المـــــدى يومٌ وأُسبـــوعٌ وشـــــهرٌ وعـــــامْ

ففي الأبيات السابقة استهلَّ الشاعر وصفه للسفينة بذكر بعض التَّفاصيل فيها كما في قوله:"مطلية الملاطين" أي الجانبين"وقوله:"وفي الوجعاء منه الزمام".

واعتمد في وصفه السفينة على عقد مقارنة بينها وبين النَّاقة،فالسفينة كما صوّرها الشاعر لها جانبان مطليان إلاّ أنّها لاتُطلى للشفاء من الجرَب كما هو الحال في الناقة التي تُطلى بالقطران عند إصابتها بالجرب،ولاتحتاج السفينة إلى الرعي،وتقودُها الرِّيح،ولها مقود في مؤخرتها كزِمام الناقة الذي يكون في رأسها،وهي إلى جانب ذلك لاتتعب ولا تعرف الإعياء فيتساوى عندها اليوم والأسبوع والشهر،في حين تتعب النَّاقة من السير الطويل.

وفي قصيدة أخرى وصف الناقة بالسرعة،وبأنها وثيقة الخلق،عظيمة السَّنام،لها فروٌ يبدو لشدَّة جماله كالدَّرْنَك وهو ضرْبٌ من الثيابِ أو البُسُط له خُمل قصير كخُمل المناديل،وكان ذلك لها لأنَّها ترعى في مراعي خصبة لا يتوقَّف المطر عن الهطول عليها.[2]

وقـــدْ قَرَّبـــوا للبيْـــنِ كُـــلَّ هَمَرْجَـــلٍ أَمُونِ الْقَـــرَى ضَخْمِ العَثَانَيْنَ تَامِكِ

قِمَطْـــرٍ دَرْفَـــسٍ قَيْســـرَيٍّ كأَنَّـــمَا مَنَاكِبَـــهُ جُلِّلْـــنَ وشْـــيَ الدَّرَانِـــكِ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب،ص٥٧٣،و المِلاط: ما يُطلى به الحائط أو الجنب،وهو يعني هنا جانبي السفينة،و السَّوام:الماشية والإبل الرَّاعية،ويجْرُب:يصيبهُ الجرب،و الجَلُّ:الشراع،والوجعاء:يعني بها هنا مؤخرة السفينة.

[2] المصدر نفسه،ص٣٠٦،والهمرجل:الناقة السريعة،و أمون:وثيقة الخلق،والقرى:الظهر،و العثنون:شعيرات طوال تحت حنك البعير،و التامك:الناقة العظيمة السنام،و القمطر و الدرفس والقيسري: صفات للجمل العظيم،و واجفا والصلب:أسماء لأماكن واستهلَّت:استهلَّ المطر أي اشتدَّ انصبابه،و الوطفاء:السحابة المسترخية لكثرة مائها،و الرامك:المقيمة لا تبرح.

رعَى واجِفًا فالصُّلْب مِنْ أجْبُلِ الغَضَا بحـيثُ استَهَلَّتْ كُـلُّ وطْفَاءَ رَامِكِ

أمّا الاتجاه الثاني في شعره فيبدو من خلال تسجيله لبعض الأحداث التاريخية التي وقعت في عصره ووصْفها نحو قوله واصفًا إحدى معارك ابن عمه الأمير محمد بن أبي الحسين:[1]

وأقْبَلَ ليْـثُ الْغَابِ أعْنِـي مُحمـدًا يُفتِّـشُ عـنْ أشبـالِـهِ ويُسـائِلُ

فقيـلَ لهُ تحتَ العَجَـاجةِ دَأْبَـهُمْ طِعَانُ الْعِدَى في حيثُ تَخْفَى المَقَاتِلُ

فأَوْرَدَهـم صـدْرَ الْحِصـانِ كأنَّـهُ بِأخْـذِ نُفُـوسِ الْقَومِ بِالصَّدْرِ كَافِـلُ

فَطَـارُوا سِـلالاً مِنْ أَسِيْرٍ وهَارِبٍ ومِـنْ هالِكٍ تَبْـكِي علـيهِ الثَّواكـلُ

ولـمْ يبـقَ إلاَّ خـائِفٌ مُتـرَقِّبُ حِمَـامًا سريعًا أو نَزِيـلٌ مُنَـازِلُ

ومِنْ بَعْدِ ذاكَ العِزِّ أَضْحَتْ مُلُوكَهُم وكُـلٌّ لدَيْـهِ خَاشِـعٌ مُتَضَـائِلُ

وقد قدّم في الأبيات السابقة وصفًا لبلاء الممدوح في المعركة،حيثُ أقبل الأمير محمد بن أبي الحسين يُفتِّشُ عن مُقاتليه فكان كاللَّيث الذي يُفتِّشُ عن أشبالهِ،ووجدهم تحت دخان المعركة يُقاتلون الأعداء ويطعنونهم حيثُ تخْفى المقاتل،فأوردَ أعداءهُ صدر حصانه بكل شجاعة وإقدام، ووقعوا بين يديه مابين أسيرٍ وهاربٍ من الموت وهالكٍ تبكي عليه الثَّواكلُ،ولم يبق منهم إلاَّ مرتقِبٌ يرتقِب الموت السريع أو نزيلٌ ينتظرُ من يُنازلهُ،وأصابهم الذُّل من بعد العز وباتوا مابين خاشعٌ ومتضائلٌ أمامه.

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٣٥٧،و سِلالاً:مأخوذة من انسلَّ وتسلّلَ أي انطلق في استخفاء،و حِمَاماً:الحِمام أي الموت.

ومن وصفه التاريخي تصويره بقصيدة للجامع الذي أعاد ترميمه شمس الدّين باتكين في مدينة البصرة،وفيها يقول:[1]

وبِجَامِــعٍ نَـــدَّ الجوَامِـــعَ كلَّــها حُسْنًا وعرْضًا فـــي البِنَـــاءِ وطُـولاَ

لَولا اتِّفَاقِ حرِيقِهِ فـــي عصـــرِهِ لَعَفَا وعطَّلَ رسْـــمُـــهُ تَعْطِيـــلا

كَمْ مِن رُوَاقٍ زَادَ فيـــهِ وحُصْـــرُهُ زَادَتْ إلـــى تَرْفِيْـــلِهِ تَـرْفِيْـــلاَ

وَبَنَى بِـــهِ للمُسْلِميـــنَ مُقَرْمَـــدًا تَرَكَ الخَـــوَرْنَقَ في العيونِ ضَئِيـلاَ

حيث وصف الجامع في الأبيات السابقة مُبيّنًا أنه مُزينٌ بالحُصر والبُسُط،وأنَّه طُليا بالجص وهو خام لونهُ كلون الصدف يُستخدم في طلاء البيوت،وأنَّه لضخامتهِ جعل(الخورنق)وهو قصر للنعمان الأكبر يبدوا ضئيلاً في أنظار الناس.

والاتّجاه الثالث في شعره يبدو في مثل قوله واصفًا حاله وحال الدولة العيونية مع أبناء عمومته من الأمراء العيونيين،والأسباب التي دفعته إلى الرحيل:[2]

و أَهْجُرُ داراً لو يحِلُّ ابـــنُ قاهِثٍ بِها راحَ مسْحُوتًا من المالِ مُجْـحَدَا

يُدَبِّرُها أوْبَـــاشُ قـــوْمٍ تنَـــــكَّبُوا عنِ الرُّشْدِ حتَّى خِلْتُ ذا الغَيِّ أَرْشَدَا

أَقَامُوا الأغَانِي بِالمَغَانِي وضَيَّعُـــوا كِرَامَ الْمسَـــاعِي والثَّنَـــاء المُخَـــلَّدَا

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٤١٠وص٤١١،وندَّ الجوامِعَ:خرجَ عنها بحسنِهِ وفخامتِهِ،وعفَا:اندَثَرَ،وترفيل المسجد:تزيينهُ بالحُصُر والبُسُط،والمُقرْمَد مِن البناء:ماطُلِيَ بالجص وهو خام لونه كلون الصدف يستخدم في طلاء البيوت،والقرمدْ أيضاً:الخَزَف المطبوخ،وحِجارة لها خُرُوق تنضُج بها،والخورنق:قصر للنعمان الأكبر،والشلو:قطعة لحم.

[2] المصدر نفسه،ص١٥٦،و ابن قاهث:هو قارون بن قاهث المشهور بثرائه وهو المذكور في سورة القصص،و مسحوت:من مال سحيت أي مُتلَف و ضائع،و أوباش:الأوباش هم سفلة النَّاس،و تنكَّبوا:التنكُّب عن الشيء هو العدُول والتَّنحي.

كما يصف يأسه من تغيُّر أحوالهم بقوله:[1]

كم لُمتُ قومي لا بل كم أمرتُــهُم بِحَسم داءِ العِدَا فيهم فَلــَم أُطـــعِ

فَلَم أجِد بعدَ يأسِي غير مُرتحــلِي عنهُم لِهَـمٍّ أُسلِّيـــــهِ ومُتَّـــــدَعِ

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص،٢٧٨.

٥_الغزل.

لم يكُن ابن المقرَّب العيوني شاعرًا غزليًا فقد كان مقِلاً في هذا الغرض،ولعلَّ السبب في ذلك يرجع إلى طبيعة حياته والظروف التي مرَّ بها.

فبعد خروجه من السجن لم ينعم بالرَّاحة وعاش حياةً سادها التشرُّد وعدم الإحساس بالأمان، ونتيجة لذلك سخَّر شعره في خدمة شغله الشَّاغل آنذاك،وهو إيجاد من يساعده على استرداد حقه،وتحقيق مايطمح إليه من مجدٍ وبلوغٍ للمعالي.

وقد عبَّر ابن المقرَّب عن ذلك في إحدى قصائده عندما قال:[١]

ظننتِ نحولِي واصفِرَارِي مِنَ الهوى وذلــكَ ممَّــا يَقْتَضــيهِ التَّــوهُمُ

لعمــركِ مابِي مِن هوىً غيرَ أَنَّنِيْ بغيــرِ المعالي يا ابنــةَ القومِ مُغْرمُ

ومع ذلك وظَّف ابن المقرَّب بعض أبيات الغزل في شعره،ومن ذلك قوله معبِّرًا عن اشتياقه للمحبوبة:[٢]

أَرَتْهَا المــآقِي ما تُكِــنُّ الْجَــوَانِحُ فَبُــحْ فالمُعَــنَّى بِالصَّبَــابَةِ بَائِــحُ

فَكَمْ تَسْتُرُ الشَّوقَ الذي خَامَرَ الْحَشَا ودَمْــعُ المــآقِي للمُحِبِّيــنَ فَاضِــحُ

ويعبّر في القصيدة نفسها عن صدّ المحبوبة له بسبب الشيب في قوله:[٣]

وقَائِلَــةٍ شِبْــهَ الْمَــلاَمِ ورَاعَــهَا بيَاضُ مَشِيْــبٍ جلَّلَتــهُ الْمَسَــائِحُ

أبَعْــدَ اشْتِعَالِ الرَّأْسِ شَيْبًا تَعَرُّضٌ لِوَصْلِ الْحِسَانِ الْبِيضِ أم أنتَ مازِحُ

فقُلْتُ:أَلَيْسَ الصُّبْــحُ أحْسَنَ منْظَرًا وأَبْهَــى مِنَ الظَّلْــمَاءِ والليــلُ جَانِــحُ

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٤٤٨.
[٢]المصدر نفسه،ص١٢٠.
[٣]المصدر نفسه،ص١٢٢،و جلَّلته:سوَّدته،و المسائح:جمع المسيحة،وهي الذُّؤابة،أي شعر مقدّمة الرأس،ويقصد أنَّ شيبه خالطه سواد ذؤابته،و القوادح:جمع قادحة وهي سوسة تنخر الأسنان.

فَمَالَتْ لِهَزْلِ القولِ ثُم تَضَـــاحَكَتْ وقالَـــتْ:لِهَـــذَا فَلْتَنُـــحْكَ النَّـــوائِحُ

إذَا كانَ شَيْبُ الـــرَّأسِ ممَّا يُزَيِّنُـــهُ فيَا حُسْـــنَ ثَغْرٍ سوَّدتـــهُ الْقـــوَادِحُ

وفي قصيدةٍ أخرى عبّر عن اشتياقه للمحبوبة،وهو اشتياقٌ أشعله في قلبه غناء الحمام فأفقده ثوب الوقار ،وصيَّره نحيلاً كالسهم قبل أن يُراش وينصل،وجعل قلبه مضطربًا غير مستقر:[1]

صَبَـــا شوْقًا فحَـــنَّ إلى الدِّيَـــارِ ونَازَعَـــهُ الْهَوَى ثَـــوْبَ الْوَقَـــارِ

وَهَـــاجَ لهُ الْغَـــرَامَ غِنَـــاءُ وُرْقٍ هواتِفُ فـــي غُصُـــونٍ مِنْ نُضَـــارِ

صَدَحْـــنَ غُدَيَّـــةً فَتَـــرَكْنَ قلبِي وكانَ الطَّـــوْدَ كالشيءِ الضّـــمِارِ

وفي قصيدة أخرى عبّر عن اشتياقه لها من خلال تخيُّله لرؤية طيفها وهو يعبُر الفرات فيقول:[2]

سَمَـــا لكَ مِنْ أُمِّ الْعُبيْـــدِ خيَالُ ودُونَ لِقَـــاهَا أَجْـــرُعٌ وسَيَـــــالُ

سَمَـــا ومَطَايَانَا كـــأنَ اقْتِحَامَهَا غَوَارِبَ أمْـــواجِ الْفُـــرَاتِ فِيَـــالُ

فأَهْدى سُرُورًا عَازِبًا كانَ قدْ مَضَى وأَنْسَـــتْهُ أيَّـــامٌ مَـــرَرْنَ طِـــوَالُ

وعـــادَ فَلـــمْ يَلْبَثْ فَـــوَاقًا كَأنَّمَا عليـــهِ بِتَعْجِـــيْلِ الرُّجُـــوعِ كِفَـــالُ

إلى أنْ بَلَغْنا الْجِسْرَ والتِّرْعَة التي بِأَكْنَـــافِها الْحَـــيُّ الْكـرَامُ حِـــلاَلُ

وحَانَتْ لِعَيْنِي يقَظةٌ بَـــانَ عندَهَا بأَنَّ الـــذي قـــدْ كُنْـــتُ فيهِ مُحَـــالُ

فوَاهًا لـــها تهْويمَةً بَعَثَـــتْ جَوًى حُرِمْـــتُ لـــهُ الـــلذَّاتِ وهي حَـــلالُ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،دبوان ابن المقرّب العيوني،ص٢١٤،والورقاء:الحمامة،و النضار:الأثل،أو الطويل منه المستقيم الغصون،أو مانبت منه في الجبل،و غُديَّة: تصغير غُداة وهي مابين الفجر وطلوع الشمس،و الطود:الجبل،و الضمار:الشيء لا يُرجى رجوعه،و القدح:السهم قبل أن يراش وينصل.

[2] المصدر نفسه،ص٤٣٤وص٤٣٥،و أجرع:جمع جرعاء وهي الرملة الطيبة المنبت،و سيّال:جمع سيَّالة وهي نبات له شوك أبيض طويل إذا نُزع خرج منه اللبن،و الفيال: لعبة للصبيان يُخبئون فيها الشيء في التراب ثم يقسمونها ويقولون في أيّها هو؟،والشاعر يريد بذلك أنَّ اقتحاهم المخاطر أمر في يد القدر.

أمَّا قصائده التي اتجه فيهاإلى وصف جمال محبوبته فقد غلبت عليها الأوصاف التقليدية البعيدة عن الغزل الفاحش نحو قوله:[١]

خليلِيَّ هُبَّا مِنْ كَرَى النَّومِ وانْــظُرَا مخائِلَ هذا الْبرْقِ مِـــن حيْثُ يَلْمَحُ

لقدْ كِدْتُ ممَّا كَـادَ أنْ يَسْــتَفِزَّنِيْ أبُــوحُ بِسِرّي فــي الْهَــوى وأُصَرّحُ

ذكَــرْتُ بهِ ثَغْرَ الْحَبِيْــبِ وحُسْنَهُ إذا ما تَجَلَّى ضَاحِكًــا وهــو يَمْرَحُ

ويا حبَّذا ذاكَ الْجَبِيْــنُ الذي غَدَا يلُــوحُ عليــهِ الزَّعْفَــرَانُ المُــذَرَّحُ

وقوله:[٢]

وكَواعِبــًا بِذَوي الْعُقُولِ لَــواعِبًا بِيْــضَ الْخُــدُودِ نَواعِــمَ الأبْــدَانِ

مِنْ كُلِّ خَرْعَبَةٍ تُرِيْكَ إذا بَــدَتْ بَــدْرَ الدُّجُنَّةِ فَــوْقَ غُصْنِ البَانِ

وإذا تــرآتْ لِلْحَلِيْــمِ رأيْتَــــهُ فــــي فِتْنَــةٍ مِنْ طَـرْفِهَــا الْفَتَّانِ

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١٣١،و الزعفران المُذَرَّح:ذرَّحت الزعفران في الماء أي جعلت فيه منه شيئا يسيراً.

[٢]المصدر نفسه،ص٦١٨،وخرعبة:الخرعب الشابة الحسنة الخلق أو البيضاء اللينة الجسيمة الرقيقة العظم، والْبَان:شجر يُوصف بالاستقامة.

المبحث الثاني

موازنة بين الموضوعات الشعريَّة وسماتها لدى الشاعرين.

أولاً:المديح لدى الشاعرين.

١_اشترك كلا الشاعرين في غلبة غرض المديح في أشعارهما على باقي الأغراض الشعرية.

٢_كان للمنصور بن أبي عامر نصيب الأسد في مدائح ابن درّاج،واتّسمت قصائد المديح التي نظمها ابن درّاج فيه بصدق العاطفة،وهو ما ذهب إليه محقّق ديوانه الدكتور"محمود مكّي"حيثُ ذهب إلى أنّ قصائد ابن درّاج في المنصور بن أبي عامر كانت ناتجة عن إعجاب حقيقي بشخصية المنصور وكفاحه في سبيل الإسلام.[١]

في حين كان الغرض من مدائحه لباقي ممدوحيه الحصول على المال والعطايا والبحث عن الاستقرار له ولأسرته في ظلّهم.

٣_كان الأمير محمد بن أحمد بن أبي الحسين أكثر شخصية توجّه لها ابن المقرّب بالمديح،واتّسمت قصائد مديحه له بالعاطفة الصادقة التي لايشوبها طمعٌ أو مصلحة،ومما يؤكد ذلك حكايته معه حين أُعجب الأمير بإحدى قصائده فيه،فعرض عليه أن يأخذ من الأموال مايريد،فردّ عليه ابن المقرّب بقوله:"والله ماقلتُ ماقلت وذكرتُ ماذكرت لشيءٍ من الجوائز ولا زيادة مال،وإنّما كان ذلك مني إذ رأيتك أهلاً لما ذكرت،فوضعته في موضعه".[٢]

بينما كانت باقي مدائحه إما بغرض استعادة أمواله وومتلكاته،أو دفعًا للأذى والمفاسد كما هو الحال في مدائحه لأبي المنصور علي بن عبدالله بن علي،وهو ما أكّده محقق ديوانه بقوله:"وما كان من مقاله في أبي المنصور علي بن عبدالله بن علي،فهو مصانعه منه واستدفاع،وكف لشرّه واستمناع،ولم يكن مادحًا له على إحسان،ولا على ثقة من الأمان".[٣]

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤٨،بتصرّف.
[٢]أنظر علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٥٨٥
[٣]أنظر المصدر نفسه،ص٦.

٤_كان لصفة الكرم النصيب الأكبر في مدائح ابن درّاج وابن المقرّب،حيث قدَّم ابن درَّاج ممدوحه بكثرة في صورة القوة المانحة للحياة والعطاء،من خلال عدَّة قصائد منها على سبيل المثال قوله في مديح المنصور بن أبي عامر:[١]

منْ ذَا يُنـــازِعُكُم أعْـــلاَمَ مكْرُمَةٍ والمجْـــدُ مُتَّلِدٌ فيـــــكم ومُطَّرِفُ؟

أمْ مـــنْ يُبَارِيْكُم سبْقًا إلـــــى كرَمٍ والْبَرْقُ عن شأْوِكُمْ بالْمَجْدِ مُعْتَرِفُ؟

وقوله في مديح المُظفَّر بن عبدالملك:[٢]

كرُمْتَ فما يَعْيَا بِحمْدِكَ مُفْحَـــمُ وسُـــدْتَ فما يغْبَـــى بِقدْرِكَ جَاهِلُ

وجُودُكَ في سِلْمٍ وبَأْسُكَ في وَغَىً بُحُـــورٌ طَـــوَامٍ مالهُـــنَّ سواحِـــلُ

وقوله فيه أيضًا:[٣]

ومدَّ إليـــكَ النَّاظِرُونَ نـــواظِرًا أقَامَتْ بإِخْـــلاَصِ القلوبِ شُهُودَا

فمَـــلَّأْتَهَا هَدْيًا وبِرًّا وسُـــوْدَدًا وبَأْسًا علـــى أعْدَائِهِنَّ وجُـــودَا

كما مدَح المنذر بن يحيى بقوله:[٤]

ولَوْ نَثَرَ الْبَحْـــرُ المُسَـــخَّرُ دُرَّهُ لمَـــا كـــانَ إلاَّ فـــــي ذُرَاكَ انْتِثَارُهُ

ولـو كان مِنْ زُهْرِ الْكَواكـــبِ زائِرٌ إلى مَلِـــكٍ ماحَـــادَ عنْكَ مـــــزَارُهُ

والأمر كذلك لدى ابن المقرّب الذي قدَّم ممدوحه في هذه الصورة من خلال عدة قصائد منها قوله في مديح تاج الدين إبراهيم بن محمود:[٥]

بِكَ عـــادَ الزَّمانُ طِفْلاً وعاشَ ال جُـــودُ مِـــنْ بعْدِ مـــــوتِهِ والـوفاءُ

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٣٥٨.
[٢]المصدر نفسه،ص٢٠.
[٣]المصدر نفسه،ص٤٨٢.
[٤]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٤٩٨.
[٥]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٢٤.

فعَلَـــى النَّاسِ يـــومَ تُفْقَدُ والـــدُّ نيَا جميْـــعًا ومَـــنْ عليهـــا العفَاءُ

يُفْقَدُ العـــلمُ والأنَاةُ وحِفْـــظُ الْ عهـــدِ والبِـــرُّ والتُّقَـــى والسَّـــخَاءُ

يا أَبَا الْفَضْـــلِ أنتَ فـي هذهِ ال أُمَّـــةِ غيْـــثٌ تحْيَا بـــهِ الأحْيَاءُ

وقوله في مديح الأمير شمس الدين أبي شجاع:[1]

مَلِيْـــكٌ إنْ يَقُلْ يَفْعَـــلْ وإنْ يَسْ تَزِدْ مِـــنْ نَيْلِـــهِ الْعَـــافُونَ زادَا

يُشَبِّـــهُ كفَّـــهُ بِالْغَيْـــثِ قـــومٌ ومَا مَـــنْ رامَ تشْبِيْـــهًا أَجَـــادَا

لوْ أنَّ الْغَيْـــثَ يُشـبِهُ رَاحَتَيْـــهِ ندَىً لـــمْ تَحْمِـــلِ الإبِـــلُ المَزَادَا

وقوله في مديح فخر الدِّين أبي عبدالله المحسن بن هبة الله:[2]

يقُولُونَ ماتَ الأكْرَمُونَ وأصْبَحَتْ بِحَارُ النَّدى قاعًا مِنَ الْخَيْرِ صَفْصَفَا

فقُلْـــتُ لهُمْ أخْـــطَأْتُم إنَّ لِلنَدَى وللجُودِ بَحْرًا يقْذِفُ الـــدُّرَّ مُـــرْدَفَا

فما دَامَ فخْرُ الدِّينِ يبقَى ونَسْلُـــهُ فلا تَسْأَلوا عمَّنْ مضَـــى أو تخَلَّفَا

ثم تليها صورة القائد الشجاع الحامي والنَّاصر لدين الله،وقد وظَّف ابن درَّاج هذه الصورة في مثل قوله في مديح المنصور بن أبي عامر:[3]

ياقائِدَ الخيْـــلِ العِتـــــاقِ كأنَّمَـــا عَزَمـــاتُهُ أرْمـــاحُهَـــا وشِفَارُهَـــا

لَيثٌ يُخَاطِرُ فـــــي المَكَرِّ بِنَفْسِـــــهِ هِمَمٌ عظيمٌ فـــي العُلا أخْطَارُهَـــا

أوطَـــأْتَ أرضَ المُشركِيـــن كتَائِبًا فيهـا وشِيْكٌ فنَـــائُهَا ودَمَـارُهَـــا

---

[1]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١٨٥،و المزادة:وعاء يُحمل فيهِ الماء والزَّاد في السّفر.

[2]المصدر نفسه،ص٢٨٥،و صفصفا:أرض مستوية ملساء لا نبات فيها.

[3]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٤١٠,٤٠٩.

وتَـــــركْتَ أرْضَ لِيُونَ وهي كَأنَّهـــا لَمْ تَغْنَ بِالأمـــسِ القريـبِ دِيَارُهَـا

مرْفُوعـــــةً لكَ فـــي العُلا أعْلامُهَا لمَّا غَـــدتْ بِـــكَ عَـافِيًا آثارُهـــا

وقوله فيه أيضًا:[1]

اليومَ أنْكَصَ إبليـــسُ علـــى عقِبِـــهِ مُبَرَّءًا سبـــبَ الغَاوِيْنَ مـــن سبَبِهْ

بشنْتِياقـــــةَ لـــمَّا أنْ دلفَـــت لـــــهُ بالبِيْضِ كالبدْرِ يسْري في سنَا شُهُبِهِ

وحَلْبَـــةُ الدِّينِ والإســـلامِ عاطِفَـــةٌ عليكَ كالْفَلَكِ الجـــارِي على قُطُبِـهْ

فاللهُ جازِيْكَ يامنصُـــورُ دعْوَتَـــــهُ بسعْيٍ ماضٍ لنصْرِ الدِّيْنِ مُحْتَسِبِـهْ

وقوله في مديح المظفَّر بن عبد الملك:[2]

وأشـجعَ مـــــنْ حمَلَتْهُ الخُيـــولُ وأهيـــبَ مـــــنْ رهِبتـــــهُ الأُسـودُ

وأصْمَدَ مـــنْ جرَّبتْـــهُ السُيُـــــوفُ وأجمَـــلَ مـــنْ ظلَّلَتْـــــــهُ البُنُـودُ

ومـــنْ هوَ لِلْمُلْكِ ســـورٌ منيْـــــعٌ ومـــنْ هـــــــوَ لِلـديْنِ رُكنٌ مَشيْدُ

وقوله في خيران العامري :[3]

فتىً سيفُهُ للدِّيـــــــنِ أمـنٌ وإيمـــانُ ويُمنَـــــاهُ للآمـــالِ رَوْحٌ ورَيْحَـــانُ

تقلَّـــــــدَ سيْـفَ اللهِ فِيـــنَا بِحـــقِّهِ فَبَرَّتْ عُهُـودٌ بالْـوَفَاءِ وأَيْمَـــــانُ

وحَلَّى بِتَاجِ الْعِزِّ مِفْـــــرَقَ مُخْبِـتٍ يُقَلِّبُـــــــهُ دَاعٍ إلـــى اللهِ دَيَّـــانُ

وبِالْخَيْرِ فَتَّـــاحٌ وبِالْخَيْـــــرِ عـائِدٌ وبِالْخيلْ ظَعَّانٌ وللِخَيْـــلِ طَعَّـانُ

---

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤٤٠وص٤٤١.
[2] المصدر نفسه،ص٢٦،والبنُود:الأعلام الكبيرة.
[3] المصدر نفسه،ص٩١،و المُخبت:الخاشع المتواضع المطمئن إلى الله.

فَقُضَّـتْ سُيـوُفٌ حَارَبَتْهُ وأَيْمُـــنُ وشَاهَتْ وجُوهٌ فَاخَرَتْـــــهُ وتِيْجَـانُ

والأمر ذاته لدى ابن المقرّب الذي نجد لديه صورة القائد الشجاع الحامي لدين الله في مثل قوله في مديح الخليفة المُستضيء أبي العباس أحمد:[1]

وأَضْحَى بهِ الإسلامُ غضًّا وأَصْبَحَتْ عُيُونُ الأذَى عنْ سِرْبِهِ وهـــيَ نُوَّمُ

ومُـــذْ خَفِقَـــتْ رايَاتُهُ وبُنُـــودُهُ وجْهُ بِلادِ الشِّرْكِ بالضَّـــيْمِ يُلْطَـــمُ

وقوله في مديح الأمير الأشرف موسى بن محمد:[2]

فلوْلاهُ لمْ ينْطِـق بدُمْيَـــاطَ داعِيًا إلى كلـمة التوحيدِ والعـــدلِ ناطِقُ

فأُقْسِـــمُ مـاولاَهُ إلاَّ مُوحِّـــدٌ تقـــيٌّ ومَـا عـــاداَهُ إلاَّ مُنافـــقُ

فلاَ يُعْدِمـنَّ اللهُ أيَّامَـــــهُ التـــي بِهـا يَفْتُقُ الإســـلامُ مالكـُفْرُ راتِقُ

أبَا الفَتْحِ لا زالَتْ بِكفَّيْـــكَ تلْتـقِي مفاتيـــحُ أرْزاقِ الـــورَى والمغَـالِقُ

إليكَ رمـــتْ بي نائِباتٌ هـــــوَارِقٌ لِدمْعِـــي وأحْدَاثٌ لِعـــظْمِي عوَارِقُ

وفي مديحه لشمس الدين باتكين:[3]

كَمْ مِـــن رُوَاقٍ زَادَ فيهِ وحُصْـــرُهُ زَادَتْ إلـى تَرْفِيْـلِـــهِ تَـرْفِيْـلاَ

وَبَنَى بِـــهِ للمُسْلِميـــنَ مُقَرْمَـــدًا ترَك الخَوَرْنَقَ فـــي العيونِ ضَئِيـلاَ

ولقَدْ مَضَـــتْ حُقَبٌ بها وسُـراتُها نَهْبٌ فأنْقَـذَ شِلْـــــوهَا المأكُـولاَ

أفعـالُـــهُ للهِ خالِـصةٌ فمَـــــا تلْقَى لِمُعْتَقَـدِ الرِيـــاءِ مَثيْـــلاَ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،تحقيق وشرح عبدالفتاح الحلو،،ص٤٥٣وص٤٥٤.
[2] المصدر نفسه،ص٣٠٢.
[3] المصدر نفسه،ص٤١٠وص٤١١،وترفيل المسجد:تزيينهُ بالحُصُر والبُسُط،،والمُقرْمَد مِن البناء:ماطُليَ بالجص وهو خام لونه كلون الصدف يستخدم في طلاء البيوت،والقرمدْ أيضاً:الخَزَف المطبوخ،وحِجارة لها خُرُوق تنضُج بها،والخورنق:قصر للنعمان الأكبر،والشلو:قطعة لحم.

لَوْ كانَ في الأُمَمِ الخَوالِي مِثْلُـــهُ مَلِـــكٌ لَمَـا بَعـَثَ الإلـــهُ رسُـوْلاَ

٥_اشترك الشاعران في تسجيل الوقائع التاريخية من خلال قصائد مديحهما،حيث وظّفا هذا المحور لتسجيل انتصارات وأمجاد ممدوحيهم،فنتج عن ذلك قصائد ذات قيمة تاريخية مواكبة للوقائع التاريخية.

ولابُدَّ من الإشارة إلى أنَّ هذه السمة كانت حاضرة بقوة في شعر المتنبي،حيث كانت سيفياته بمثابة سجل تاريخي لمعارك وبطولات سيف الدولة الحمداني.

ومن الوقائع التي مرّت بنا في الدراسة وقام ابن درّاج بتسجيلها في ديوانه "انتصار المنصور في حملتهِ على مملكة (لِيون)"،و فتحه لمدينة"شنتياقة".[١]

وله أيضاً قصيدة بمناسبة عودة المنصور من الحملة التي التي دارت رحاها بين جيوشه وجيوش النَّصارى سنة٣٩٠هـ،وعُرفت باسم غزوة جربيرة،وانتهت بانتصار المنصور العامري على جيوش المسيحيين.[٢]

وفي القصيدة يقول الشاعر:[٣]

تبَلَّجَ عنْ إشْـــرَاقِ غُرَّتِكَ الصُّبْـــحُ وأسْفَرَ عنْ إقْدَامِكَ النَّصْـرُ والفَتْحُ

وقرَّتْ عيُـــونُ المُسْلِمـــيْنَ بِأَوْبَةٍ مَصَـــادِرُهاَ عِزٌّ ومَوْرِدُهـــا نُجْحُ

ضَرَبْتَ بِحِزْبِ اللهِ في الأرْضِ مُقْدِمًا إلى متْجَـــرٍ جنَّاتُ عدْنٍ لهُ رِبْحُ

فضَعْضَعْتَ تِيْجـــانَ الظَّلالِ بِوقْعَةٍ على الشِّرْكِ لا يُؤْسَى لها أبَدًا جُرْحُ

---

[١]ص٤٩و٥٠ من هذه الدراسة.

[٢]حاشية ديوان ابن دراج القسطلي،ص٣٨٧،(بتصرّف).

[٣] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن دراج القسطلي،ص٣٨٧،ص٣٨٨،و تبلَّج:أشرَقَ وأضَاءَ،و أوبَة:رجْعة وعودة،و ضعْضَع:هدَمَ وأسْقطَ،يُؤسى:الأسا المُداوة والعلاج،وهو أيضاً الحُزن.

كما أشار ابن درَّاج إلى بعض فتوحات عبدالملك بن المظفَّر بن المنصور بن أبي عامر في قصيدة قال فيها:[١]

وقُلُنْيَـــةٌ أنْشَـــأتَ فيهـــا عارِضًا للحـــــربِ أَبْرَقَ بِالْحُتُوفِ وأرْعَـدا

وتَرَكْتَ شَنْـــتَ أُشْـتِيبَنًا وكأنَّـــما حَطَّـــتْ سُيُوفُكَ مِنْ عِدَاها الْفَرْقَدَا

والأمر ذاته في قصائد المديح لدى ابن المقرَّب العيوني التي أشار من خلالها إلى العديد من الوقائع التاريخية،ومن ذلك على سبيل المثال إشارته للواقعة التي احتشدت فيها قبائل عنين وأمراء بني ربيعة وطيء وزبيد وعرب الشام على قبائل قيس،فاستغاثت قبائل قيس بالأمير محمد بن أبي الحسين،فما كان منه إلاَّ أن نهض بجيشه وقاد حملةً مع أولاده،قتَلوا وأسروا فيها خلقا كثيرًا.[٢]

فوثَّق ابن المقرَّب ذلك بقصيدة قال فيها:[٣]

وجـــــأءَتْ زُبيدٌ كالْـــجَرَادِ وطَـــيٍّءٌ وكُـــلٌّ يُمَنِّيْ نفســـهُ مايحَـــاوِلُ

وكانـــوا يظُنُّـــونَ الأميرَ بِـــــــدارِهِ مُقِيْمًا وجاءَتْهُـــمْ بِـــذَاكَ الرَّسَائِلُ

فضَاقَتْ على أحْياءِ قيـــسٍ رِحَـــابُهَا منَ الْخوفِ وانْسَدَّتْ عليها الْمَنَاهِلُ

وجاءَتْ إليـــهِ الرُّسْـــلُ مُخْبِرَةً لـــهُ بِما قدْ دهَى والأمْـرُ إذ ذاكَ هَائِلُ

فسارَ مِـــنَ الأحْسَاءِ تطْوِي بهِ الْفَلاَ عتـــاقُ المذَاكِي والمُـطِيُّ الذَّوامِلُ

فمـــا شَعَرُوا حتـــى تدَاعَتْ عليهـــم كمـــا يتدَاعَـــى صَـــيِّبٌ مُتوابِلُ

شوائِلُ تَشْوالَ العقـــاربِ فوقـــــها لُيُوثٌ ولكـــن غابـــهُنَّ الْقَسَـــاطِلُ

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤٥٥،و قُلُنية و شَنْتَ اشْتِيبَناً:قلعتان معروفة لدى المسيحيين وهي من أمنع خطوط الدفاع عن إمارة قشتالة.

[٢]حاشية ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٣٥٧،(بتصرّف).

[٣]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٣٥٥وص٣٥٦.

وأشار كذلك في إحدى قصائده التي مدح فيها الأمير محمد بن أحمد بن أبي الحسين إلى حربه ضد قبائل أهل القطيف وآل جحاف وآل شبانة وانتهت بانتصار الأمير عليهم،وفي القصيدة يقول الشاعر:[١]

لمَّا أتتْ أهـــــلُ القطيفِ بجــحْفَلٍ متـــوقِّدٍ كتـــوقُّدِ النـــــيرانِ

فـــي آلِ جَحَّـــافٍ وآلِ شبـــانةٍ مِثْـلَ الأســـودِ بحَافَتَيْ خَفَّانِ

نزلوا على صـــفْواءَ صُبْحًا وابْتَنَـــوا فيـــها القِبابَ وأيقنُـــوا بِأمَـــانِ

وتسرْبلُوا حلـــــقَ الحـديدِ وأقبـــلُوا بالخيـــلِ والرَّايـــاتِ كـالْعِقبـانِ

فغَدَتْ فوارِسُـــهُم لمَّـــا قدْ عايَنَتْ هرَبًا ولـــم تعْطِـف على النِّسوانِ

فرمـــــى الأميرُ جُمُوعهُم فتمزَّقـتْ كالشَّاءِ إذ جَحْفَلَتْ مِن السِّرْحَانِ

٦_كشفت قصائد المديح لدى ابن درّاج عن ثقافته الدينية والتاريخية،كما كشفت عن سمة النضج الثقافي المتمثِّلة في كثرة إيرادهِ لأسماء القبائل والأعلام والمواقع ذات الصلة بالتاريخ.[٢]

وذلك في مثل قوله في مديح المنصور منذر بن يحيى:[٣]

كلاَّ وقدْ آنَسْـــتُ مِن هُـــودٍ هُدىً ولَقِيْـــتُ يَعْرُبًا فـــي القُيُولِ وحِـــمْيَرَا

وأَصَبْتُ فـــي سَبَإٍ مُـورَّثَ مُـــلْكِهِ يسْبي المُلُوكَ ولا يَـــدِبُّ لـــها الضَّرَا

فكأنَّما تابَعْـــتُ تُبَّـــــعَ رافِعًا أعْلاَمَـــــهُ ملِكًا يَدِيْنُ لـــــهُ الورَى

والحـــــارِثَ الجَفْنِيَّ ممنُوعَ الحِمَى بِالخيْـــلِ والآسّـــــادِ مَبْذُولَ القِرَى

وحطَطْتُ رَحْلِيْ بيْنَ نارَيْ حـــاتِمٍ أيَّامَ يَقْرِي مُوسِـــــرًا أو مُعْسِـــــرَا

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٦٢١،و الصفواء:الحجارة الصلدة الضخمة،و تسرْبَلوا:ماضيها تسرْبل أي لبِسَ السرْبَال،وجحفلت من السرحان:خافت من الذئب.

[٢]أحمد هيكل،الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،ص٣٢٨،بتصرّف.

[٣]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن دراج القسطلي،ص١٢٩.

وعقَـــدْتُ فـــي يَمَنٍ مواثِقَ ذِمَّةٍ مشْدُودَةِ الأسْبـــابِ مُوثَقَـــةِ العُرَى

وأتَيْتُ بحْدَلَ وهـــوَ يرْفعُ منْبَـــرًا للدِّيْنِ والدُّنْيـــاَ ويخْفِضُ منْبَـــرَا

وقوله:[١]

إنَّ امْرِأَ الْقَيْسِ في بَعْـــضٍ لَمُتَّـهَمٌ وفِيْ يَدَيْـــهِ لِواءُ الشّـــعْرِ إنْ رَكِـبـَا

والشِّعْرُ قدْ أَسَـــرَ الأعْـشَى وقَيَّـدَهُ خُبْـــرًا[٢] وقدْ قِيْلَ والأعْشَى إذا شرَبَا

بالإضافة إلى ثقافته الدينية التي ظهرت أيضًا في بعض قصائده.[٣]

٧_وظَّف ابن درّاج في قصائد مديحه لقب المنصور بكثرة"مُستفيدًا في ذلك من المشاكلة القائمة بين اللَّقب وحقيقة معناه،وكأنَّه بذلك يؤكد التَّوافق بين اللَّقب وصاحبه.[٤]

وذلك على نحو قوله:[٥]

مُعظَّمُـــهَا منصُورُها وجـــوادُها وفارِسُـــها يومَ الوغَى وفتـاهَا

وقوله:[٦]

لهِجُوا بـــ(يامنصُورُ) فـــهو شَعارُهُم نغَمٌ تعـــوَّدَ صِـــدْقُهُنَّ الفـــالُ

وقوله:[٧]

فاللهُ جازِيْكَ يامنصُـــورُ دعْوَتَـــهُ بِسَعْيِ ماضٍ لِنصْرِ الدِّينِ مُحْتَسِبِهِ

وليَفْتَـــخِرْ مِنْكَ يامـــنصُورُ يومُ عُلا تَرَكْـــتَ غابِرةَ الأيَّامِ تَفْـــخَرُ بهِ

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٦٦

[٢]في جذوة المقتبس:دهْراً.

[٣]ص ٣٤و٣٥ من هذه الدراسة

[٤]وسام قبّاني،عامريات ابن درّاج القسطلي،الهيئة العامة السورية للكتاب ،دمشق،٢٠١١،ص٤١٤، (بتصرّف).

[٥]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص١٤.

[٦]المصدر نفسه،ص٤٣٩.

[٧]المصدر نفسه،٤٤٣.

وتُعد هذه السمة من السمات التي يتشارك فيها ابن درَّاج مع المتنبي،حيثُ عمِد المتنبي منْ قبل إلى توظيف لقب سيف الدولة في السيفيَّات على نحو قوله:[١]

لكُلِّ امريءٍ مِن دهـــــرهِ ماتعوَّدا وعاداتُ سيف الدولةِ الطَّعْنُ في العِدَا

وقوله:[٢]

فرُبَّ غُلامٍ علَّم المـــــجْدَ نفسَهُ كتَعْلِيْمِ سيفِ الدَّولَةِ الطَّــعْنُ والضَّرْبَا

٨_اتّسمت قصائد المديح لدى ابن المقرّب بالاهتمام بتفاصيل الممدوح،وتُعَد هذه السمة من أهم السمات التي تُميّز قصائد المديح لديه،وتبدو من خلال الإشارة إلى تفاصيل مُلاحظة في الممدوح أو حياته أو إنجازاته "مثل وصفه لشمس الدين باتكين بأنَّه كان يكتب بيده اليسرى "[٣]

وذلك في قوله:[٤]

ولِضَـــبْطِ الْقِرْطَاسِ والخَـــطِّ يُسْ رَاهُ وتَصْـــرِيْفِ طـــرْفِهِ للـــطِّرَادِ

ومدحهِ للخليفة ابن المستضيء أبي العباس أحمد بانتسابِه لآل هاشم وذلك في قوله:[٥]

ففـــي شاطِيءِ الزَّوراءِ مِنْ آلِ هاشِمٍ إمـــامُ هُدىً يُؤْوَى إليـــهِ فَيَعْصِمُ

وكذلك عند مدحه للشيخ محب الدين الواسطي عمد إلى ذكر تفاصيل إنجازاته في خدمة الدين وذلك في قوله:[٦]

بِكَ يامُحِبَّ الدِّينِ طَـــالَتْ فاعْتَلَـتْ شَـــرَفاً علـــى الخـــطِيَّةِ الأَقْلاَمُ

أَحْيَيْـــتَ بِشْـــرًا والجُنَيْدَ وعـــامِرًا زُهْـــدًا وكُـــلٌّ إذ يُعَـــــدُّ إمَامُ

وأَقَمْـــتَ للقُرَشِـــيِّ فـــي آرائِـــهِ حُججًا يُقَصِّـــرُ دُونَهـــا النُّظَّـــامُ

---

[١] أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص٣٨٢.
[٢] المصدر نفسه،ص١٦٤.
[٣]أنظر علي عبدالعزيز الخضيري،علي بن المقرَّب العيوني حياته وشعره،ص١٦٢.
[٤]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص١٩٥.
[٥]المصدر نفسه،ص٤٥١.
[٦]المصدر نفسه،ص٥٦٩و٥٧٠.

ومدحه لشمس الدين باتكين بقصيدة ذكر فيها تفاصيل إنجازاته في البصرة في قوله:[1]

لَوْ لمْ يكُنْ بالبصرةِ انْقَلبَتْ بِمَـنْ فِيهـــا وجــرَّ بِها الخَرَابُ ذُيـــوْلاَ

كـانَتْ سَــوَادًا قبْلَهُ فَأَعَـــادَهَا مِصْــرًا تَـرُوقُـكَ مَمْسِئًا ومَقِيـــلاَ

بِالمُبْرِمِ الأسواقَ والسُّورِ الــذي مَنَـــعَ الأَعَـــادِيْ أنْ تَمِيلَ مَمِيـــلاَ

والرَّبطِ بينَ مدارِسٍ ومَشـــاهِدٍ شَرُفـتْ وفضَّـــلَ أهلُهَـــا تفْضِيـــلاَ

أحْـيَا بِها للشــافِعِيِّ ومَـــالكٍ وأبـــي حنيفـةَ أحْــرُفًا وفُصُـــولاَ

وبجامِعٍ نـدَّ الـــجَوامِعَ كُلــّها حُسْنًا وعرْضًا فـــي البِـناءِ وطُولاَ

لوْلاَ اتّفـــاقُ حرِيْقِهِ في عصْـرِهِ لعفَـــا وعُطِّـلَ رسْـــمُهُ تعْطِيْـلا

كمْ مِنْ رَواقٍ زادَ فيهِ وحُصْــرُهُ زادَتْ إلـــى ترْفيـــــلِهِ ترْفِيْـــلاَ

وبنَى بهِ للمســـلمينَ مُقَرْمـداً ترَكَ الْخَورْنَـــقَ في العيونِ ضئِيْـلاَ

ولقَدْ مَضَتْ حُقَبٌ بها وسُراتُهـا نَهْـــبٌ فأنْقَـــذَ شِلْـوهَا المأكُـولاَ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٤١٠وص٤١١،وندَّ الجوامِعَ:خرجَ عنها بحسنِهِ وفخامتِهِ،وعفَا:اندَثَرَ،وترفيل المسجد:تزيينهُ بالحُصُر والبُسُط،والمُقرْمَد مِن البناء:ماطُلِيَ بالجص وهو خام لونه كلون الصدف يستخدم في طلاء البيوت،والقرمدْ أيضاً:الخَزَف المطبوخ،وحِجارة لها خُرُوق تنضُج بها،والخورنق:قصر للنعمان الأكبر،والشلو:قطعة لحم.

ثانيًا:الاغتراب والحنين لدى الشاعرين.

١_ اتَّسمت قصائد ابن درّاج في الغربة بسمة الشعور الأسري"ونعني بها غلبة العاطفة الأسرية ووضوحها بشكل يلفت النظر...فقاريء شعره يُطالع ألوانًا مختلفة من الحديث عن الزوجة والأولاد والبنات،في وداعهم ورحيلهم،وحاجتهم وضياعهم،وثقل مسئوليتهم وشدة الإحساس بمطالبهم."[١]

ويرى الدكتور أحمد هيكل أنَّ ابن درَّاج يكاد يكون أكثر شعراء العربية ذكرًا لأولاده وشكايةً من قسوة الأيام عليهم.[٢]

وهو أمرٌ ناتج عن الظروف التي حملت الشاعر على الضرب في آفاق البلاد،والرحيل أحيانًا مع أسرته وأحيانًا أخرى بدونها.

وقد عُرف عن أسرته أنَّها كانت كبيرة من حيث العدد،حيث قيل إنَّ ابناءهُ كانوا بضعة عشر بين بنين وبنات[٣]،وكان ابن درَّاج هو المعيل الوحيد لهم،لذلك اتَّجه إلى الحديث عنهم في غربته كنوع من التعبير عن حملهم الكبير الذي أثقل كاهله،وعن قسوة الغربة عليهم في عدَّة مواضع من شعره.

٢_اتّسمت مواقف ابن درّاج عند الحديث عن أسرته خلال الغربة بكونها قائمة إمّا على شكوى الحال ووصف معاناتهم مع الفتنة وآثارها عليهم نحو قوله:[٤]

نُلاقِـــي السُـيُـوف إذا مـا فـزِعْنَا ونُسْقَى الحُتُوفَ إذَا ما ظَمِـيْنَا

فطَوْرًا نـرى الْعيْـشَ ظـنًّا كَذُوبًا وطَوْرًا نرَى الموتَ حـــقًّا يَقِيـنَا

ديارًا تسُـحُّ علـيها الدُّمـــــوُعَ وفيــها قُتِــلْنا وفيــها سُبِــينَا

وفيهـــا صـــدَقْنا إليــكَ الرَّجاءَ وهُنَّ يُرْجِّمْــنَ فِـينا الظُّنُـــونَا

---

[١]أنظر أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،ص٣٢٦.
[٢]المرجع نفسه،ص٣١٧،بتصرّف.
[٣]المرجع نفسه،ص٣١٧نقلاً عن الحديث عن حياة القسطلي،ص٣٢٦.
[٤]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٢٣٣.

أهِمْـــــنا بِغُرْبَتِنـــــا أمْ هُدِيْـــنَا ومِتْـــــنَا بِكُرْبَتِـــنَا أمْ حَيِيـــنَّـا

فإن يَعْجَبِ الدَّهـــرُ أنْ صَـــبَرْنَـا فَأَعْجَبُ مِـــنْ ذَاكَ أنَّا بَقِيْنَـا

أو وصف مشاهد الوداع نحو قوله:[1]

ولمَّا تدانَـــتْ للـــودَاعِ وقـــدْ هَفَا بِصَبـــرْي مِنْـــهَا أنَّـــةٌ وزفيـــرُ

تُناشِـــدُنِي عَهْدَ المَـــودَّةِ والهَـــوى وفي الْمَهْدِ مَبْغُومُ النِّـداءِ صَغِـيرُ

عَيِـــيٌّ بِمَرْجُوعِ الخِـــطابِ ولَفْظُهُ بمَـــوقِعِ أهْـــوَاءِ النُّـــفوسِ خَبـِيرُ

تَبَوَّأَ ممـــنوعَ القـــلوبِ ومُهّـــدَت لـــــهُ أذْرُعٌ محْفـــوُفَةٌ ونُحُـــورُ

عَصَيْتُ شَفِيعَ النَّفْسِ فيـــهِ وقَادَنِي رواحٌ لِتَـــدآبِ السّـــرُى وبُكُـــورُ

وطَارَ جَنَاحُ الشَّوقِ بي وهفتْ بها جوانِحُ مِنْ ذُعْرِ الْفُـــرَاقِ تَطِـــيرُ

أو الإشارة إلى عدد أبنائه الذي شكَّل عبئًا ثقيلاً عليه أثناء اغترابه:[2]

أخو ظمَإٍ يمُـــــصُّ حشاهُ سبْعٌ وأربعـــــةٌ وكُلُّـــهم ظِمـــاءُ

كأنجُمِ يوسُفٍ عـــــددًا ولكـــنْ برؤْيَا هـــذهِ بَـــــرِحَ الخَفَـاءُ

خُطُوبٌ خاطبَتْهُم مِـــــن دواهٍ يمـــــوتُ الحزْمُ فيها والدَّهاءُ

وكلُّهـــم كيـــوسُفَ إذْ فـــداهُ مِـــــنَ القتلِ التغرُّبُ والجلاءُ

---

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٢٩٨وص٢٩٩،ومبغوم:مِن بغَمَ الرجل صاحبه أي لم يُفصح له عن معنى مايُحدِّثه به.

[2] المصدر نفسه،ص٣٢٧ وص٣٢٨.

وتذكير الشاعر بشكلٍ دائم بعدد أفراد أسرته ناتجٌ عن كونهم موطن ضعفه في غربته،فهو المسؤول عنهم وعليه أن يتعهدهم بالرعاية والحماية،وبسببهم عاش حياة الغربة وأرآق ماء وجهه،وهو ماعبَّر عنه بقوله:[١]

وأني لهم في ماءِ وجهي تاجــرٌ أُغنِّمُهُم غُنْمِي وأربحهم خُســـري

وخِزْيًا لوجهٍ هانَ في صَوْنِ أوْجُهٍ كريمٍ بهم رِبْحِي لئيمٍ بهـــم تَجْري

ولــولاهُم لم أُبْدِ صفْــحَةَ مُعْدِمٍ ولمْ أُسْمِعِ الأعداءَ دعوةَ مُظْــطَرّ

٣_لا نلمح سمة الشعور الأسري حاضرة بشكل قوي في شعر ابن المقرَّب،حيث لا يتضمَّن شعره إلا أبياتًا يسيرة قالها في أسرته مثل قوله في إحدى القصائد عن زوجته وبناته:[٢]

ولوْلا بناتُ العامِرِيَّةِ لــمْ أكُنْ لِأَلْوِيْ إلــى دارِ المذَلَّةِ جانِبَا

ولَكِنَّنِي أخْشَى عليْهِنَّ أنْ يَرَى بِهِــنَّ عدُوٌ مالَهُ كانَ طالِبا

ومن الأبيات السابقة يتّضح بأنَّ أسرة ابن المقرّب شكّلت أيضًا موطن ضعف بالنّسبة إليه في غربته،ولكنّه على النقيض من ابن درّاج لم يكن يعّبر عن ذلك بكثرة في شعره.

٤_كشفت قصائد ابن المقرّب في غربته عن مشاعره الحقيقية تجاه أبناء عمومته،فقصائد الشاعر في ديوانه تتسم بالازدواجية،إذ أنَّه قبل رحيله عن دياره وأهله نظم العديد من القصائد التي عبَّر من خلالها عن تذمره من البقاء في بلاده بعد الحالة التي وصلت إليها ومن سوء علاقته بأبناء عمومته،وهو تذمُّرٌ تطوَّر بعد ذلك ووصل إلى مرحلة تفضيله للرحيل والغربة،والابتعاد عن الأهل والديار.

فيقول في حال بلاده:[٣]

لاتحسبوا بُغْضِي الأوطانَ مِنْ مللٍ لابُدَّ للودِّ والبغضاءِ مِـنْ سبــبِ

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٥٥٨وص٥٥٩.
[٢]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٣٩
[٣]المصدر نفسه،ص٧٦.

قِــلٌّ وذُلٌّ وخُــذلانٌ وضيــمُ عِدىً مُقَامُ مثْلي على هذا مِنَ الْعَجَـبِ

إذا الدِّيــارُ تغشَّــاكَ الهَــوانُ بِهـا فخَلِّهَا لِضعِيــفِ العــزْمِ واغْتَـرِبِ

ويقول في أبناء عمومته:[1]

فيَا ضيعةَ المدح الذي سَـارَ فيكُـمُ على ألسُــنِ الرَّاوِينَ سيرَ الكواكِـــبِ

أَغَرّكُم دهــرٌ خسيسٌ أحَلَّـــــكم مراتِبَ مــا كانت لكم مِن مراتـــــبِ

تظُنُّــونها أهــرام مصرَ وإنَّهـــا لأوهى بِناءً من بيـــوتِ العنــاكبِ

أَشَريًاعلى الأدنى وَأَريًاعلى العِـدى وذُلاً لذي صِــدقٍ وعِزًّا لِـــكاذِبِ

تعِستُم و أدَّى الله ما في رِقابكــُم أَمَــا لِإلهٍ فيكـــُم مِن مُرَاقــبِ!

ويقول في قصيدةٍ أخرى:[2]

فآهٍ مِـــــن زفَراتٍ كلَّمــا صـــعَدَتْ في الصدرِ كادَت تورّي النأَرَ مِنْ ضِلَعي

يسُوقُـــها أسَفٌ قـــد ثارَ مِنْ ندَمٍ يُرْبِي على ندَمِ المغْبُــونِ مِنْ كُسَـــــعِ

وليْــسَ ذاكَ عــلى مالٍ نعِمتُ به حيْنًا وأفْنـــاهُ صـــرْفُ الأزْلَـــمِ الْجَذَعِ

ولا علـــى زلَّةٍ أخـــــشى عواقبها والنَّاسُ حِــزْبانِ ذو أمْــنٍ وذو فـــزَعِ

لكن علـــى دُررٍ تزْهـــو جواهرها فـــي عِقْدِ كُلِّ نَظَّـــامٍ غـــيرِ مُنْقَطِـعِ

توجْتُها معْشَرًا لا أبْتغِـــي عِوضًا عنْـــها وإنّي فـــي قومي لـــذو قَنَـعِ

وكُنْتُ أولَـــى بها منهم وكمْ مِنَنٍ ضاعَـــتْ وما فائِتٌ يمْضي بِمُرْتجَـعِ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٧١_٧٣والشَّرى:الحنظَل،والأرى:العسل.

[2] المصدر نفسه،ص٢٧٥وص٢٧٦، ،و تورّي النار:مأخوذة من ورى النار أي استخرجها،و كسع:كسعَ فُلاناً بما ساءه أي رماه بكلمة يسوؤه بها،والأزلم الجذع:الدهر الشديد كثير البلايا.

وغرَّني مِنْهـــم لفظٌ خُدِعـــتُ بهِ والنَّـــاسُ مابيْنَ مخْـــدُوعٍ ومُخْـــتدِعِ

وسرعان ماتتبدَّل لغة البُغض والتذمُّر هذه بعد رحيله عن أهله وديارِه وتحِلُّ محلها مشاعر الشوق والحنين في مثل قوله:[١]

وإنَّ انْـفِرَادي عنـــهم وتغرُّبـــي ترامَى بي الأمــواجُ والْحَزْنُ والسُّهـبُ

بغيرِ اختيـارٍ كانَ مِنِّـــي ولا قِلىً وإنَّهُـمُ لَلعيـنُ والأنْـفُ والقـــلبُ

ولكِنَّـــها الأيَّـامُ تُبْعِـــدُ تَـــارةً وتُدْني ولا بُعْـدٌ يـــدُومُ ولا قُـــرْبُ

وإنّـــي حَفـــيٌّ عنهـــــمُ ومُسائِلٌ بِهِمْ حيثُ يَثْوِي السَّفَرُ أو ينْزِلُ الرَّكْبُ

وقوله:[٢]

فيا قَاصِدَ البـحرينِ يُزجـي شِمِلَّـةً كأنَّ علـــى أشْدَاقِها الهُـدْلِ كرْسُـفَا

فـــحَيِّهِمُ مِنِّـــي تحيَّـــة وامِـــقٍ عطُوفٍ على ابنِ العمِّ لوْ عَقَّ أو جَفَا

وقوله:[٣]

فيَا راكِـــبًا وجْنَـــاءَ تســـتَغْرِقُ الْبَرَى ويطْوِي الْفَيَافِي خـطْوُهَا وانْجِذَابُهَـا

أقِمْ صَدْرَهَا قصْدًا إلى الخَطِّ واحْتَقِبْ رسالَـــةَ ودٍّ أنـــــتَ عِنْدِي كِتَابُهَـا

فحيْن ترَى الحـــصْنَ المُعلاَّ مُقَابِـلاً ويبدُو مِنَ الدَّرْبِ الشَّـــماليِّ بابُها

فلِـجْ بِســـــلامٍ آمِـــناً تَلْقَ بلْـــــدَةً مُقَدَّسَةَ الأَكْنَافِ رحبًا جـــنابُهـــا

---

[١]علي ابن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٣١وص٣٢،انفرادي:ابتعادي،والحَزْنُ:ماغلُظ من الأرض،والسّهب:ماسهُلَ منها،وقِلى:القِلى هو البُغض والحقد،والسّفر: جماعة المسافرون،ويثوي السفر:يُقيم،والإرب: الحاجة.

[٢]المصدر نفسه،ص٢٨٨،ويزجي شملة: يسوق ناقة سريعة،والهدل:المتهدِّلة،والكرسف:القطن،و وامق:الوامق هو المحِب.

[٣]المصدر نفسه،ص٤٢،و جناء:الناقة الشديدة،و البَرَى:التُّراب،وناقةٌ ذات براية:ذات شحم ولحم،أو بقاء على السير،و البُرَى:جمع برة وهي حلْقة في أنف البعير.

بِها كُلُّ قـــرْمٍ مِنْ ربيـــعةٍ ينتـــمي إلى ذروةٍ تعلو الرَّواســـي هِضابُها

ولعلَّ التفسير الوحيد لهذه الازدواجية يكمن في أنَّ القصائد التي هاجم فيها الشاعر أبناء عمومته وأبدى من خلالها رغبته في الرحيل بعد تردّي الأحوال في بلاده،لم تكُن عاطفته فيها عاطفة صادقة،حيثُ لم تكن ناتجة عن بُغض حقيقي لبلاده أو لأبناء عمومته،وإنَّما كانت ناتجة عن محاولة مِنَ الشاعر لإصلاح الأحوال ولفت انتباه أبناء عمومته إلى تقصيرهم في حقهِ وإلى الأخطاء التي وقعوا فيها خلال حكمهم البلاد،ولمَّا فشل في ذلك قرَّر الرحيل والابتعاد عنهم، لتظهر بعد ذلك عاطفته الحقيقية والصادقة تجاههم من خلال قصائده التي عبَّر من خلالها عن شوقه وحنينه.

٥_اشترك الشاعران في أبيات الحنين إلى ديارهما،وهي أبيات كشفت عن معاناتهما مع الغربة المكانية ،وعجزهما عن التكيُّف مع الواقع بما فيه من غربة وارتحال عن الأهل والدّيار.

٦_اشترك الشاعران في أبيات الحنين إلى أيام الصِّبا والشَّباب،والتي كشفت عن حزنهما لفقدان الشباب،كما كشفت عن الاغتراب الزماني الذي عاشاها وصراعهما مع الزّمان بين الرغبة في العودة إلى أيّام القوة والانطلاق،وعجزهما عن تحقيق ذلك ومِن ثمّ محاولتهما للتعايش مع الواقع من خلال تزيين صورة الشيب بوصفه بالهيبة والجلال،أو تشبيهه بالشمس التي توجّت الرأس كما في قول ابن درّاج:[١]

فيا للشّبابِ الغضّ أنْهـــــجَ بُرْدُهُ ويالَرِياضِ اللّهوِ جفَّ سفَاهَـــا

وماهيَ إلاَّ الشّمسُ حلَّتْ بِمِفْرِقِـي فأَعْشى عيونَ الغانِيَاتِ سـنَاهَا

أو تشبيهه بالسيف المصقول في لمعانه كما في قول ابن المقرّب:[٢]

أنْكرتْنِي للشيبِ وهو جلالـــــةٌ أَوَ كيْفَ يُنْكَرُ للصّقــالِ مُهنّـدُ

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٠.
[٢]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١٦١.

ثالثًا:الفخر لدى الشاعرين.

١_إنَّ أبرز ملاحظة لا يُمكن إغفالها عند الحديث عن غرض الفخر لدى ابن درَّاج هي خلو ديوانه من أبيات الفخر بقومه أو بحسبه ونسبه،على الرُّغم من أنه ينتمي لبيت إمارة وحُكم.

ويُرجع الدكتور محمود مكّي ذلك إلى "أنَّ البربر الذين دخلوا الأندلس في الرَّعيل الأول من فاتحيها المسلمين لم يستقروا في هذه البلاد حتى تأقلموا بسرعة مذهلة،وهكذا لم يمض قليل من الوقت حتى اندمجوا في المجتمع الأندلسي اندماجًا كاملاً."[١]

ومن هنا وُلد ونشأ ابن درَّاج أندلسيًا خالصًا،دون أن يشعر بعصبية لنسبه الصنهاجي البربري.[٢]

بالإضافة إلى أنّ تركيزه كان منصبًّا أكثر على البحث عن الأمان والحياة الكريمة له ولأسرته.

وابن درّاج في عدم فخره بنسبه يشترك مع المتنبّي الذي لم يكُن يفخر بنسبه أو بآبائه وأجداده، فنجده يؤكد باستمرار على أنَّه لم يستمد شَرفه من قومه بل هم الذين استمدّوا شرفهم منه كما في قوله:[٣]

لابِقومِي شَرُفتُ بلْ شرُفُوا بي وبِنفْسي فخرْتُ لا بِجـــدودي

٢_على النّقيض من ابن درّاج والمتنبي كان لابن المقرَّب العيوني العديد من أبيات الفخر والاعتداد بقومه ونسبه وانتمائهِ إلى بيت إمارةٍ وحكم كما في قوله:[٤]

أنَا ابـــنُ أرْكانِ بيتِ المجدِ لاكذِبًا والنَّازِلِينَ ذُرَى الْعـــليَـاءِ والقِمـــمَا

قومي هُمُ القومُ في بَأْسٍ وفي كـرَمٍ إنْ ادَّعى غيـــرهمْ مافِيهِمُ وَهِمَـــا

٣_على الرُّغم مِن قلَّة أبيات الفخر في ديوان ابن درَّاج إلاَّ أنَّه تبرز لديه سمة بارزة وهي وضع نفسه مع ممدوحيه في مستوى واحد عند الفخر.

---

[١]أنظر مقدّمة ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٢٥.
[٢]المصدر نفسه، نفس الصفحة،(بتصرّف).
[٣]أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص٢٨٦.
[٤]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٥٣٠.

فنجده في إحدى قصائده يُساوي بينه وبين الأمراء لأنَّه هو أيضًا أميرٌ في الصحاري التي يقطعها أثناء رحلاته إليهم.

أمـيرٌ عـــلى غَــوْلِ التَّنـائِفِ مالَــهُ إذا رِيَـــعَ إلاَّ الْمَشْـــرَفِيَّ وزِيْـــرُ

فقُدْني لكشْفِ الْخَطْبِ والْخَطْبُ مُعْضِلُ وكِلْنِـــي لِلَيْـثِ الْغابِ وهوَ هَصـوْرُ[1]

ويُساوي بينه وبين ممدوحه في العطاء،فإن كان الممدوح قد منحه العطايا فهو أيضًا منحه النفيس من شعره شُكرًا له على مكارمه.

ولَــديَّ للمـنصورِ شُكْـــرُ صَنائِعٍ تَنْـــأَى الرِّكَـــابُ بِعِبْـــئِهَا المُتـحَمَّلِ

بِــكرائِمٍ لـــمْ تُمتَـــهَنْ وعــقائِــلٍ لــمْ تُمتَّل ومَصُـــونَةٍ لـــم تُبـــتَذَلِ[2]

٤_اتّسم الفخر في شعر ابن المقرّب بتفضيل الذَّات،فعلى الرُّغم من فخره الدائم بقومه واعتداده بهم إلاَّ أنَّ ذلك لم يمنعه من تفضيل ذاته عليهم،ونتيجة لذلك اتَّسمت قصائده عند الفخر بذاته بروح التعالي والتفوق والعظمة على قومه كما في قوله:[3]

وإنِّي لأَذْكَى القـــومِ لوْ تعْلَـمونَــه نِصَابًا وإنْ كانـــتْ كرِيـمًا نِصابُهـا

وأبْعَدُها في باحـــةِ المـــجْدِ غايـةً وقابًا إذا ما امـــتدَّ للمجـــدِ قابُها

وأفْصحُها يومَ الخِصـــامِ مقالـــةً إذا فصْحَـــاءُ القَوْمِ أكْدَى خِطَابُهـا

وقوله في قصيدة أخرى:[4]

ألستُ أوفاكُم عهْـــدًا وأحْلـمَكُـم عقدًا وأقْوَمَكـــمُ بالفـرْضِ والنَّفَـــلِ

أليْسَ بيتُكُمُ فـــي العـزِّ مركـــزُهُ بيتي فما كانَ مِن فخـــرٍ فمِنْ قِبَلِي

ألستُ أطْوَلَكُم في كُـــلِّ مكْرُمَـةٍ بـــاعًا وأحْمَلَكُم للحَـــادِثِ الْجَـــلَلِ

---

[1]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٣٠٠وص٣٠٣.
[2]المصدر نفسه،ص٤١٩.
[3]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٤١،وص٤٢،وأكدى خطابها:انقطع ولم يبن.
[4]المصدر نفسه،ص٣٨١.

وروح التفوق والعظمة هذه نجدها لدى المتنبّي أيضًا الذي وصلَ الأمر به إلى أن يُقدِّم نفسه على كل من في مجلس سيف الدولة بمن فيهم سيف الدولة نفسه.

سيعْلَمُ الجمْعُ ممَّن ضـــمَّ مجلسُنا بِأَنَّني خيـــــرُ منْ تسْعى بـهِ قدَم[١]

على الرّغم من أنَّ البيت السابق كان في قصيدة قالها المتنبّي في مديح سيف الدولة غير أنَّ جنون العظمة لديه لم يمنعه من أن يمدح نفسه فيها،بل ويخُص نفسه بالفضل حتى على سيف الدولة.

وإذا كان ابن المقرّب قد تعالى على قومه فإنّ تضخّم الذّات يطغى لدى المتنبّي ليصِل تعاليه إلى حد تحقير كل ماخلق الله:[٢]

أيُّ محلٍّ أرتقِـــي أيُّ عظِيْمٍ أتَّقــي

وكُلَّ ماقدْ خلَقَ اللهُ ومالـــمْ يخْلُـقِ

مُحْتَقَرٌ فــي هِمَّتي كَشعرةٍ في مِفْرَقِي

٥_اشترك ابن درّاج وابن المقرّب في تداخل الفخر مع أغراض أخرى كالمديح أوالشكوى والعتاب،وكأنَّه تداخلٌ يريدان من خلاله التعبير عن الشخصية القوية والطموحة والمتحدية لديهما، فمهما قست عليهما الظروف ودفعتهما إلى الشكوى والعتاب تبقى روح الفخر بالعزيمة وقوة التحمل مشتعلة في داخلهما،ومديحهما للملوك والأمراء لا يمنعهما من الفخر بمكانتهما الشعرية ومايتمتّعان به من سجايا.

ونجد التداخل في شعر ابن درَّاج بين الشكوى من صروف الدهر ونوائبه وبين الفخر بنفسه وبعزيمته وسعة صدره في مواجهتها في مثل قوله:[٣]

وخَلَتْ بيَ النَّكَبَاتُ ترْمِي ناظِـــرِيْ وخواطِـــرِي بِنَـــــوَافِذِ النُّـــشَّاب

---

[١]أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،١٢٢٨.
[٢]المرجع نفسه،ص٨٠٧.
[٣]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص١٦.

ولَكَمْ أَصَـابَتْنِيْ الْخُطـوُبُ بِشِـكَّةٍ تُعْيِيْ التَّجَـلُّدَ واحْتَسَبْـتُ مُصَـابِي

حتَّى تَرَكْتُ الدَّهْـرَ وهو لِمـا بـهِ صَبْـرًا وغَادَرَنـي السّقَـمُ لِمَا بِي

وصَرَفْتُ عنْ صرفِ الزَّمانِ ملاَمَتِي وكَفَفْـتُ عنْ سَعْـيِ الحسودِ عِتَابِي

وقوله أيضًا في قصيدة جمع فيها بين أبيات الفخر بشعره إلى جانب أبيات المديح يقول فيها:[1]

فمَنْ يُبَارِي جوادَ الشُّكْـرِ فيكَ وقـدْ ناولْتَنِي يـدُكَ العـلياءَ يـومَ كَبَا؟

وذَبَّ عدْلُكَ دونَ الحـقِّ مُنْتَقِمًا وردَّ نصـرُكَ ظُلْمَ العِلْـمِ مُحْتَسِبَا

حتَّى تلاَفَيْتَ في ضنْكِ المقامِ لـهُ حظًّا غدَا بيـنَ أهْـلِ الظُّلْمِ مُنْتَهَبَا

أبى لكَ الله إلاَّ أنْ تفُـوزَ بـها خيرًا ثوابًا وخـيرًا عنـدهُ عُقُبـا

أياديًا إنْ أكُنْ مخصـوصَ نُصْرَتِها فقدْ عمَمْتَ بهـنَّ العِـلمَ والأَدَبَـا

وأنْعُـمًا أكْسَبْتنِـي عِـزَّ مفْخَـرِها وغادرَتْ كاشِحِـي رهنًا بِمـا كَسَبَا

مِـنْ بعدِ ما أضْرَمَ الواشُونَ جاحِمةً كانتْ ضُلُوعِي وأحْشَائِي لـها حطَبَا

ودسَّسُوا ليَ فـي مثْنَى حبَـائِلِهِمْ شنْعَاءَ بِـتُّ بِها حـرَّانَ مُكْتَئِبَـا

وأشْرَقَتْ شاهداتُ الحقِّ تنشُـرُ لـي نـورًا غَدَتْ فيهِ أقـوالُ الوُشَاةِ هَبَا

هيهاتَ أعجَزَ أهلَ الأرضِ أنْ يجِدُوا للدُّرِّ غيـرَ عُبـابِ البحْـرِ مُنْتَسَبَا

وحاشَ للوردِ أنْ يُعْزَى إلى رَمَـضٍ وأنْ يكـونَ لهُ غيرُ الرَّبيـعِ أبَـا

---

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٦٤وص٣٦٥.

والأمر ذاته عند ابن المقرَّب العيوني فأبياته في الفخر بذاته سبقتها أبيات في الشكوى من الدَّهر وخطوبِهِ،كما في قوله:[1]

أتدْري الليالي أيَّ خَصْمٍ تُشَاغِبُهْ وأيَّ هُمــامٍ بــالزرايـــا تُواثِبُـــهْ

تجَاهلَ هذا الدَّهْرُ بـــي فتكَتَّبَتْ علــيَّ بأنــواعِ البـــلايا كتــائِبُـهْ

وظنَّ مُحــالاً أن أدِيـــنَ لِحُكمــهِ لِتبْكِي على عقْلِ المُعنَّى نوَادِبُــهْ

وإنّي وإنْ أبْدَى إصــعْرارًا بِخــدّهِ وأوْجَفَ بي وازْوَرَّ لِلْبُغْضِ جَانِبُهْ

لأَغْضَى علــى بغْضائِهِ وازْوِرَارِهِ وأعجـــبُ مِن حُرٍّ كريـــمٍ يُعاتِبُـهْ

واستقبلُ الخطْبَ الجـليلَ بثاقبٍ مِنَ العزْمِ يعْلُو لاهبَ النَّارِ لاهبُهْ

ورأْيٍ متــى جــرَّدتُهُ وانْتَضــيْتُهُ وجدت حُسامًا لم تُفــلَّلْ مضارِبُهْ

ولسْتُ بِيَهْفُوفٍ يرى رأيَ عِرْسِهِ متى أركبْتــهُ مركبًا فهــوَ راكِبُــهْ

وكذلك جمع بين أبيات الفخر والمديح في مثل قوله:[2]

فيَا أيها السَّــاعِي لِيُدْرِكَ مـجْدَهُ رُويْدَكَ فانْظُر مَنْ على إثْرِهِ تجْرِي

فلا ملِــكٌ إلاَّ عــليُّ بنُ ماجدٍ جميـــلُ المُحيَّا والإنَـــابَةِ والذِّكْرِ

إليكَ أبَا المنــصورِ عِقْدَ جواهِرٍ قلمَّسُها صـــــدْري وغوَّاصُها فِكْرِي

نفِسْتُ بها عمَّن سِواكَ وسُقْتُها إليكَ لِعلمـــــي أنَّها أنْفَسُ الذُّخُــرِ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٥٢وص٥٣.
[2] المصدر نفسه،ص٢٠٤وص٢٠٥والقلمس:البحر.

رابعًا:الوصف لدى الشاعرين.

١_ كلا الشاعرين يشترك في أنَّ حظَّ الوصف لم يكن وافرًا في ديوانيهما،والسبب في ذلك يرجع إلى أنَّ غرض الوصف يحتاج إلى الهدوء النفسي الذي يُهيء الشاعر للتَّأمل ووصف الأشياء بدقَّة من حوله،وهو ما افتقده ابن درَّاج وابن المقرَّب في حياتهما.

٢_اشترك كلا الشاعرين في أنَّ الوصف لديهما كان في كثيرٍ من الأحيان يأخذ شكل الوصف النفسي"ونعني به تجاوز الوصف الجانب الحسي الخارجي وتغلغله إلى الجانب النفسي الداخلي، بحيث يُصوِّر الشاعر خلجات النفس وجنبات الوجدان،ووقع الأحداث والأشياء على هذا وذاك"[١] فاتّسم هذا النّوع من الوصف لديهما بالعاطفة الصّادقة نتيجة تعبيره عن تجاربهما الذّاتية.

ويتَّضح توظيف ابن درَّاج للوصف النفسي في شعره عند وصفه مشاهد الوداع التي جمعته بزوجته وأبنائه ووقعها عليهم وذلك في مثل قوله:[٢]

ولمَّا تدانَـتْ للـودَاعِ وقـــدْ هَفَا بِصَبـــرْي مِنْـــهَا أنَّـةٌ وزفيرُ

تُناشِـــدُنِي عَهْدَ المَـودَّةِ والهَـوى وفي الْمَهْدِ مَبْغُومُ النِّـداءِ صَغِيرُ

عَيِـــيٌّ بِمَرْجُوعِ الخِـــطابِ ولَفْظُهُ بمَـــوقِعِ أهْـوَاءِ النُّـفوسِ خَبـيرُ

تَبَوَّأَ ممـــنوعَ القـــلوبِ ومُهّـــدَت لـــهُ أذْرُعٌ محْفـــوفَةٌ ونُحُـــورُ

عَصَيْتُ شَفِيعَ النَّفْسِ فيـــهِ وقَادَنِي رواحٌ لِتَـــدآبِ السُّـــرى وبُكُـورُ

وطَارَ جَنَاحُ الشَّوقِ بي وهفتْ بها جوانِحُ مِنْ ذُعْرِ الْفُـــرَاقِ تَطِـيرُ

وعند وصفه لمعاناة أبنائه أثناء رحيلهم وتنقلهم من مكانٍ لآخر بحثًا عن الأمان والاستقرار:[٣]

قدْ أقْفَرُوا وطنَ الأنيسِ وأُنِسَـــتْ بهُمُ مفَاوزُ بِالفَـــلاَ وقِفَـــارُ

يتأَوَّهُونَ إذا رمَتْ أوهَامُهُـــمْ دارًا لِساكِنِهـــا بِهـــا استقرارُ

---

[١]أنظرأحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،ص٣٢٨.
[٢]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٢٩٨وص٢٩٩.
[٣]المصدر نفسه،ص١٥٧.

ويَهِيْجُهُمْ عِينٌ لهُنَّ مرَابِـضٌ ويَشُوقُهُم طيـــرٌ لها أوكَارُ

وإليكَ يامنصُورُ حطُّوا أرْحُلاً لعِبَتْ بِهِـــنَّ تنائِفٌ وبِحارُ

فزَعًا إليكَ مِنَ الجلاءِ بِأوجُهٍ في كُلِّ عـــامٍ لِلْجَلاَءِ تُثَارُ

وقوله:[1]

شدَّ الجلاَءُ رِحَالَهُم فَتَحَـمَّلَتْ أفْلاَذَ قَـلْبٍ بِالهُـــمُومِ مُبـدَّدِ

وحَدَتْ صَعَقَاتُ قَلْبٍ شَرَّدَتْ أوطانَهُم في الأرْضِ كُلَّ مُشَرَّدِ

لا ذَاتُ خِدْرِهُمُ يُرَامُ لِوجـهِهَا كِـنٌّ ولا ذو مَهْـدِهِمْ بِمُمَـهَّدِ

كما نجد هذه السمة حاضرة بقوَّة في شعر ابن المقرَّب عند وصفه للأمور المعنوية التي تحملُ تأثيرًا في نفسيته،كما في قوله واصفًا لحزنه واشتياقهِ إليهم بعد ابتعاده عنهم:[2]

وإنَّ انْـفِرَادي عنـــهم وتغرُّبـــــي ترامَى بي الأمــواجُ والْحَزْنُ والسُّهـبُ

بغيرِ اختيـارٍ كانَ مِنِّـــــي ولا قِلىً وإنَّهُـمُ لَلعيــنُ والأنْـفُ والقـــلبُ

ولكِنَّــها الأيَّـــــامُ تُبْعِـــدُ تَـارةً وتُدْني ولا بُعْـدٌ يـدُومُ ولا قُـــرْبُ

وإنّــي حَفـيٌّ عنهـــمُ ومُسائِـــلٌ بِهِمْ حيثُ يَثْوِي السَّفَرُ أو ينْزِلُ الرَّكْبُ

كما نجدها عند وصفه لمعاناته في رحلاته وما قاساه خلالها مِنْ مشاق كما في قوله:[3]

فكَمْ خُضْتُ رجْوى اليومِ مِنْ لُجِّ مُزَبَّدٍ يُظَنُّ اصْطِفَـــاقُ الموجِ فيهِ مشَاعِلا

وكمْ جُبْتُ مِنْ موْمَاةِ أرْضٍ ترَى بِها مع الآلِ حقَّ العَيْـــنِ والأُذْنِ باطِلاً

---

[1]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٧٤،و كنٌّ: الكن وقاء كل شيء وستره.

[2]علي بن المقرب العيوني،ديوان ابن المقرب العيوني،ص٣١وص٣٢،انفرادي:ابتعادي،والحَزْنُ:ماغلُظ من الأرض،والسّهب:ماسهُلَ منها،وقِلى:القِلى هو البُغض والحقد،والسّفر: جماعة المسافرون،ويثوي السفر:يُقيم،والإرب: الحاجة.

[3]المصدر نفسه،ص٣٩٦ وص٣٩٧.

تَخَالُ بِها الحِرْباءَ فـــي رأسِ جِذْلَةٍ شبِيْحاً مِنَ البِدْوانِ لِلْعَـــرْضِ مائِلاً

وتحْسِبُ فيـــها الثُّعْلُبَانَ مُـــجدَّلاً مِنَ الخيْلِ إذ تعْلُـــو كثِيْباً مُقابِلاً

وإنْ عَرَضتْ فيها الرِّئَالُ حسِبْتَـــها بخاتِيَّ تحْمِلْـــنَ الرَّوايَا قَوافِـــلا

حيث وصف الشاعر من خلال هذه الأبيات الصِّعاب التي واجهها وتأثيرها على نفسيته،فبدأ بوصف البحر الذي خاضه وكانت أمواجه مزبَّدة عالية يحسبُها من يراها عند اصطدامها بالبحر مشاعلاً،ثم وصف الصحراء التي قطعها وما عاناه فيها من عطشٍ بات بسببه يتخيَّل رؤيته للماء فإذا جاءه وجده سرابا،كما باتَ مِن شِدَّة تعبه غير قادر على السمع ولا حتى الرؤيةفأصبح يرى الحرباء الممددة على جذع الشجرة أو على رأس الجبل شبحًا،وبات يرى الثُّعلبان فرسًا يشقُّ غبار الصحراء وكُثبانها،وباتَ يرى فِراخ النَّعام إبلاً تحمِلُ أوعية الماء والطعام.

٣_اتَّسم الوصف لدى ابن درَّاج بسمة"التحليل المعنوي"ونقصد بها ميل الشاعر إلى تحليل المعنى،وبسط الفكرة،وتوسيع جوانب الصورة"[١]

وتتَّضح هذه السمة في مثل قوله مقارنًا بين موقفه من أبنائه وموقف ممدوحه من جنوده:[٢]

وقدْ عاذَ أبطالُ الجلادِ بعطفِهِ كمَا عاذَ أطفالُ الجـــلاءِ بِعطْفَيَّا

وقدْ قَصَّرَتْ عنهُ رماحُ عِداتـهِ كما قصَّرَت عنهم ريَاشُ جناحَيَّا

ولكن أُواسي بينَ عارٍ ولابِسٍ أُقلِّصُ عنْ ذَيَّا لأَثْنِي علـــى تَيَّا

"فهذا التفصيل في المقارنة رائع،لأنَّ مصدرهُ الصدق والإحساس الدّافق،الذي يحمل على أن يُصوّر الشاعر أبناءهُ في أكثر من وضع يائِس،وأنْ يُصوّر نفسهُ منهم في أكثر من موقف عاجز،فهم يعوذون بعطفه ويتعلّقون به احتياجًا وحبًّا وطلب حماية،ولكن ريش جناحيه أقصر من

---

[١]أنظر أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،ص٣٢٦.

[٢] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص١٧٩.

أن يدْفئهم أو يحميهم،وأمام الحنو العاجز والإلتجاء المسكين،لا يجد الأب بُدًّا من أن يواسي بين اللابس والعاري من بنيه،فيُقصّر الثوب للابس ليجد فضلة يثنيها على العاري".[١]

٤_جمع ابن درّاج إلى جانب الوصف النفسي الوصف الحسي،واتّسم وصفه للمحسوسات بالتفصيل جامعًا خلال ذلك بين وصف المشاهد الخارجية والانفعالات الداخلية،ويبدو ذلك في مثل قوله:[٢]

ولــو شاهَدَتْنــي والصَّــواخِدُ تَلْتَظي ... علــيَّ ورُقــراقُ السَّــــرابِ يـمــورُ

أسَلِّطُ حــرَّ الهاجِــراتِ إذا سَــــطَا ... علــى حَرِّ وجهي والأصيلُ هجِيــرُ

وأسْتَنْشِقُ النَّكــباءَ وهــي بــــوَارِحٌ ... وأسْتَــوطِيءُ الرَّمْضَاءَ وهــي تَفُــورُ

وللموتِ فــي عينِ الجــبانِ تَلــوُّنٌ ... وللذُّعْــرِ في سَمْعِ الجريءِ صَــفِيْرُ

لبَانَ لهــا أنِّي مِنَ الْبَيْــنِ جَــــازِعٌ ... وأنِّي على مَضّ الخُطُوبِ صَــــبُورُ

أميرٌ على غَــوْلِ التَّــنائِفِ مالــهُ ... إذا ريــــعَ إلاَّ المشْــرَفِيَّ وزِيْــــــرُ

ولو بَصُرْت بي والسُّرَى جُلُّ عَزْمَتِي ... وجَرْســـي لِجِنـَّانِ الفـــلاةِ سمــيرُ

وأعْتَسِفُ المَوْمَاةَ في غسَــقِ الدُّجَى ... ولِلأسْدِ في غِيــلِ الغِيَاضِ زئِــــيْرُ

وقد حوَّمــتْ زهْرُ النُّــجُومِ كأنَّهــــا ... كواعب في خُضر الحـــدائقِ حُورُ

ودَارَتْ نُجُومُ القُطْبِ حتّى كأنَّـــــها ... كُئُـــوسُ مهًا والَى بِهِنَّ مُدِيْـــــرُ

وقد خيَّــلَت طُــرْقُ المــجَرَّةِ أنَّــها ... علــى مِفْرَقِ اللَّيــلِ البَهــــيمِ قَتِيْـرُ

---

[١] أنظر أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،ص٣٢٨.

[٢]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٢٩٩و ص٣٠٠،و الصَّواخد:من صدخته الشمس أي أحرقته،و يمُور:مارَ الشيء أي تحرذَكَ وتدافع،والنكباء:الريح التي تجري بين الصبا والجنوب،و البوارح:الرياح الحارة في الصيف،القتير:الشيب،واعتسف:اعتسف الطريق أي سار فيه يخبط على غير هدى مِن غير دليل،ومهًا:يقصد به هنا البلُّور.

فقد قدّم الشاعر في الأبيات السابقة وصفًا لرحلته وما تخلَّلها من صعاب في سبيل الوصول إلى الممدوح،فوصف ماعاناه نهارًا عند مواجهته لحرارة الشمس التي أحرقته وهو يقطع الفيافي والقِفار ويستنشق الرياح الحارَّة ويسير على الرَّمضاء التي تفورُ من شدَّة الحرارة.

كما وصف ماواجهه مِنْ أحداث في الصحراء،مستخدمًا ثلاث كلمات للإشارة إليها،وهو مايدل على غنى المعجم الشعري لديه،حيث استخدم في البداية كلمة "التّنائف"وتعني الأرض التي لاماء بها ولا أنيس ليصف نفسه بأنّه أمير في الصحراء إلاّ أنّ إمارته في ذلك المكان الموحش على الغيلان لا على البشر،ثم استخدم كلمة" الفلاة" وتعني الصحراء الواسعة ليصف ماعاناه في ذلك المكان الواسع المُقفِر من وحدة وسكون جعلت صوته الصوت الوحيد الذي تسامرت معه الجِن،ثم استخدم كلمة"المومأة"وتعني المفازة الواسعة الملساء ليصف ماقاساه في ذلك المكان الواسع الأملس الذي سار فيه بلا هدى ولا دليل،في حين تختبيء الأسود وتزأر بين الحين والآخر،وهو مايقذف الرُّعب في قلب الرَّاحل فيها ليلاً.

لينتقل بعد ذلك إلى الوصف النفسي من خلال وصفه للحظة اقتراب وصوله إلى الممدوح،حيث بات يرى النجوم في السماء كأنها حسناواتٌ يتجوَّلن في الحدائق الخضراء،وبات يرى نجوم القطب كؤوس خمرٍ منَ البلُّور يدورُ بها السَّاقِ،كما بات يرى طُرُق المجرَّة أشبه بشيبٍ توزَّع على مفرق اللَّيل.

"وهكذا يصف الشاعر أهوال رحلته،ووقع تلك الأهوال على النفس،فيجمع إلى الأوصاف الخارجية الانفعالات الداخلية،ويمزج بين الوصف الحسي والوصف النفسي مزْجًا فنيًّا رائِعًا". [١]

٥_افتقد وصف المحسوسات في شعر ابن المقرّب غالبًا التفصيل واستكمال جوانب الصورة، حيث"لانكاد نجد وصف المحسوسات في شعر ابن المقرّب إلاَّ كالومض الخاطف ،يظهر في البيتين والثلاثة،ثم لا نلبث أن نفقده لنجد الشاعر،وقد انتقل إلى غرضٍ آخر،فليس ابن المقرّب من الشعراء الذين يسترسلون في الوصف أو يطيلون فيه".[٢]

---

[١] أنظر أحمد هيكل،الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،ص٣١٦.
[٢]أنظر علي عبدالعزيز الخضيري، ابن المقرّب العيوني حياته وشعره،ص٢٨٠.

ويتَّضح ذلك في مثل قوله في وصف البحر والصحراء:[1]

كمْ جُبْتُ دُونَكَ مِنْ تَيْهٍ يتِيْهُ بِهـا قلْبُ الدَّلِيْلِ مِنَ الإِشْفَاقِ والسَّأَمِ

ومُزَبَّدٍ يَتــرَآى المــوتُ رَاكِبِـــهِ يَرْمي بِمُقْلَوْلَبِ الأمْواجِ مُرْتَطِمِ

قدْ قُلْتُ للنَّفْسِ فيهِ وهي مُجْهشَةٌ والموجُ مِنْ هَازِمٍ فيهِ ومُنْــهَزِمِ

قِــرِّيْ فلَوْ شَاءَ أمْرًافهُوَ بَـالِغُـهُ والْموتُ آتٍ وما تلْقَيْنَ كالْحُلُمِ

وفي قوله:[2]

كمْ جُبْتُ دُوْنَكَ مِنْ مجْهُولَةٍ قَذَفٍ تِيْهٍ قليْـــــلٌ بِها حِـــلٌّ ومُرْتَحَلُ

ومُزْبِدٍ لا يلَـــــذُّ النَّومُ راكِبَـــهُ لـــــهُ إذا اضطرَبَتْ أمواجُهُ زجَلُ

وحُسْنُ ظَنِّي وما يُثْنَى عليْكَ بـهِ أجاءَنِي والزَّمانُ المُفْسِـــدُ الْخَبِلُ

وصف الشاعر الصحراء والبحر في الأبيات السابقة كان وصفًاعامًّا على الرُّغم من أنّهما من الأماكن التي يمكن أن يسترسل في وصفها،لما فيها من مناظر و أخطار وأهوال ووديان وأشجار ووحوش وحشرات،إلاَّ أنّه اكتفى بتصوير الصحراء بأنها مكان للتيْه والوحشة،وتصوير البحر بأنه مزبَّد الأمواج،دون أن يُفصِّل أكثر في وصف الجزئيات،لينتقل بعد ذلك مباشرةً إلى المديح.

فكان هذا ديدن ابن المقرّب في الوصف،ولم يُسهب في وصفه اللهم إلاَّ في قصيدة عمد فيها إلى وصف السفينة قال فيها:[3]

بِكُلِّ مَطْلِيٍّ الْمِــلاَطَيْنِ لـــمْ يَجْرَبْ ولمْ يرْعَ بِمَرْعى السَّوامْ

تسُوقُهُ الرِّيــحُ وتَحْـــــتَثُّهُ الْ جَلُّ وفي الوجْعَاءِ مِنهُ الزِّمـَامْ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٥٦١.
[2] المصدر نفسه،ص٤٤٦،و مجهولة قذف:صحراء غير مطروقة بعيدة تقذف بمتخطيها إلى الهلكة،و تيه:يضِلُّ فيها من يجتازها.
[3] المصدر نفسه،ص٥٧٣،وشرح الأبيات ص٧٥ من هذه الدراسة.

لا يعْرِفُ الإعْياءَ في سيْـــرِهِ ولا يُبَـالي أمْـضَى أمْ أقَـامْ

وقدْ تساوى عندهُ في المـــدى يومٌ وأُسبـــوعٌ وشـــهرٌ وعـامْ

إذا يمَسُّ الأرضَ فـــي جريِهِ خِيْفَ علـى راكِبِهِ الاصطِلامْ

إلى جانب قصيدة أخرى في مديح شمس الدين باتكين وصف فيها الجامع الذي شيَّده في مدينة البصرة،وفيها يقول:[1]

وبِجَامِـعٍ نَدَّ الجوَامِـعَ كلَّـها حُسْنًاوعرْضًا فـي البِنَاءِ وطُولاَ

لَولا اتِّفَاقِ حرِيقِهِ في عصـرْهِ لَعَفَا وعطَّـلَ رسْـمُهُ تَعْطِيـلا

كَمْ مِن رُوَاقٍ زَادَ فيهِ وحُصـرْهُ زَادَتْ إلـى تَرْفِيْـلِهِ تَـرْفِيْـلاَ

وَبَنَى بِهِ للمُسْلِميـنَ مُقَرْمَـدًا تَرَكَ الخَوَرْنَقَ في العيونِ ضَئِيـلاَ

[1]علي بن المقرب العيوني،ديوان ابن المقرب العيوني،ص٤١٠وص٤١١،وشرح الأبيات ص٧٧ من هذه الدراسة.

خامسًا:غرض الغزل لدى الشاعرين.

١_اشترك الشاعران في كونهما مُقلّين في الغزل،والسبب في ذلك يرجع إلى ظروف حياتهما،فتطلعهما للمعالي وانتماؤهما إلى أُسرٍ حاكمة،ثمَّ خسارة مكانتهما الاجتماعية،كلُّ ذلك كان سببًا في جعلهما غير مؤهلين للإكثار من الغزل.

وهو مانجده عند المتنبّي أيضًا حيثُ لم ينظم كثيرًا من القصائد في الغزل نتيجة لانشغاله بتحقيق طموحه.

٢_لم يأت كلا الشاعرين بجديد في الغزل،حيثُ عمدا إلى الإتيان به غالبًا في مُستهلِّ قصائدهماعلى غرار الشعراء القدماء للفت الانتباه وتهيئة الأذهان وذلك نحو قول ابن درَّاج القسطلي في مطلع إحدى قصائده:[١]

غَرَامٌ ولاَ شكْوى وعتْــبٌ ولاَ عُتْبَـى وشوقٌ ولاَ لُقْيا وصبْــرٌ ولاَ عُقْبَى

وكمْ حنَّ معشُوقٌ وأعْتَــبَ عاشِقٌ وقلْبُكِ ما أقسَى وقلْبِــيَ ما أصبَى

سأَصْدَعُ أحنَاءَ القُلُــــوبِ بِزفْرَةٍ تُطِيْرُ إليكِ القلْــــبَ لو أنَّ لي قلْبَا

وأُسْبِلُ آماقَ الجُفُــــونِ بِعــبْرَةٍ وإنْ حُرِمتْ منكِ المودَّةَ فــي القُرْبَى

وقول ابن المقرَّب في مطلع إحدى قصائده:[٢]

غدًا نغتدي للــــبينِ أو نــــتروَّحُ وعنْدَ النَّــوى يــــبدو الغرامُ المُبَرِّحُ

غدًا تُقْفِرُ الأطْــلالُ ممَّــنْ نَوَدُّهُ ويُمْســــي غُرابُ البينِ فيها ويُصْبِحُ

غدًا تذْهَب الأظْغَانُ يُمْنَى ويُسْرَةً ويَحْدُو تــــوالِيْها نجــاحٌ ومُنْجِـحُ

فيا باكيًا قبلَ النَّوى خشْيَـة النَّوى رُويدًا بِعيْنٍ جفنُها ســــوفَ يَقْـرَحُ

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٥٣،و آماق:جمع أُمق وهو طَرَف العين مما يلي الأنف،وهو مجرى الدمع.

[٢]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص١٢٩وص١٣٠.

٣_مزج الغزل بالطبيعة يُعد سمة بارزة من سمات الغزل في شعرابن درّاج ،فكثيرًا مايعمَد إلى الربط بين محاسن المحبوبة وبين عناصر الطبيعة،وهو أمرٌ شاع في الغزل الأندلسي،ومن أمثلته في شعره قوله:[١]

فيَا ظَلاَلَ نُجُومِ اللَّيْلِ إذْ عَدِمَتْ بدْرَ السَّماءِ وفي حِجْرِي مضَاجِعُهُ

ويا حَنِيْنَ ظِبَاءَ الْقَفْرِ إذْ فقَدَتْ غَزَالَهُـنَّ وفي روْضـــي مراتِعُهُ

وقوله:[٢]

ما رَأَتْ عَيْنِـــي كظَبْـــيٍ لاحَ فـي تَـــــمِّ الشَّبـــَابِ

أسْبَـــلَ اللَّيـــلَ على مَتْنَ يْـهِ إسْبَـــــالَ النِّقَـــابِ

فتجَلَّـــــى كتَجَلِّـــي الـ بدرِ مِـــــنْ تحـــتِ السَّحَابِ

في عقُودٍ مِـــنْ نُجُـــومٍ ووشَـــاحٍ مِـــنْ سَـــرابِ

٤_مع إقلال ابن المقرّب من الغزل واقتصاره في الغالب على مقدمات قصائده،حاول أن يُنوّع في الأسلوب الغزلي ليبعده عن الرّتابة والجمود،باستخدام أسلوب الحوار في غزله.[٣]

وذلك في مثل قوله:[٤]

وبيْضَاءَ مِثْلَ البَدْرِ حُسْـــناً وشارَةً يزِيْنُ بِها السِّـــبُّ المُزَبْرَقُ والإتْبُ

إذا ما نِسَـــاءُ الحيِّ رُحْـــنَ فإنَّها لهـا النَّظْـــرَةُ الأُولـى عليهِنَّ والعَقْبُ

تحيَّرَ فيها رائِقُ الحُسْـــنِ فاغْتَدَتْ وليس لـــها فيهِـــنَّ شكْلٌ ولا تِرْبُ

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٤٠.
[٢]المصدر نفسه،ص٣٥٦وص٣٥٧.
[٣]علي عبدالعزيز الخضيري،علي بن المقرّب العيوني"حياته وشعره" ،ص٣٠٣(بتصرّف).
[٤]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٢٧وص٢٨،و السِّب المُزبْرق:الخِمار أو العمامة المصفرة،و الإتب:ثوب يؤخذ فيُشَق في وسطه تُلقيه المرأة في عنقِها من غير جيب،والعقْب:النظرة بعد النظرة،و الجدل: قصَب اليدين والرجلين وكل عضو وعظم موفر،و القُلّب:سِوار المرأة،و نزار:أبو العرب المستعربة،و يعرُب:أبو العرب العارِبة،و استبهم الخُطَب:اشتدَّ واسْتُغْلِقَ،و استرحل الصّعب،ذلَّل واتَّخذ راحله.

بدَتْ سافرًا مِنْ ضَرْبِ دينارَ والصَّبَا يُرَنِّحُـــها والدَّلُّ والتَّيْـــهُ والعُـــجْبُ

رأتْنِي فأبْدَتْ عـــن أسِيْلٍ وحجَّبَتْ بِذِي مِعْصَـــمٍ جذْلٍ يَغُصُّ بـهِ القلْبُ

وقالـــتْ :غرِيْبٌ والـــفتاةُ غريبَةٌ ولا فـــي نِكـــاحِ الحِلِّ ذامٌ ولا ذنْبُ

فقُلْتُ لها: إنِّي ألُـــوفٌ ولـــي هوىً ومالي فـــي بغـــدادَ شِعْبٌ ولا سِرْبُ

فقالت: وأينَ الشِّعْبُ والسِّرْبُ والهوى فقُلْتُ بحيثُ الكرُّ والطَّعْـنُ والضَّرْبُ

فقالت: أرى البحـــرينَ دارَكَ والهَوى بنُـــوك وهذا ما أرَى فمِنَ الشِّعْـبُ

فقُلْتُ: سَلِي حـــيَّ نِزارٍ ويـــعْرُبٍ بِأعْظمِها خطباً إذا اسْتَبْهمَ الخطـبُ

وأمْنعِها جـــاراً وأوســـعِها حمىً وأصْـعبِها عِزّاً إذا اسْتُرْحِلَ الصَّعْـبُ

وأنْهرِها طـعْناً وضـــرْباً ونـــائِلاً إذا اغبرَّتِ الآفـاقُ واهتزَّتِ الحـربُ

فقالت لعـــمْرِي إنَّهـــا لربيْـــعةٌ بناتُ المـــعَالِي لا كلاَبٌ ولا كلـــبُ

الفصل الثاني

السمات الفنية لدى الشاعرين "أوجه الاتفاق و أوجه الاختلاف"

المبحث الأول:بنية القصيدة.

المبحث الثاني:الألفاظ والأساليب.

المبحث الثالث:الموسيقى.

المبحث الرابع:الصورة الشعرية.

المبحث الأول

بنية القصيدة.

نبّه البلاغيون إلى أنَّ المتكلّم ينبغي له أن يتأنَّق في ثلاثة مواضع من كلامه،وهذه المواضع هي ابتداء الكلام،وعند الانتقال من معنى إلى معنى آخر،وعند انتهاء الكلام.[١]

ومن هنا سيتم في هذا المبحث دراسة مطلع القصيدة،وحسن التخلّص،والخاتمة لدى ابن درّاج القسطلي وابن المقرّب العيوني.

١_مطلع القصيدة.

أكّد البلاغيون على ضرورة حسن الابتداء فالشاعر"إذا لم يبتديء ابتداءً حسنًا،فإنَّ المخاطب ينفر منه ويعرض عن جميع كلامه ويرفضه".[٢]

وعند الاطلاع على مقدمة القصائد لدى ابن درّاج يتّضح اتّسامها بالتنوّع مابين قصائد استهلّها بالبكاء على الأطلال نحو قوله في قصيدة نظمها في مديح المنصور منذر بن يحيى:[٣]

أَهَلَّ بِالبَيْنِ فانهلَّـــــتْ مدامِعُـــــهُ وآنَـــسَ النَّفْرَ فاسْتَكَّـــــــت مسَامِعُهُ

وودَّعَ المنْزِلَ الأَعْلَـــــى فـــودَّعَهُ فـــي القلْـــبِ لاَعِـــجَ بثٍّ لايُوادِعُهُ

يامَعْهَدَاً لم يُضِعْ عـــــهْدَ الوفاءِ لهُ مُكسَّـــــفُ النُّورِ عـافِيْ القَدْرِ ضائِعُهُ

ولا ثنَى عبرَاتِـــــي عـــن تـــذكُّرِهِ دهْـــــرٌ تَقَارَعَ فـــي صـــدْرِي قوارِعُهُ

حسْبِي ضُلُوعٌ ثَـــوَتْ فيها مصائِبُهُ ومُقْلَـــةٌ ربعَـــتْ فيهـــا مـــرَابِعُهُ

---

[١]بسيوني عبدالفتّاح فيّود،علم البديع دراسة تاريخية وفنيّة لأصول البلاغة ومسائل البديع،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،القاهرة،ودار المعالم الثقافية،الأحساء،ط٢، ١٤١٨_١٩٩٨،ص٢٥٦،(بتصرّف).

[٢]أنظر المرجع نفسه،نفس الصفحة.

[٣]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص١٣٧وص١٣٨.

وقصائد استهلّها بمقدّمة الشّيب نحو قوله في قصيدة نظمها في مديح المنصور بن أبي عامر:[١]

أضاءَ لها فجرُ النُّهى فنهَـاهَـا عن الدَّنِفِ المُضْـــنى بِـحَرِّ هَواهَا

وضلَّلها صُبحٌ جَلاَ ليـلةَ الدُّجـــى وقد كـــانَ يُهديـــها إلـــيَّ دُجاهـا

ويشْفَعُ لي مِنـــها إلى الوصْلِ مِفْرَقٌ يُهِلُّ إليـــهِ حَلْيُهَـــا وحُـــلاَهـا

فيا للشَّبابِ الغَـــضّ أنهَـــجَ بُرْدُهُ ويا لـــرِياضِ اللَّهْوِ جـــفَّ سَفَاهـا

ومـــاهِيَ إلاَّ الشَّمْـــسُ حلَّت بِمِفْرَقِي فأعْشَى عـــيُونَ الغانِيَـــات سنَاهَا

وعيْنُ الصِّبـــا عارَ المشِيْبُ سـوادَها فَعَنْ أيِّ عـــينٍ بعـــد تلـكَ أراهَـا

سلامٌ على شَـــرْخِ الشَّـــبابِ مُرَدَّدٌ وآها لـــوصْلِ الغانـــياتِ وآهـــا

وقصائد استهلّها بالغزل:[٢]

وقصائد استهلّها بوصف مشهد الوداع نحو قوله:[٣]

دعِيْ عزَمَـاتِ المُسْتـضامِ تَسـيْرُ فتُنْـجِدُ فـــي عرْضِ الفـلا وتغُورُ

لعـــلَّ بما أشجاكِ مِن لـوعةِ النَّوى يُعـــزُّ ذليـــلٌ أو يُفَـــكُّ أسيـــرُ

ألم تعلمي أنَّ الثَّـواءَ هـو التَّـــوى وأنَّ بيـــوتَ العاجـــزينَ قُبُـــورُ

ولم تزْجُرِيْ طَيْرَ السُّرَى بِخُـــرُوفِها فتُنْبِئُكِ إنْ يمَّـــنَّ فهِـــيَ سُـرُوْرُ

تُخوَّفنـــي طـــوُلُ الّسِفارِ وأنَّـــهُ لتقبيـــلِ كـفِّ العامـري سفيـــرُ

دعينـــي أَرِد مـــاء المفَـاوِز آجِناً إلى حيث مـــاء المكرماتِ نمـــيرُ

---

[١] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٠.

[٢] ص ٥٢ من هذه الدراسة

[٣] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٢٩٧وص٢٩٨وص٢٩٩،والثواء:الإقامة،و التَّوى:الهلاك،و فاتِك:مقدام وجريء وشجاع،و خفير:حارس،والتَّوى:الهلاك وفعله تَوَى بمعنى:هَلَكَ.

وأخْتَلِسُ الأيَّامَ خُلْسَـــــةَ فَاتِـــكٍ إلى حيثُ لـــي مِنْ غَدْرِهِـنَّ خَـفِيْرُ

فإنَّ خطِيْرَاتِ المـــهَالِكِ ضُمَّـــنٌ لِراكِبِـها أنَّ الـــــجزَاءَ خـطِيْـــــرُ

ولمَّا تدانَـــتْ للـــودَاعِ وقـــدْ هَفَـا بِصَبـــرْي مِنْـــهَا أنَّـــــةٌ وزفيـــــرُ

تُناشِـــدُنِي عَهْدَ المَـــودَّةِ والهَـــوى وفـــــي الْمَهْدِ مَبْغُومُ النِّـداءِ صَغِيرُ

عَيِـــيٌّ بِمَرْجُوعِ الخِـــطابِ ولَفْظُهُ بمَـــوقِعِ أهْـوَاءِ النُّـفوسِ خَبـِيـــرُ

تَبَوَّأَ ممـــنوعَ القـــلوبِ ومُهّـــدَت لـــــهُ أذْرُعٌ محْفـــــوُفَةٌ ونُحُـــــورُ

عَصَيْتُ شَفِيعَ النَّفْسِ فيـــهِ وقَادَنِي رواحٌ لِتَـــــدآبِ السّـــــرُى وبُكُـــورُ

وطَارَ جَنَاحُ الشَّوقِ بي وهفتْ بها جوانِـــــحُ مِـــنْ ذُعْرِ الْفِـرَاقِ تَطِـيرُ

وكان الغرض من القصيدة مدح المنصور بن أبي عامر.

إلى جانب قصائد بدأها بمناسبة القصيدة أو بغرضها مباشرةً كما في قوله مستهلاً قصيدته بالمديح:[1]

إلـــى أيّ ذِكرٍ غيرِ ذِكـــرْكَ أرتَـــاحُ ومِنْ أيّ بحْرٍ بعـــدَ بحْرِكَ أَمْتَـــاحُ

وفـــي مائِكَ الإغْداقُ والصَّفو والرَّوى وفي ظِلِّكَ الرَّيحانُ والـــرَّوحُ والـرَّاحُ

وكُـــلٌّ بأثْمـــارِ الحيـــاةِ مُهـــدَّلٌ وبِالْعَطْفِ مَيَّاسٌ وبِالْعُـــرْفِ مَيَّـــاحُ

فأغْدَقَ لِلظمْـآنِ مَحْيـــاً ومَشْـرَبُ وأَفْصَحَ بِالضَّاحِي غُصُـــونٌ وأَدْوَاحُ

تُغَنِّي طُـيورُ الأمنِ فيـــها كـــأنَّما بِعَلْيَـــاكَ تشْـدُو أو بِذِكْرِكَ ترتـــاحُ

---

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤٧٨وص٤٧٩امتاحَ الماء أي غرَفَهُ و إمتاح فلاناً أي أتاهُ يطلب فضلهُ،و الرَّوح :الراحة،والرَّاح:الارتياح،و مُهدَّل:مأخوذة من هدل الشيء أي أرسله إلى أسفل وأرخاه،و ميَّاس:مختال متبختر،وميَّاح:مأخوذة من ماحَ في مشيتِهِ أي تبختَرَ،و الضَّاحي:هو الذي أصابته الشمس،و أدواح:جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة المتشبعة ذات الفروع العديدة،و شانيك:مأخوذة من شانئك وهو عدوك ومبغضك.

فألْحَانُها في سَمْعِ منْ أنتَ حِـــزْبُهُ أغانٍ وفي أسْمـــاعِ شانِيـــكَ أنْـــوَاحُ

أو قوله:[1]

جاءتــكَ خاضِـعةً أعناقُهــا الأُمــمُ مُستسـلِمينَ لِمــا تُمْـضِي وتَحـتَكِـمُ

واسترْهنَتــكَ مُلُــوكُ الأرضِ أنفُسَــهَا ما اسْتَنْفَدَ البَأْسُ أو مــااسْتَدْرَكَ الكَرَمُ

وهذه القصيدة كانت بمناسبة وفد"القومس ابن غومس"[2]على المنصور لتقديم عهود الولاء له.

والأمر ذاته لدى ابن المقرّب الذي تنوّعت مقدماته مابين قصائد استهلّها بمقدّمات طللية نحو قوله في قصيدة نظمها في مديح الأمير فضل بن محمد:[3]

ما أنْصَــفَ الطَّلَلُ العـــافِي بِمَاوَانَا لم نُشْجِـــــهِ يـــــومَ سلَّمْنَا وأَشْجَانَـا

عُجْنَــا نُحَيِّيْهِ إجْـــلاَلاً وتَكْـــرِمَةَ منَّا فلَــمْ نُبْكِـــــهِ شـــوْقاً وأبْكانَـا

وكنْتُ أحْسَبُــهُ والدَّهْـــرُ ذو غِيَــرٍ لو لـــــمْ نُحَــيِّ مغانِيْهِ لحيَّـــانَا

وقصائد استهلّها بمقدمات غزلية نحو قوله:[4]

أرَاهُ الهوى مالمْ يكُنْ فـــي حِسَابِـــهِ فأقْلَقَــهُ عـــــنْ صبْرِهِ واحِتِسَابِـــــهِ

ولا تُؤْلِمـــــاهُ بِالمَـــلاَمِ فإنَّـــــهُ يُثِيْرُ جـــواهُ واتْرُكاهُ لـــــمَا بِـــــهِ

أُعِيْذُكُما مِـــــنْ وجْدِهِ وغرَامِـــــهِ ولوْعاتِهِ يـــوْمَ النّـــوى واكتِئَـــــابِـهِ

وكان غرض القصيدة مدح الأمير حسن بن مسعود.

---

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤٠٢وص٤٠٣.

[2]ينتمي القومس إلى أسرة عُرفت في التاريخ باسم بني غومس،وكانوا أمراء شبه مستقلين على منطقة صغيرة شرق مدينة ليون،وقد قدّموا فروض الولاء للحكم المستنصر،إلاَّ أنهم نكثوها فيما بعد،فوجّه لهم المنصور بن أبي عامر حملة،وما كان منهم إلاَّ أن عادوا على المنصور وجدّدوا له فروض الولاء.

[3]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٦٠١،و ماوَان:قرية في وادٍ من أودية العلاة في اليمامة،وقيل:وادٍ بين النقرة والربذة فيه ماء يسمى به،وأشجانا:أحزننا.

[4]المصدر نفسه،ص١٠٠،والجوى:الحُزْن والحُرقة.

وقصائد استهلّها بالشكوى كما في قوله:[١]

بعضُ الـــذي نالَنا يـــادهرُ يكْفِيْنا فامْنُـــنْ بِبُقْيا وأوْدِعْهـــا يداً فيْنَا

إنْ كـــانَ شأنُكَ إرْضَاءَ العدُوِّ بِنا فدُونَ هذا بـــهِ يرْضَى مُعادِيْـــنَا

وكان غرض القصيدة الفخر.

وقصائد قام فيها بالدخول إلى غرض القصيدة مباشرةً نحو قوله:[٢]

رِمَاحُ الأعَادِي عن حِمَاكَ قِصَـــارُ وفـــي حدِّها عمَّـا تـــرُومُ عثَارُ

وكُلُّ امريءٍ ليسَتْ لهُ مِنْـــكَ ذِمَّـــةٌ يُضَامُ علـــى رَغْـمٍ مِنْهُ ويُضَـــارُ

وما عزَّ مَنْ أمْسَى سِواكَ معَـــاذُهُ ولـــو عصَمَتْـــهُ يعْـرُبٌ ونِـــزَارُ

فمَنْ مُبْلِغٍ عنِّـــي عقِيْلاً وقَـوْمَهَا وإنْ بَعُـــدَتْ دارٌ وشَطَّ مـــزَارُ

رُويْداً بنِي كعْبٍ أفِيْقُـــوا ورَاجِعـوا حُلُومَكُـــم مِنْ قبْلِ تُضْـــرَمُ نارُ

وهذه القصيدة قالها الشاعر سنة ٦٠٢هـ،حين تحالفت عامر على حرْب الأمير محمد بن أحمد بن محمد بن الأمير.[٣]

وقوله في مديح الأمير فَضْل لمَّا مَلَكَ القطيف:[٤]

أبَتْ لكَ العِزَّةُ القَعْسَـــاءُ والكَـــرَمُ أنْ تَقْبَلَ الضَّيْمَ أو ترْضَى بِمَا يَصِمُ

وطَالَبتْكَ العُلا إنْجَـــازَ ما وَعَـــدَتْ فيْكَ المـــخَائِلُ طِفْلاً قبْـلَ تحْتَلِمُ

وأقْبَلَتْ نحْوَكَ الأيَّـــامُ مُذْعِنَـــةً طَوْعاً لِأمْـــرِكَ وانْقَادَتْ لكَ الأُمَمُ

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٦١١.
[٢]المصدر نفسه،ص٢٠٧.
[٣]المصدر نفسه،ص٢٠٧،(بتصرّف).
[٤]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٥٢٠وص٥٢١،و القعصاء:الثابتة،و يصِمُ:يعيْب.

فانْهَضْ وسِرْ وافْتَحِ الدُّنْيَا فقَدْ ضمِنَتْ لكَ المـــهَابَةُ ماتَهْـــوَى وتحْتَكِمُ

٢_حسن التّخلُّص.

عرّفه ابن أبي الإصبع بقوله:"هو امتزاج آخر مايُقدِّمه الشاعر على المدح من نسب أو فخر أو وصف أو أدب أو زهد أو مجون أو غير ذلك بأوَّل بيت من المدح."[١]

وقد أجادَ ابن درَّاج وابن المقرّب التَّخلُّص من مقدمة القصيدة إلى غرضها من خلال حرصهما على وجود ترابُط بين المقدمة والغرض،ويبدو ذلك في مثل قول ابن درّاج:[٢]

لعلَّكِ ياشَمْسُ عِـــنْدَ الأَصِيْلِ شَجَيْتِ لِشَـــجْوِ الغَرِيْبِ الذّلِيْلِ

فكُونِي شفِيْعِي إلى ابنِ الشَّفِيْعِ وكُونِي رَسُولِي إلى ابْنِ الرَّسُـولِ

فإمَّا شهِدْتِ فأزْكَـى شـــهيْدٍ وإمَّا دَلَلْـــتِ وأهْـــدَى دلِيْلِ

على سابِقٍ في قُيُودِ الـخُطُوبِ ونجْمِ ســـناً فـي غُثَاءِ السّيُولِ

يُنَادِي النَّدَى لِسِـــقَامِ الضَّيَاعِ ويشْكُو إلـــى المُلْكِ دَاءَ الخُمولِ

وعزَّ على العِلْمِ مـــثْواهُ أرْضاً علـــى حُكْمِ دَهْرٍ ظَلُومٍ جَهُوْلِ

ويُتابع إلى أنْ يقول:[٣]

ومِنْ كُلِّ مرْأَى مُحيَّا جميْـــلٍ تَلَقِّي الخُطُوبِ بِصـــبْرٍ جَمِيْلِ

لعلَّ عواقِبَـــهُ أنْ تتِـــمَّ فَيُهْدَى الغرِيْبُ سَـــوَاءَ السَّبِيْلِ

إلى الهاشِمِيِّ إلـــى الطَّالِبِيِّ إلى الفَاطِمِيِّ العطُوفِ الوصُولِ

---

[١]أنظر ابن أبي الإصبع المصري،تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن،تحقيق حفني محمد شرف،القاهرة،الجمهورية العربية المتحدة،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي،القاهرة ،ص٤٣٣.

[٢]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن دراج القسطلي،ص٧٥وص٧٦،و شجَيْتِ:حزِنْتِ،و غُثاء:الزَّبد الذي يلقيه الماء،وهو ما حمله السيل من النباتات وما لا يُنتَفع به.

[٣]المصدر نفسه،ص٧٩.

إلى المُسْتَجَارِ مِنَ المُسْتَجِيْرِ إلى المُسْتَقَـــالِ مِنَ المُسْتَقِيْلِ

إلى المُسْتَضَافِ الملِكِ العزِيْزِ مِنَ المُسْتَضِيْفِ الغرِيْبِ الذّلِيْـلِ

فالقصيدة السَّابقة استَهلَّها الشاعر باستعطاف الممدوح والشكوى له ممَا أصابه مِن حزن وذُلٍّ وتشرُّدٍ في الغُربة،ليتخلَّص بعد ذلك إلى مدح الممدوح بما يتناسب مع المقَدِّمة،من خلال تصويره له بأنَّه ملاذ الشاعر من حياة الغربة والذُّل.

والأمر ذاته في قصيدة أخرى استهلَّها بوصف مشهد الوداع قال فيها:[1]

دعِيْ عزَمَـاتِ المُسْتَـضامِ تَسـيْرُ فتُنْـجِدُ فـــي عرْضِ الفــلا وتغُورُ

لعـــلَّ بما أشجاكِ مِن لـوعةِ النَّوى يُعـــزُّ ذليـــلٌ أو يُفَـــكُّ أسيـــرُ

ألم تعلمي أنَّ الثَّـواءَ هـو التَّـــوى وأنَّ بيـــوتَ العاجـــزينَ قُبُـــــورُ

ولم تزْجُرِيْ طَيْرَ السُّرَى بِحُـــرُوفِها فتُنْبِئُكِ إنْ يمَّـــــنَّ فهِـــــيَ سُـرُوْرُ

تُخوَّفنـــي طـــُولُ الّسِفارِ وأنَّـــهُ لتقبيـــلِ كـفِّ العامـري سفيـــــرُ

ثم ينتقل من وصف مشهد الوداع إلى مدح الممدوح بقوله:[2]

دعينـــي أَرِد مـــاء المفَـاوِز آجِناً إلى حيث مـــاء المكرماتِ نمـــيرُ

وأخْتَلِسُ الأيَّامَ خُلْسَـــةَ فَاتِـــكٍ إلى حيثُ لـــي مِنْ غَدْرِهِـنَّ خَـفِيْرُ

حيثُ تخلّص الشاعر في القصيدة السابقة من وصف مشهد الوداع بينه وبين زوجته إلى مدح الممدوح الذي يعقد عليه الشاعر آماله،وفي سبيل الوصول إليه سيتحمّل فراق أسرته وعناء السفر والارتحال.

---

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن دراج القسطلي،ص٢٩٧وص٢٩٨.
[2] المصدر نفسه،ص٢٩٨.

وأجاد كذلك ابن المقرّب حسن التخلّص من خلال الحرص على تحقيق التّرابط والانسجام بين أجزاء القصيدة الواحدة.

ويتَّضح ذلك في قصيدة استهلّها بالشكوى بقوله:[١]

إلامَ أُرْجِي ضُرَّ عيْشٍ مُنكَّـــدا وأُغْضِي على الأقْذاءِ جَفْناً مُسهَّدا

وكمْ أَعِدُ النَّفْسَ المُـــنَى ثُمَّ كُلَّما أتَى موعِدٌ بِالْخُلْفِ جدَّدْتُ موعِدَا

ويستمر الشاعر في مقدِّمة الشكوى التي وظَّفها لعرض الأسباب التي دفعته إلى الرَّحيل،ليتخلَّص منها إلى هجاء قومه الذين كانوا السبب الرئيسي في رحيله بعد مالحقه منهم من ظلم،وبعد أنْ تسببوا في ضياع البلاد وتشتت أمرها.

و أَهْجُرُ داراً لـــــو يحِلُّ ابنَ قاهِثٍ بِها راحَ مسْحُوتاً من المالِ مُجْـحَدَا

يُدَبِّـــــرُها أوْبَــاشُ قــوْمٍ تنـــكَّبُوا عنِ الرُّشْدِ حتَّى خِلْتُ ذا الغَيِّ أَرْشَدَا[٢]

ولهُ قصيدة أخرى يستهلّها بمقدمة حماسية يدعو فيها إلى استخدام قوة السيف.

بِالسَّيْفِ يُفْتَحُ كُلَّ بابٍ مُقْفَـــــلِ وتُحَلُّ عُقْدَة كلَّ خطْـــــبٍ مُشْكِلِ[٣]

ثُمَّ يتخلَّص من المقدمة في البيت التاسع،ويجرِّد من نفسه شخصًا ينصحه بأن يكون مثل الممدوح المعروف بكرمه واستخدامه لقوة السيف في سبيل إنصاف الحق.

كُنْ كابْنَ مسْعُودٍ حُسيْنٍ في النَّــدى والبأْسِ أو فعَـــنِ المكارِمِ فاعْدِلِ

الطّاعِنَ الفُرْسانَ كُـــلَّ مِرَشَّـــةٍ جيّاشةٍ تغلـــــــي كغلْيِ المِرْجَلِ

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١٤٩.

[٢]المصدر نفسه،ص١٥٦،و ابن قاهث:هو قارون بن قاهث المشهور بثرائه وهو المذكور في سورة القصص،و مسحوت:من مال سحيت أي مُتلَف و ضائع،و أوباش:الأوباش هم سفلة النَّاس،و تنكَّبوا:التنكُّب عن الشيء هو العدُول والتَّنحي.

[٣]المصدر نفسه،ص٤١٣.

والتّارِكِ الأبطـــــالَ تسْجُدُ هامُها بالسّيْفِ غيْرَ عِبـــــادَةٍ للأرْجُلِ[١]

٣_الخاتمة.

أكَّد النقَّاد على ضرورة اهتمام الشاعر بالخاتمة،وضرورة حُسن الانتهاء"فهو قاعدة القصيدة،وآخر مايبقى منها في الأسماع،وسبيله أن يكون محكمًا،لاتمكُن الزيادة عليه،ولا يأتي بعده أحسنَ منه،وإذا كانَ أوَّل الشعر مفتاحًا له وجبَ أنْ يكونَ آخره قُفلاً عليه."[٢]

وقد تنوّعت خاتمة القصائد لدى ابن درّاج،وغالباً ماكان يختم معظم قصائده بالدعاء لممدوحيه، نحو قوله:[٣]

فاسْلَمْ وكُنْ للأرْضِ آخِرَ عـــــامِرِ ولِغالِـــــــبِ الأعْدَاءِ أوَّلَ غالِـبِ

وقوله:[٤]

فاللهُ يُعْلِـــــــيْ قَـــدْرَهُ ويَزِيْـــدُهُ صُنْعاً ويُنْسِـــــيءُ عُمرَهُ ويُطِيلُـــهُ

في عزِّ نصْرٍ لا زمانَ يخُونُـــــــهُ وبقاءِ مُلْـــكٍ لا مُدِيْـــــــلَ يُدِيْلُهُ

وقوله:[٥]

فلْتُهْنِكَ الرُّتَبُ العُلْيَـــــا التي قصُرَتْ عنهُنَّ سامِيَةُ البِرْجِيْـــسِ أو زُحَلِ

فاسْلَم ولا زالَ عِزُّ المُلْكِ متَّصِـــــلاً مِـــــنْ يَعْرُبٍ وبَنِيْهِ حيثُ لمْ يَزَلِ

في خفْضِ عيْشٍ ومُلْكٍ غيْرِ مُنْفَصِمٍ وظِلِّ عِـــزٍّ وأمْنٍ غـــيرِ مُنْتَقِلِ

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرب العيوني،ص٤١٤،و مِرشّة:المِرشّة الطعنة النافضة للدم.

[٢]أنظر أبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني،العمدة في صناعة الشعر ونقده،حققه وعلّق عليه النبوي عبدالواحد شعلان، ج/١،مكتبة الخانجي ،القاهرة،ط١، ١٤٢٠_٢٠٠٠،ص٣٧٨.

[٣]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص١٧٢.

[٤]المصدر نفسه،ص٢٠٧،و يُنسيء عمره:مِنْ أنسأ أجله أي أخَّرهُ،و يديله:الماضي منه أدال،وأدال الشيء أي جعله مداولة، تارةً لهؤلاء وتارةً للآخرين.

[٥]المصدر نفسه،ص٤١٦،و البرجيس: النجم المعروف باسم المشتري.

وأحيانًا ينهي قصائده بالحكم والأمثال نحو قوله:[١]

فمَنْ سرَّهُ المَحْيَا فسَمْعًا وطاعَـــةً ومنْ يحْسُدِ الموتَى فكُفْرٌ وعِصْيَانُ

وأحياناً بالشكوى من الدّهر نحو قوله:[٢]

ولعلَّ منْ يقْضِي الأمُورَ يُقِيْـــدُنِي بِرِضَاكَ منْ صرْفِ الزَّمانِ فأَحْتَكِمْ

وأحيانًا بالفخر بشعره نحو قوله:[٣]

إليـــكَ جَلَـــوْتُ أبْكَـــارَ المـــعَانِي معَـــاذِيرًا بِـــلَألاءِ القُبُـــولِ

سَـــوَارٍ في الظـــلامِ بِلا نُجُـــومِ هَـــوَادٍ في الفَـــلاَةِ بِـــلاَ دَلِيـــلِ

والأمر ذاته عند ابن المقرّب الذي نجد لديه الخاتمة الدعائية كما في قوله في مديح بدر الدّين لؤلؤ:[٤]

فَبُورِكْتَ مِـــنْ مَلِـــكٍ أقَـــلُّ هِباتِـــهِ تُبِرُّ على فيْضِ البِـحَارِ الْخَضَارِمِ

وعِشْـــتَ علـــى مرِّ اللّيـــالِي مُخَلَّدًا لِنُصْـــرَةِ مظْلـــومٍ وإِرْغَـــامِ ظَـالِمِ

وقوله في مديح الأمير أبا علي مسعود بن أحمد بن محمد بن الفضل:[٥]

فـــلا خلَتْ مِنْكَ آفاقُ البِـــلادِ ولا خَلَوْتَ مِنْ نِعَمٍ تأتِي علـــى نِعَـمِ

وقوله في مديح أبي أحمد علي بن أحمد بن عبدالله:[٦]

فَطُـــلْ مجْدًا وزِدْ شـــرفًا وفـــخْرًا علـــى شـــرَفٍ وفـــخْرٍ لايُـرَامُ

وعِـــشْ فـــي نِعْمَةٍ ودَوامِ عِـــزٍّ بِمَنْعَـــمَةٍ منْ يُضِيْمُ ولا يُضَـــامُ

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٥٩.
[٢]المصدر نفسه،ص٤٢٣.
[٣]المصدر نفسه،ص٥٤٠.
[٤]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٥٢٠.
[٥]المصدر نفسه،ص٥٦٢.
[٦]المصدر نفسه،ص٥٦٨.

وقصائد ختمها بالفخر بشعره نحو قوله:[1]

فدُونَكَهَـــا يا ابْنَ النَّبِيّ غـــــرِيبَةً تُخَـــــبِّرُ أنَّ الْعائِبِيْهَـــاهلاَبِثُ

جمعْتُ بها سِحْرَ الكلامِ الذي اختفَى قديمًا فلَـمْ ينْفُـثْ بهِ قبْلُ نَافثُ

وقوله:[2]

وإلَيْكَ مِنْ دُرِّ الكـــلامِ جواهِـــراً يُعْيـــي الفرزدق نظْمُهَا ومُزَرِّدا

وقصائد اختتمها بالفخر بآبائِهِ وأجداده نحو قوله:[3]

أبيَاتُنَا لذوي الآمـــــالِ مُنْتَجَـــعٌ إذا الزَّمانُ يُرَى كالْعِيْـــرِ أوْ عَرَمَا

وما عَـــــدَدْتُ عشِيْراً مِنْ مناقِبِنَا ومَنْ يَعُدُّ ثَـــرَى يَبْرِيْـــنَ مُرْتَكِمَا

وقصائد اختتمها بالاستعطاف نحو قوله:[4]

فصُنْ حَرَّ وجهِي عن ســـؤالٍ فإنَّهُ عليَّ ولـــــو عاشَ ابنُ زائِدةٍ صَعْبُ

ورُدَّ كثيرًا مِنْ يسيْرٍ تُقِـــتْ بـــــهِ فراخًا قد استولى على ربعِها الجدْبُ

فبَحْرُكَ للـــــوُرَّادِ ذُو مُتَغَطْمِـــطٍ ورَبعُكَ للـــــوُفَّادِ ذُو سِعَةٍ رَحْبُ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١١٩،و هلابث:جمع هلبوث،وهو الأحمق.

[2] المصدر نفسه،ص١٧٥،و الفرزدق:هو الشاعر الأموي المعروف،صاحب الأخبار مع جرير والأخطل،توفي سنة ١١٠ه،ومُزَرِّد:هو ابن ضرار بن حرمَلَة المازني الذبياني الغطفاني،من الفرسان الشعراء،وقد أدرَكَ الإسلام في كبرهِ وأسلم،وتوفي في أوائل سنى الهجرة.

[3] المصدر نفسه،ص٥٥٤،و المنتجع: موضِع طلب الكلأ والمعروف،والعير:الحمار،وعرِم:فسُد والعشير:جزء من عشرة أو القليل،ويبرين: رمل يوصف بالكثرة بينه وبين الأحساء وهجر مرحلتلن،ومُرْتَكِما:مجتمعاً بعضه فوق بعض.

[4] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٣٥،و ابن زائدة:هو معن بن زائدة من أشهر أجواد العرب وشجعانهم،قُتل سنة ١٥١للهجرة،و متغطمط:مضطرب عظيم الأمواج كثير الماء.

ومن خلال دراستنا لبنية القصيدة لدى ابن درّاج وابن المقرّب نجد اشتراكهما في الانتماء إلى الاتِّجاه المحافظ الجديد الذي ينتمي إليه المتنبّي،وهو اتجاهٌ كان ظهوره في الشّرق كردَّة فعل للاتجاه المُحدث الذي خرجَ به أبو نوّاس عن كثير من تقاليد الشعر العربي.

فجاء هذا الاتجاه ليعيد للشعر العربي طبيعته العربية،من خلال الاقتراب من تقاليد الشعر المأثورة،والتخفيف من الثورة المتمرِّدة التي لجأ إليها المحدثون،مع الحرص في الوقت ذاته على تطوير الشعر والإفادة مما وصلت إليه العقلية العربية من رقي وثقافة ونهضة وحضارة.[١]

ومن هنا ظهرت طائفة من الشعراء وقفت موقفًا معتدلاً بين منهج القدماء ومنهج المحدثين، وشكّلت الاتجاه المحافظ الجديد.

وهو مانجده لدى ابن درّاج وابن المقرّب،حيث تنوّعت مقدّمات قصائدهم مابين مقدمات اتّبعا فيها المنهج التقليدي من خلال الإتيان بالمقدمة الطَّلليّة،أو المقدمة الغزلية،أو مقدّمة الشيب،أو مقدّمة الوداع ووصف مشهده،ومقدمات اتّبعا فيها المنهج المحدث من خلال الاستغناء أصلاً عن المقدمات والدّخول المباشر في غرض القصيدة.

أمَّا أهم السمات التي اتّسمت بها بنية القصيدة لديهما فهي على النحو الآتي:

١_اتَّسمت المقدّمة الطلليّة ومقدّمة الوداع لدى ابن درَّاج بالذّاتية لكونها نابعة من واقعه وتجربته في الحياة،وتبرز السمة ذاتها في المقدمة الطللية لدى ابن المقرّب.

٢_اتَّسمت المقدمة الغزلية لدى ابن درّاج بمزج الغزل بالطبيعة جاعلاً خلال ذلك من المرأة صورة من محاسن الطبيعة.

٣_أغلب قصائد الشاعرين افتقدت الوحدة الموضوعية،من خلال الجمع بين الغرض الرئيسي فيها"المدح"وبين الشكوى والعتاب،أو الغربة،أو الفخر،أو الغزل،أو الوصف،وهو أمرٌ ناتجٌ عن اشتراكهما في طبيعة الظروف التي مرّا بها،وعن إحساسهما الدائم بمرارة الظلم الذي لحق بهما،وقسوة الغربة التي عاشاها،ورغبتهما في الحصول على مايستحقانه من تقدير،وبذلك لم يجدا سبيلاً للتعبير عن ذلك كله سوى مزج المديح بأغراض أخرى يستخدمانها للتعبير عما بداخلهما.

---

[١]أحمد هيكل،الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،ص١٩٥،(بتصرّف).

٤_أجاد كلا الشاعرين فن التخلّص الذي اتَّسم لديهما بالتوافق والانسجام.

٥_في بعض القصائد اتَّبع الشاعران الأسلوب المحدث من خلال دخولهما المباشر في موضوع القصيدة والاستغناء بذلك عن فنَّ التخلُّص.

٦_تنوَّعت خاتمة القصائد لدى الشاعرين إلاَّ أن خاتمة الدعاء للممدوح كان لها النَّصيب الأكبر في دواوينهما.

٧_اتّسمت الخاتمة لدى الشاعرين بالتوافق والتلاؤم مع موضوع القصيدة.

المبحث الثاني

الألفاظ والأساليب.

أولاً:الألفاظ.

تُعد الألفاظ مدخلاً للنص الشعري،باعتبارها تحمل الدَّلالة على التجربة الشعرية،وتعكس جودة النص الشعري،ومن هنا يعمل الشاعر الجيد على اختيار اللفظ المناسب،لما في ذلك من تحقيق للمعنى المراد.

وقد عاشَ كُلٌّ من ابن درّاج وابن المقرّب حياةً قلقة غير مستقرّة،وكان التّنقُّل الدائم هو الأساس فيها،حيثُ ارتحلوا بين الحواضر والبوادي،وتبعًا لذلك تنوّعت لغتهما الشعرية مابين لغة اتّسمت بالصعوبة والوعورة كما في قول ابن درّاج:[1]

ومُوحِشةٍ الأقطـــارِ طامٍ جِمَامُها مَرِيْشٌ بِأسْـــرابِ القَطَـا رجْوَاهَـا

أهلَّ إليها بعـــدَ خمْسٍ دَلِيْلُنَـــا فمُجْنا صُدورَ العِيْسِ نحْـوَ جبَاهـا

نُغِيْثُ بقَايا مِنْ نُفُـــوسٍ كأنَّهـا بقايا نجـومِ القذْفِ غـارَ سَنَاهـا

وقُلْتُ لِنضْوٍ في الزِّمامِ رذيّـــةٍ تشكَّى إلى الأرضِ الفضاءِ وجَاهـا

وقول ابن المقرّب:[2]

فكمْ خُضْتُ رجْوَ اليومِ منْ لُجِّ مزبّدٍ يُظنُّ اصطفاقُ الموجِ فيهِ مشاعـلا

وكم جُبتُ منْ موماة أرضٍ ترى بها مع الآلِ حقَّ العيْنِ والأذنَ باطِـلا

وتحْسَبُ فيها الثُّعلبـــانَ مُجـــدَّلاً منَ الخيْلِ إذ تعلُو كثِيْبًا مُقابِـــلا

وإن عرَضَتْ فيها الرِّئالُ حسبتَهـا بخاتِيَّ تحْمِلْنَ الرَّوايـا قـــــوافِلاَ

---

[1]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٣،ورذيّة:الرّذيّة من الإبل:الناقة المهزولة،وجَاهَا:الوجا هو الحفَى وهو أنْ يشْتكِي البعير باطن خُفّه.

[2]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٣٩٦و٣٩٧.

ومابين لغة اتّسمت بالوضوح والسلاسة كما في قول ابن درّاج واصفًا الطبيعة:[1]

ونيْلُوفَرٍ قَمِـــــنٍ بالذُّبـــــولِ يـــرُوْقُ فيذْبُـــلُ عمَّا قليْـــلِ

يُلاقِي الصَّباحَ بيُمْنَـــى جـــوادٍ ويُخْفـــي الظّلامَ بيُمْنَـــى بخِيْلِ

يُبِيْحُ الضُّحى ماحوى مِـــنْ نسِيْمٍ ويمْنَعَـــهُ عندَ وقْـــتِ الأفُولِ

وقول ابن المقرّب واصفًا أحد الجوامع في البصرة:[2]

وبِجَامِـعٍ نَـــدَّ الجوَامِـعَ كلَّـها حُسْنًا وعرْضًا فـي البِنَاءِ وطُولاَ

لَولا اتِّفَاقِ حرِيقِهِ فـــي عصـــرِهِ لَعَفَا وعطَّلَ رسْـــمُهُ تَعْطِيـــلا

كَمْ مِن رُوَاقٍ زَادَ فيـــهِ وحُصـــرُهُ زَادَتْ إلـــى تَرْفِيْـــلِهِ تَـرْفِيْـلاَ

وَبَنَى بِـــهِ للمُسْلِميـــنَ مُقَرْمَـــدَاً تَرَكَ الخَوَرْنَقَ في العيونِ ضَئِيلاَ

وهما في ذلك يشتركان مع المتنبّي الذي عاشَ في البادية والحواضر،وكان لذلك تأثيره على ألفاظه الشعرية.

فنجد لديه الألفاظ الوعرة في مثل قوله:[3]

ألاَ كُـــلُّ ماشيَـــةِ الخيْـــزَلَى فِدَا كـــلِّ ماشيَـــةِ الهيْذَبَـــى

وكـــلُّ نَجَـــاةٍ بِجاوِيَّـــةٍ خنُـــوْفٍ وما بِي حُسْـــنُ المِشَى

ولكنَّهُـــنَّ حبـــالُ الحيـــاةِ وكيْـــدُ العِـــداةِ وميْـــطُ الأذى

---

[1]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤٢و٤٣.

[2]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٤١٠وص٤١١،وندَّ الجوامِعَ:خرجَ عنها بحسنِهِ وفخامتِهِ،وعفَا:اندَثَرَ،وترفيل المسجد:تزيينهُ بالحُصُر والبُسُط،والمُقرْمَد مِن البناء:ماطُلِيَ بالجص وهو خام لونه كلون الصدف يستخدم في طلاء البيوت،والقرمدْ أيضاً:الخَزَف المطبوخ،وحِجارة لها خُرُوق تنضُج بها،والخورنق:قصر للنعمان الأكبر،والشلو:قطعة لحم.

[3]أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،عبدالرحمن البرقوقي،ص١٢٢،والخيْزلى:مشية للنساء فيها استرخاء وتثاقل،وبجاوية:منسوبة إلى بجاوة وهي أرض بالنوبة تُعرف نوقها بالسرعة،وقيل قبيلة من البربر تنتسب إليها هذه النوق،والنقاب:موضع يتشعّب منه طريقان طريق إلى وادي المياه وطريق إلى وادي القرى.

ضَرَبْتُ بها التِّيَهَ ضـــــرْبَ القِما رِ إمّا لِـهـــذا وإمّـــا لِـــــذا

إذا فزِعتْ قدَّمتْهـــا الجيـــادُ وبِيْـــضُ السيـــوفِ وسُمْـرُ القنَا

فمرَّت بِنخْـــلٍ وفـــي ركْبِها عـــنِ العالميـــنَ وعنْـــهُ غِنَى

وأمْسَـــتْ تُخيّرُنـــا بالنِّقـــا بِ وادي الميـــاهِ ووادِي القُـــرَى

ونجد لديه طابع السهولة والسلاسة في الألفاظ في مثل قوله:[1]

واحرَّ قلْبَاهُ ممَّنْ قلبُـــهُ شَبِـــمُ ومـــنْ بِجِسْمِي وحالِي عندَهُ سَقَـمُ

مالِي أُكتِّمُ حُبًّا قدْ برَى جســدِي وتدّعِي حُـــبَّ سيفِ الدّولـــةِ الأُمَمُ

إنْ كانَ يجمعُنَـــا حُبٌّ لِغُـــرَّتِهِ فليْـــتَ أنَّا بِقدْرِ الحُبِّ نقْتَسِـــمُ

قدْ زُرْتُهُ وسُيُوفُ الهِنْدِ مُغْمَـــدَةٌ وقدْ نظَـــرْتُ إليْهِ والسُّيُـــوفُ دَمُ

كما يشترك ابن المقرّب مع المتنبي في اختياره في بعض الأحيان الغريب من الألفاظ كما في قوله:[2]

أمِنْ دِمْنَةَ بينَ اللّـوى والدَّكـــادِكِ شُغِفَتْ بِتِذْرَافِ الدُّمُـــوعِ السّـــوافِكِ

عفَتْ غيرَ آرِيٍّ وأوْرَقَ حـــــائِلٍ وأشْعَثَ مشْجـــوجٍ وسُفْعٍ روامِـــــكِ

ونُؤيٍ كجِذْمِ الحوْضِ غيّرَ رسمُـهُ وجِيْفُ الحصا بالموجِفـــاتِ الحواشِكِ

---

[1] أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص١٢٢٧و١٢٢٨.

[2] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٣٠٥،والدكادك من الرّمل:ماتلبّد منه بالأرض،والأشعث المشجوج:الوتد،وأثفية من حديد أو الأثافي،وروامك:جمع رامُكة وهي لون الرماد،،والرامح:المقيم بالمكان لايبْرحه،والرياح الحواشك:المختلفة والشديدة.

وهو مانجده لدى المتنبّي في مثل قوله:[1]

وأنَّ البُخْـــتَ لايُعْـــرِقْنَ إلاَّ وقـــدْ أنْضـــي العُذافِرَةَ اللِّكَاكَـا

وما أرْضَى لِمُقْلَتِـــهِ بِحُلْـــمٍ إذا انْتَبَهَـــت توهَّمَـــهُ ابْتِشَاكَـــا

أمّا المعجم الشعري لدى ابن درّاج فمن خلال الأغراض الشعرية التي تناولناها نجد أنّ ألفاظه في المديح تدور حول التغنّي بحسب الممدوح ونسبه،وكرمه وبطولاته،ومظهره الخارجي.

نحو:أميرالمؤمنين،تاج العز،سورٌ منيع،ركنٌ مشيد،قائد الخيل،أتعب الخيل،ساور الموت،ليث سليل،أشجع، أهيب،أجمل،أصْمَدَ،فرَّق المال،كريمها،سحائب،غيث.

ولأنَّ حياة ابن درّاج فرضت عليه التّكسُّب بشعره نجد الكرم والألفاظ الدّالة عليه الأكثر شيوعًا في مديحه كما في قوله:[2]

بِمَكَارِمٍ شَهِدَتْ عليْـــــهِ بأنَّـــهُ أنْدَى الـــورَى كفًّا وأطْيَـــبُ مَحْتِـــدَا

وقوله:[3]

ومِنْ جَدْواكَ رُدَّ دمِـــــي ولحْمِيْ وما انْتَقَـــتِ الحوادِثُ مِـنْ عِظَامِيْ

فكَفْكَفْتَ الـــرّدَى عنِّـــيْ بِكَـــفٍّ تُثِيْرُ الغَيْـــثَ فـــي الغَيْمِ الجَهَـــامِ

وفي الفخر يستخدم ألفاظًا تُعبِّر عن فخره بقوة عزيمته وصبره على صروف الدهر، نحو: أميرٌ على غول التنائف،عزائم لا تنثني،بصائر لا تنتهي،المنى طوع همّتي،صَرَفْتُ عن صَرْف الزمان،كففت عن سعي الحسود.

---

[1]أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص٨٨٤،والبُخت:الجمال الخراسانية،ويعْرقن:يأتين العراق، أنضى:هزل،والعذافرة:الناقة الشديدة،واللكاك:الناقة المكتنزة اللحم وابتشاكا:كذبًا.

[2]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج،٤٥٣و٤٥٤،و فدفدا:الأرض المستوية.

[3]المصدر نفسه،ص٢٢٦وص٢٢٧،والجهام:سحاب لا ماء فيه.

فيأتي فخره متّسمًا بالفخامة والقوة كما في قوله:[1]

أمـيرٌ عـــلى غَــوْلِ التَّنــائِفِ مالَــهُ إذا رِيَـــعَ إلاَّ الْمَشْـــرَفِيَّ وزِيْـــرُ

فقُدْني لكشْفِ الْخَطْبِ والْخَطْبُ مُعْضِلُ وكِلْنِـــي لِلَيْــثِ الْغابِ وهوَ هَصــوْرُ

أو يستخدم ألفاظًا تعبّر عن فخره بشعره نحو:جواهر،الدُّر،لآليء،أبكار المعاني،كرائم لم تُمتهن، عقائل لم تُمتثل،مصونة لم تُبتذل.

كما في قوله:[2]

إليـــكَ جَلَــوْتُ أبْكَــارَ المــعَانِي معَــاذِيراً بِـــلَألاءِ القُبُـــولِ

سَـــوَارٍ في الظـــلامِ بِلا نُجُـــومِ هَــوَادٍ في الفَــلاَةِ بِــلاَ دَلِيلِ

وعند الحديث عن الغربة والحنين تتَّشِح ألفاظه بالحزن والأسى أوالشكوى والاستعطاف نحو: الخُطُوب،النَّكبات،النَّائبات،الهموم،صُرُوف الدَّهر،أنَّة وزفير،شقّ الحزون،وعَث الْسهول،هَوْلُ السُّرى،جمان الدموع،جناح الشوق،ذُعر الفراق،البَيْن،النَّوى،تباريح الهوى،لوعاتُ الأسى،تسُحُّ عليها الدموع،تدانت للوداع،فقير،ذليل.

ومن الملاحظ أنَّ الشاعر في حديثه عن الغربة والحنين قد وظّف ألفاظًا تخدم الجانب العاطفي والوجداني لديه،فكانت ألفاظه بعيدة عن التّكلُّف ،ومعبّرة عن صدق شعوره،كما كان أسلوبه واضحًا لاغموضَ ولاتعقيد فيه كما في قوله:[3]

ولمَّا تدانَــتْ للــودَاعِ وقــدْ هَفَــــا بِصَبــرْي مِنْـــهَا أنَّــةٌ وزفيــرُ

تُناشِــدُنِي عَهْــدَ المَــودَّةِ والهَــوى وفي الْمَهْدِ مَبْغُومُ النِّــداءِ صَغِيــرُ

عَيِـــيٌّ بِمَرْجُوعِ الخِـــطابِ ولَفْظُـــهُ بمَــوقِعِ أهْــوَاءِ النُّــفوسِ خَبــيرُ

تَبَـــوَّأَ ممـــنوعَ القــلوبِ ومُهّــذَت لـــهُ أذْرُعٌ محْفــوُفَةٌ ونُحُـــورُ

---

[1]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٠٠وص٣٠٣،و التنائِف:جمع تنوفة وهي الفلاة لاماء فيها ولا أنيس،و ريَعَ:خافَ،و هصور:الأسد لأنه يكسِّر فريسته.

[2]المصدر نفسه،ص٥٤٠.

[3]المصدر نفسه،ص٢٩٨وص٢٩٩،ومبغوم:من بغَمَ الرجل صاحبه أي لم يُفصح له عن معنى مايُحدّثه به.

عَصَيْتُ شَفِيـــعَ النَّفْسِ فيــهِ وقَادَنِي رواحٌ لِتَــدآبِ السّـــرَى وبُكُــورُ

وطَارَ جَنَاحُ الشَّوقِ بـــي وهفتْ بها جوانِحُ مِنْ ذُعْرِ الْفِــرَاقِ تَطِــيرُ

وفي الوصف نجد في معجمه أوصافًا ممتزجة بظواهر الطبيعة،وهو أمرٌ شاعَ في الشعر الأندلسي نظرًا لما تتمتَّع به الأندلُس من طبيعة خلاَّبة.

ومن هنا استخدمَ الشاعر ألفاظًا نحو: الضُّحى، الشمس، اللّيل، الأرض،التَّنائِف،الفلاة،المومَاة النَّكباء، البوارح، الرّياح، السَّحائب، الموج، الآل،الورد، النّارنج،السَّوسن،الربيع،شجراته، أغصانه، كواكبه،عثيره، النَّعام الضِّباء،الحَمَام،الخيل،اللّيث.

ومن ذلك قوله في وصف الورد:[1]

ضحِكَ الزَّمانُ لنا فهَاكَ وهاتِـــــــهِ أوَ مَا رأيْتَ الورْدَ في شجَـــرَاتِهِ

قـــــدْ جاءَ بالنَّارِنْجِ مِنْ أغْـــصَانِهِ وبِخجْلَةِ المعْشُوْقِ مِنْ وجنَـــاتِهِ

كما نجد لديه المعجم الحربي الذي وصف فيه الوقائع الحربية بألفاظٍ نحو:فارسهاحسامها،سنانها، همامها،القائد الأعلى،سيف الهدى،جيوش الموت، صوارم حسامك الخيول،جياد،ضباء،فيلق.

ومن الملاحظ أنّ السيف ومترادفاته كثير الدوران في معجمه الحربي أكثر من غيره من أدوات الحرب كما في قوله:[2]

وكُلُّ مُخـــــادِعٍ لكَ لـــــمْ يُخــادِعْ حُسامُكَ مِنْهُ حسْـــــــمُ الأخْدَعَيْـنِ

لِسيْـــــفٍ لاتقِـــــي حـــــدَّاهُ نفْسًا تـــــراءَى مِنْ وراءِ الصَّفْحتَيْـــنِ

وقوله:[3]

وأيْنَ مِنْهُ سبِيْلُ الفوزِ مِنْكَ وقـــــدْ سللْتَ سيفَ الهُدى والنّصْرِ في طلبِهْ

---

[1]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤٠و٤١..
[2]المصدر نفسه،ص٣٧٦و٣٧٧.
[3]المصدر نفسه،ص٤٤٣.

وقوله:[١]

وترَكْتَ أرْضَ ليونَ وهـــــي كأنَّها لمْ تغْنَ بالأمـــسِ القريْبِ ديـــارُها

بقواضِبٍ قُضِبَتْ بِهِنَّ حيـــــاتُها وصوارِمٍ صُرِمَتْ بِهِـنَّ أعْمارُهـــا

وعلى الرّغم منْ ذلك لم يغْفل ابن درّاج عن الأدوات الحربية الأخرى كما في قوله :[٢]

ياقائِدَ الخيْلِ العِتَـــاقِ كأنَّـــما عزَمَاتُـــــهُ أرْماحُهـــا وشِفارُها

وقوله:[٣]

أشْرَعْتَ تنْحُوها قِسِـــيَّ عزائِـــمٍ كانتْ هَوَادِي المُقْرَبَاتِ سِهامُهَـــــا

والحرب ودلالاتها لاتكْتَمِل بدون ذكر الممدوح،وكثيرًا مايُوظّف الشاعر ألفاظًا تدل على شجاعة الممدوح وإقدامه،كمايوظّف ألفاظًا تدل على نصرته للدين وإعزاز شأنه كما في قوله:[٤]

وأشجعَ مـــــنْ حمَلَتْهُ الخُيـــولُ وأهيبَ مـــــنْ رهِبتـــــهُ الأُســـودُ

وأصْمَدَ مـــــنْ جرَّبتْهُ السُيُـــوفُ وأجمَـــــلَ مـــــنْ ظلَّلَتْهُ البُنُـــــودُ

ومنْ هوَ لِلْمُلْكِ ســـــورٌ منيْـــعٌ ومـــــنْ هـــوَ لِلـــديْنِ رُكنٌ مَشيْدُ

وكثيرًا مايقرن بين بطولة الممدوح ومايتحلّى به من فضائل ومكارم كما في قوله:[٥]

هنيئًا لهـــذا الدَّهـــر روحٌ وريحـانُ وللـــدِّين والدنيـــا أمـــانٌ وإيـــمانُ

بـــأنَّ قعـــيدَ الشِّرْكِ قدْ ثُـــلَّ عرْشُهُ وأنَّ أمـــيرَ المؤمنـــينَ سُلـــيمانُ

سَمِـــيُّ الذي انْـــقادَ الأنَـــامُ لِأمرِهِ فلمْ يعْصِهِ في الأرضِ إنسٌ ولا جَانُ

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤٠٩و٤١٠،وقواضب:السيف القاضب يُقصد به السيف القاطع،وصوارم:السيف الحاد.

[٢]المصدر نفسه،ص٤٠٩.

[٣]المصدر نفسه،ص٢٩٦.

[٤]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٢٦،والبنُود:الأعلُم الكبيرة.

[٥]المصدر نفسه،ص٥٤وص٥٥،و ثُلَّ عرشه:ذهبَ سلطانه،وقعيد الشرك يقصدبه محمد بن هشام.

وبانِـــي العُـــلا للمجْدِ غـــادٍ ورَائِحٌ وحِلْفُ التُّقى في اللهِ راضٍ وغضْبانُ

بـــهِ رُدَّ فـــي جَوِّ الخلافةِ نُـورها وقدْ أظْلَمَتْ منـــها قصـورٌ وأوْطانُ

وقـــامَ فقَامـــتْ للـــمعَالِي معـــالِمٌ وللخـــيرِ أســـواقٌ وللـــعدْلِ مـــيزانُ

وفي الغزل يأتي بألفاظٍ تتناسب مع الحالة التي يعيشها،فإن تغزَّل بمحبوبته جاء بألفاظٍ رقيقة وعذبة نحو،بدْرُ السماء،ظِباء القفْركما في قوله واصفًا محبوبته:[1]

فيَا ظَلاَلَ نُجُومِ اللَّيْلِ إذْ عَدِمَتْ بدْرَ السَّماء وفي حِجْرِي مضَاجِعُهُ

ويا حَنِيْنَ ظِبَاءَ الْقَفْرِ إذْ فقَدَتْ غَزَالَهُـــنَّ وفي روْضـــــي مراتِعُهُ

وإن شكا من لوعة الحب جاء بألفاظ نحو:سهادي،اكتئابي،الهجر،التّصابي،سأمنعُ قلبي،أَنْهِي دموعي،أصُدُّ بوجهي،استفظعُ الشَّهْدَ،أصْرِفُ عن ذِكراكِ سمعِي ومَنْطِقي كما في قوله:[2]

سَأَمْنَـــعُ قلـــبي أنْ يحِـــنَّ إليْـــكِ وأنْهَى دُمُوعِـــي أنْ تَفِيْضَ عَليْكِ

أَغَدْرًا ولَـــمْ أغْدِرْ وخَـــوْنًا ولم أَخُنْ لقَد ضَاعَ لي صِـــدْقُ الْوفَاء لدَيْكِ

بِفِعْلِكِ عِيْبَ الْحُسْنُ عِنْدِي ولإنْ غَدَتْ مهـــاةُ النَّقا والشَّمْـــسُ مُشْتَبِهَيْكِ

أَصُدُّ بِوجْهِي عنْ سنَا الشَّمْسِ طَـالِعًا لأَنْ صَارَ مَنْسُوبَ الصِّـفَاتِ إلِيْكِ

وأسْتَفْظِعُ الشَّـــهْدَ اللَّذيـــذَ مذَاقُـــهُ لِمَطْـــعَمِهِ المَوجُودِ فـــي شَفَتَيْكِ

وأَصْرِفُ عنْ ذِكْرَاكِ سَمْعِي ومَنْطِقِي ولـــو نَازَعَتْنِيْهَا حَمَامَـــةُ أيْكِ

ولَو عنَّ لي ظَبْـــيُ الفَلاَ لاجْتَنَبْتُـــهُ لِتِمْثَـــالِ عيْنَيْـــكِ وسَالِفَتَيْـــكِ

---

[1]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٤٠.

[2]المصدر نفسه،ص٣٤٨،و مهاة: حجر معدني بلوري صافٍ تتخذ منه الأواني والخواتم والعقود والثريَّات،النَّقا:النُّقَاوة من الشي خياره وخُلاصَتُهُ،و سالِفَتيكِ:السَّالفة هي جانب العُنُق.

ويلاحظ في شعره استعماله لبعض الألفاظ الأندلسية نحو قوله:[١]

وانْصِبْ مجَانِيْقًا مِـنَ النيّـــم التي أحجـــارُهُنَّ مِنَ الرَّواطِـــمِ والنَّخَبِ

فالنيّم في البيت السابق جمع نيمة،وتعني الزجاجة أو القنينة عند الأندلسيين،والرَّواطم جمع رطومة،وتعني أيضًا القنّينة.

كما يحتوي شعره على بعض أسماء البلاد الإسبانية التي اتَّصل بها المسلمون خلال معاركهم التي خاضوها مع المسيحيين،وذلك في مثل قوله:[٢]

وقُلُنْيَـــةٌ أنْشَـــأتَ فيهـا عارِضًا للحـــربِ أَبْرَقَ بِالْحُتُوفِ وأرْعَـدا

وتَرَكْتَ شَنْـــتَ أُشْـتِيبَنًا وكأنَّـــما حَطَّـــتْ سُيُوفُـكَ مِنْ عِدَاها الْفَرْقَدَا

وقوله:[٣]

وبسَطْتَ مِنْ قَشْتِلَّـــةٍ يدَ آمِـــنٍ لِرِضَـــاكَ فيها بارِقٌ وسِـــوارُ

وقوله:[٤]

فتَتَّ مِنْهـا قَواصِـــيَ بنبْلُونَتِـــهِ بِالْهـــدْمِ والنَّارِ فتًّا فَتَّ في عضُدِهِ

وفي القصيدة التي نظمها لتهنئة منذر بن يحيى على إيقاعهِ باثنين مِن قُوَّاد "ابن شنْج" ملك نبارة،يتَّضح أنَّ ابن درَّاج كان يعرف اللَّاتينية الشائعة في أيامه بين الأندلسيين؛وذلك لأنَّ أحد القائدين اللّذين تم الإيقاع بهما كان اسمه "لُبّس"وهو اسم مُشتق من اللاتينية ومعناه"الذئب"[٥]

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٦.
[٢]المصدر نفسه،ص٤٥٥،و قُلُنية و شَنْتَ اشْتِيبَناً:قلعتان معروفة لدى المسيحيين وهي من أمنع خطوط الدفاع عن إمارة قشتالة.
[٣]المصدر نفسه،ص١٥٥،وقشْتِلّة هي المنطقة المسمَّاة بالإسبانية "كاستيليا"وتقع في وسط شبه الجزيرة الإيبيرية.
[٤]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٤٩،ونبلونة هي عاصمة مملكة البشكنس أو مملكة نبرة في شمال شبة الجزيرة الإيبيرية.
[٥]أنظر ابن درّاج القسطلي،حاشية الديوان،ص٤٩٤.

ويظهر ذلك في قوله:[١]

كـــمْ مِنْ سَمِيٍ لهُ فيها وذِي نَسَـبٍ لـــمْ يدَّخـــرْ نَابَـــهُ عنـْهُ ولا ظُفُـرَهْ

"إذ إنّه يقصد أن يقول:كم من ذئب مثل هذا القائد مُسمَّى باسمه لم يألُ جُهدًا في إيذاء المسلمين والعدوان عليهم بنابهِ وظفره حتى ردَّ الله كيدهُ وبطش به على يدي منذر."[٢]

وفي ديوانه أيضًا بعض القصائد التي أشار فيها إلى أسماء أخرى لبعض الملوك والأمراءالإسبان نحو قوله:[٣]

وفِرْذِلَنْدُ ردَدَتَ المُلْكَ فـــي يـــدِهِ وما رجَـــا غيرَ ردِّ الرُّوحِ في جسَدِهِ

وقوله:[٤]

وقدْ تيَمَّـــــمَ شَنْجٌ منْـــــكَ عائِدَةٌ تُجِيْرُهُ مِـــنْ سيوفِ الكَرْبِ والوَجَلِ

أمّا المعجم الشعري لابن المقرّب فنجد لديه في المديح ألفاظًا نحو:فخر الدين،المُستغاث،ملاذ المستغيثين،لسان القوم،البدر،الموت،البحر،الجواد،أكرمها،أوسعها ندى،خيرها حسَبًا.

والألفاظ الدّالة على الكرم هي الأكثر شيوعًا في ديوانه كما في قوله:[٥]

هُو الموْتُ لكن ليسَ يقْتُلُ غِيْلَـةً هـــو البحْرُ إلاَّ أنَّ موْرِدَهُ عـــذْبُ

وقوله:[٦]

وحميـتَ دارَ أبيك مِنك بهـمَّةٍ الجُـــودُ والإقـدامُ مـِن هاماتِهـا

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤٩٤.
[٢] المصدر نفسه،ص٤٩٤.
[٣]المصدر نفسه، ص١٥٠،و"فرذلند"أحد الأمراء المسيحيين.
[٤]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤١٤،و"شنج"هو شانجة بن غرسيه بن فرذلند ثالث قوامس قشتالة،ومانَ مُعاصراً للمنصور وابنيه.
[٥]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٣٣.
[٦]المصدر نفسه،ص١١١وص١١٣.

أمّا في الفخر فنجده يستخدم ألفاظًا في الفخر بذاته نحو: أذكى القوم،أوفاكم عهدًا، أحلمكم، أفصحُها.

وإلى جانب ذلك يتشارك مع ابن درّاج في اختياره ألفاظًا تُعبّر عن فخره بقوة عزيمته وتحديه لنوائب الدّهر كما في قوله:[1]

أتدْري الليالي أيَّ خَصْـــمٍ تُشَـاغِبُهُ وأيَّ هُمــامٍ بـالزرايـــــا تُواثِبُـــهْ

تجَاهلَ هذا الدَّهْـــرُ بـــي فتَكتَّبَتْ علــيَّ بأنـواعِ البـــلايا كتـائِبُـــــهْ

وظنَّ مُحـالاً أن أدِيــنَ لِحُكمـــــهِ لِتبْكِي علـــــى عقْلِ المُعنَّى نوَادِبُـهْ

وإنّي وإنْ أبْدَى اصـعْرارًا بِخـــــدِّهِ وأوْجَفَ بـــــي وازْوَرَّ لِلْبُغْضِ جَانِبُهْ

لأَغْضَى علـى بغْضائِـــــهِ وازْوِرَارِهِ وأعجـــبُ مِـــن حُرٍّ كريـــمٍ يُعاتِبُـهْ

واستقبلُ الخطبَ الجليلَ بثـــاقبٍ مِنَ العزْمِ يعْلُو لاهـــبَ النَّارِ لاهبُهْ

ورأْيٍ متـــى جـرَّدتُهُ وانْتَضـيْتُـــهُ وجدت حُسـامًا لم تُفـلَّلْ مضارِبُـــهْ

ولسْتُ بِيَهْفُوفٍ يـــــرى رأيَ عِرْسِهِ متى أركبْتـهُ مركبًا فهـــــوَ راكِبُـهْ

أمّا معجمه في الشوق والحنين فقد اتّشحت ألفاظه فيه بنبرة الحزن والشوق للأهل والديار وأيام الصِّبا نحو:يشتاقكم،شوقًا إليكم،مسائِلٌ بهم،كفى حزنًا،سقيا لليالي اللّهو،لله أيام الصّبا.

وقد كان لألفاظ الاشتياق النّصيب الأكبر في هذا الجانب نحو قوله:[2]

وإنّـــي حَفـــيٌّ عنهـــمُ ومُسائِـــلٌ بِهِمْ حيثُ يَثْوِي السَّفَرُ أو ينْزِلُ الرَّكْبُ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٥٢وص٥٣،وتكتَّبت:تهيَّأت،وصعَّر خدَّه:أمالهُ عن النظر إلى الناس تهاوناً مِنه وكبْر،واليهفوف:الجبان.

[2] المصدر نفسه،ص٣١وص٣٢.

وقوله:[1]

كِتَابَ مشُوقٍ ماتغَنَّـــتْ حمَامـــةٌ مِنَ الـــــوُرْقِ إلاَّ حَنَّ شـوْقًا إليْكُمُ

وقوله:[2]

وإنَّ انْـفِرَادي عنـــهم وتغرُّبـــــي ترامَى بي الأمــواجُ والْحَزْنُ والسُّهـبُ

بغيرِ اختيـارٍ كانَ مِنِّي ولا قِلـــىً وإنَّهُـمُ لَلعيـنُ والأنْـفُ والقـــلبُ

ولكِنَّـــها الأيَّـامُ تُبْعِـــدُ تَـــارةً وتُدْني ولا بُعْـدٌ يـدُومُ ولا قُـــرْبُ

وإنّـــي حَفـــيٌّ عنهـــمُ ومُسائِـــلٌ بِهِمْ حيثُ يَثْوِي السُّفْرُ أو ينْزِلُ الرَّكْبُ

وقوله:[3]

ويشْتَاقُكم قلبي فأذكـــرُ دُونَـــكُمْ مهامِـــــهَ لا أشتـاقُها وسَبَاسِـــبَا

غير أنَّ ابن درّاج قد تفوق على ابن المقرّب في طريقة توظيف هذا الغرض في شعره فغرض الغربة والحنين هو غرض يعتمد فيه الشاعر بشكل كبير على الجانب العاطفي للتعبير عن معاناته مع الغربة والحنين،وقد برَع ابن درّاج في إعطاء الجانب العاطفي حقّه في هذا الغرض، من خلال انتقائه لألفاظ وصفت معاناته ومعاناة أسرته مع الغربة بدقّة،في حين خلا تقريبًا معجم ابن المقرّب من الألفاظ التي عبّر فيها عن الجانب في غربته،فجاءت قصائد ابن درّاج في هذا الغرض أكثر تأثيرًا وأكثر استثارةً للجانب العاطفي.

أمّا معجم ابن المقرّب في الوصف فنجده فيه ألفاظًا وصف فيها المشاهد التي مرّ بها خلال رحلاته كما في قوله:[4]

أمِنْ دِمْنَةٍ بيـــــنَ اللّوى والدّكَـــاكِ شُغِفَت بِتِذْرَافِ الدُّمـــــوعِ السَّـــوافِكِ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٤٦٥،والمجزريّ:لعلَّه نسبة إلى جزيرة وهي أرض بالبصرة،والجرعاء:موضع بالأحساء:وهي أيضاً:الرَّملة الطيبة المنبت.

[2] المصدر نفسه،ص٣١وص٣٢.

[3] المصدر نفسه،ص٣٩.

[4] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٣٠٥وص٣٠٦وص٣٠٧.

ونُؤْيٍ كجِذْمِ الحـــــوْض غَيَّرَ رَسْــمُهُ وجِيْفُ الحصَا بِالْمُوجِــفاتِ الحوَاشِكِ

غَدَاةَ تدَاعَى الحيُّ بِالْبَيْـنِ بعدَمَـــــا جلاَ الصُّبْحُ أعجــازَ النُّجُـومِ الدَّوالِكِ

قِمَطْـــــرٍ دَرَفْسٍ قيْسَـــــرِيٍّ كأنَّـــما مناكِبُهُ جُلِّلْـــنَ وشْـــيَ الدَّرانِـــــكِ

وقوله:[1]

فيَا عرصاتِ الدَّارِ مِنْ حيثُ تلتَقِـــي شقائِـــقُ أجْـــــزَاعِ اللِّوَى والأبــاطِحُ

سَقاكُنَّ مِن نَوْءِ السَّـــمَاكَيْنِ عـارِضٌ مِنَ المُزْنِ محْلُـــولُ النِّطـــاقَيْنِ دَالِحُ

مُلِثٌّ يظلُّ الجـــأْبُ فـي عُنْفُوانِـــهِ علــى النُّشْز وهو السَّحْسَـــحُ المُتَمَايِحُ

كمُسْتَرْعِفٍ أحْـــذَى ودنَّـــحَ بَعْدَمَا بعْدَمَا غَدَا طَلْقاً واسْتَبْدَهَتْهُ المـــطَاوِحُ

وتُمْسِي الرَّعانُ القُودُ فيـــهِ كأنَّهـا يعَالِيْلُ فـــي آذِي بَحْـــرٍ طَـــوافِحُ

ومعجمه الحربي الذي وصف فيه بعض الوقائع الحربية نجد فيه ألفاظًا نحو: نقعه ،عجاجه أوكارُهُنَّ،اللقالِق،قواذف،صواعق،غاسق،البنُود.

وعلى غرار ابن درّاج كان السيف الأكثر ورودًا في معجمه الحربي بالنسبة لأدوات القتال الأخرى ويبدو ذلك في مثل قوله:[2]

سلُوا عن مواضِيْهِ منيْعًا وعمَّـــــهُ فقـــدْ خَبَرَاها بعدمـــــا اخْتَبرَاها

أَلَمْ يُخلِ أرْضَ السِّيْبِ بالسيفِ منْهُما وكانـــا بِغيْرِ الحقِّ قـــد عمَراها

أحلَّهما بالسيفِ فـــي أرْضِ عامِرٍ ولـــولا سطَامُ الســيْفِ مااعْتمرَاها

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١٢١وص.١٢٢

[2] المصدر نفسه،ص٦٤٦و٦٤٧.

وقوله:[1]

فإنَّ سيُـــوفَنا مـــازالَ فيْـــها شِفاءٌ للـــــرّؤوسِ مـــنَ الصُّدَاعِ

وقوله:[2]

وأشَدُّ بأْسًا منْ كُلَيْـــبٍ إذا سَطـــا بالسّيْـــــفِ يجْتَثُّ الذُّرى منْ حِمْيَرٍ

ولم يُغْفِل كذلك أدوات الحرب الأخرى كما في قوله:[3]

وتَحْسَـبُ مِـــنْ رَأَيِ الأسِنَّـــة أنَّـــهَا قَـوَاذِفَ قَذْفٍ صَوَّتتْ وصـوَاعِـقُ

كما يشترِك مع ابن درّاج في وصفه قائد المعركة عادةً بألفاظ تدور حول انتصاره للدين بشجاعته وبطولته كما في قوله:[4]

وأضْحَى بهِ الإسلامُ غضّا وأَصْبَحَتْ عُيُونُ الأذَى عنْ سِرْبِهِ وهْـــيَ نُـــوَّمُ

ويشترك أيضَا مع ابن درّاج في معجمه الغزلي مِنْ حيث الإتيان بألفاظ تتناسب مع الحالة التي يعيشها،فإن تغزّل بجمال المحبوبة جاء بألفاظ رقيقة وعذبة مثل بيض الخدود،نواعم الأبدان، غصن البان،طرفها الفتّان.

وتتّضح رقة وعذوبة ألفاظه في مثل قوله:[5]

خليلِيَّ هُبَّا مِنْ كَرَى النَّومِ وانْـظُرَا مخائِلَ هذا الْبَرْقِ مِن حيْثُ يَلْمَحُ

لقدْ كِدْتُ ممَّا كَـادَ أنْ يَسْـتَفِزَّنِيْ أبُـوحُ بِسِرّي في الْهَوى وأُصَرّحُ

ذكَـرْتُ بهِ ثَغْرَ الْحَبِيْـبِ وحُسْنِهِ إذا ما تَجَلَّى ضَاحِكاً وهو يَمْرَحُ

ويا حبَّذا ذاكَ الْجَبِيْـنُ الذي غَدَا يلُـوحُ عليهِ الزَّعْفَرَانُ المُـــذَرَّحُ

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٢٧٢.
[2] المصدر نفسه،ص٢٢٢.
[3] المصدر نفسه،ص٢٩٩.
[4] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٤٥٣وص٤٥٤.
[5] المصدر نفسه،ص١٣١،و الزعفران المُذَرَّح:ذرَّحت الزعفران في الماء أي جعلت فيه منه شيئا يسيراً.

وإذا شكا من الاشتياق للمحبوبة جاء بألفاظ نحو صبَا شوقًا،حنّ إلى الديار،نازعه الهوى،هاج له الغرام،الشوق،الحشَا،دمع المآقي.

كما في قوله:[١]

أَرَتْهَا المــآقِي ما تُكِــنُّ الْجَــوَانِحُ فَبُــحْ فالمعــنى بِالصَّبَــابَةِ بَائِحُ

فَكَمْ تَسْتُرُ الشَّوقَ الذي خَامَرَ الْحَشَا ودَمْــعُ المــآقِي للمُحِبِّيـنَ فَاضِحُ

ومن الأمور الملاحظة في معجم ابن المقرّب إحتواؤه على أسماء لبعض أعلام العرب في الجاهلية والإسلام وما مرَّ في سيرهم من أحداثٍ وقصص،كما في قوله:[٢]

وإنّي في قومِي كعمْرو بنِ عامــر لياليَ يُعْصَى فــي قائِلِــهِ الأزْدُ

وقوله:[٣]

ولوْ نامَ سيْفٌ بِالحُصَيْبِ ولمْ يَلِــجْ على الهَوْلِ لمْ يُدْعَ مليْــكُ المُمَجَّــدَا

بالإضافة إلى استخدامه لكلمات متنافرة قريبة المخارج نحو قوله:[٤]

نــــدِسٌ رَدِسٌ شكِــــسٌ مكِسٌ شَــــرِسٌ مَرِسٌ وافــــي الذِمَــمِ

لَهِــــجٌ بَهِــــجٌ بِفَوَاضِــلِهِ سَمْــــحٌ طَمْــــحٌ عالِــي الهِمَمِ

يَسِــــرٌ عَسِــــرٌ فــــرِحٌ تَرِحٌ والخيْــــلُ تعَثَّــــرُ بِاللِّمَــــمِ

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١٢٠.

[٢]المصدر نفسه،ص١٣٨،و عمرو بن عامر يقصد به عمرو بن عامر بن حارثة الغطريف الأزدي،وهو ملك جاهليٌ يماني من التبابعة،كان له تحت السد بمأرب من الحدائق مالا يُحَاطُ بهِ،وقد أهملَ السد في أيامه فخرب وبدأت هجرة الأزد من تلك الديار،وقد اعتلّ بوادي عك ومات،وتفرَّق الأزد فكانَ منهم ملوك غسّان بالشام.

[٣]المصدر نفسه،ص١٥٣،سيف:ابن ذي يزن أصبح بن مالِك بن زيد الحميري،من ملوك اليمن في الجاهلية،وكان الحبَش قد تملّكوا اليمن في القرن السادس الميلادي،فنهض قيس وقصد قيصر الروم ولم ينصره،فاتّجه إلى فارس فأرسل معه كِسْرى أنوشروان من الرجال ما أعاد به ملك أبيه،ومن هذا الوقت أصبحت اليمن خاضعة لحكم الفرس حتى جاء الإسلام،و الحصيب:موضع باليمن.

[٤]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٥٨٢وص٥٨٣،و النَّدِس:الرجل الفطِنْ،و ردِس:يجيد الرّماية،و مكِس:من المماكسة أي المشاحة،و اللّهج:المثابر على الشيء،و الطمح:من طمَح أي ارتفع بصرُهُ وكل ما ارتفع فهو طامح،و التَّرِح:الحزين.

ثانياً:الأساليب.

وقد عرَّفها الجرجاني بأنَّها"الضَّرْب مِنَ النَّظم والطريقة فيه."[١]

في حين ربط عزَّ الدّين إسماعيل الأساليب بالتفكير والشعور فعرَّفها بأنّها"طريقة الكاتب الخاصة في التفكير أو الشعور."[٢]

ومن الأساليب المتّبعة لدى الشاعرين مايلي:

١_أسلوب المبالغة

وعرَّفها قدامة بن جعفر بقوله:"هي أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده،فلا يقف حتى يزيد في معنى ماذكرهُ من تلك الحال مايكون أبلغ فيما قصد".[٣]

وعند مطالعة قصائد ابن درَّاج نجد استخدامه هذا الأسلوب بكثرة كما في قوله: [٤]

وتَـركْتَ أرْضَ((لِيُونَ))وهي كَأنَّهَا لَمْ تَغْنَ بِالأمسِ القريبِ دِيَارُهَا

مرْفُوعةً لكَ في العُـــلا أعْلامُهَا لمَّا غَـدتْ بِــكَ عَـافِيًا آثارُهـا

فالشاعر في البيت السابق استخدم أسلوب المبالغة في الإشارة إلى الدَّمار الذي ألحقه الممدوح بمملكة "ليون"من خلال وصفه له بأنَّه دمار جعلها تبدو كأنها لم تُعمَّر أو تُسكَنْ مِن قبل.

كما استخدم الأسلوب نفسه في قوله:[٥]

أَتَتْ كُتُبُ الأوائِــلِ عَنْـــكَ تُثْنِي تُبَــشِّرُنَا وتُنـــذِرُ قَــوْمَ عَــادِ

بأنَّكَ سوفَ تُهْلِــكُ كُـــــلَّ عَادٍ وتُنْــصَرُ بِالملائــكةِ الشِّـــدَادِ

---

[١]أنظر أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني،دلائل الإعجاز،قرأه وعلَّق عليه محمود محمد شاكر،مطبعة القاهرة،مطبعة المدني،جدة،دار المدني،ط٣ ،١٩٩٢،ص٤٦٩.

[٢]أنظر عز الدين إسماعيل،الأدب وفنونه دراسة ونقد،دار الفكر العربي،القاهرة،ط٩، ٢٠٠٤ ،ص٢١.

[٣]أنظر قدامة بن جعفر،نقد الشعر،تحقيق وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي،دار الكتب العلمية،بيروت،ص١٤٦.

[٤]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤٠٩و٤١٠

[٥]المصدر نفسه،ص٤٨٨.

فاستخدم المبالغة من خلال وصفه لممدوحه بأنَّه ممَّن بشَّرَت به كتب الأوائل،فأنذَرَت قوم عاد بأنَّه سيُهلك كل معتَدٍ،ويُنْصر بالملائكة الشِداد.

وتبدو أيضًا المبالغة في وصفه لحالته مع المحبوبة وهو يتوعدها بالابتعاد عن كل مايذكره بها قي قوله :[١]

أَصُدُّ بِوجْهِي عنْ سنَا الشَّمْسِ طَـالِعًا لأَنْ صَارَ مَنْسُوبَ الصِّـفَاتِ إلِيْكِ

وأسْتَقْظِعُ الشَّـــهْدَ اللَّذيــذَ مذَاقُـــهُ لِمَطْـــعَمِهِ المَوجُودِ فـــي شَفَتَيْكِ

ونجد المبالغة أيضًا لدى ابن المقرّب في مثل قوله مادحًا الأمير علي بن ماجد:[٢]

لهُ هيبةٌ مِلءُ الصدورِ فلَو رَنَـــا إلى الموتِ مُزْورًّا لماتَ مِنَ الذُعرِ

ولو قالَ للأفلاكِ في سيرِها قِفِيْ لبَاتَتْ رُكودًا لاتسيرُ ولا تجْـرِي

حيثُ تبدو المبالغة في وصفه للمدوح بالهيبة الشديدة التي أفزعَتْ الموت منهُ وأخْضَعَتْ الأفلاك له في سيرها.

ومن مبالغاته أيضًا قوله:[٣]

ترَى العرَبَ العَرْبَا يحُجُّونَ بيْتَهُ كأنَّهـــم جاؤوا لِذَبْـــحِ النَّسَائِكِ

رِجالاً ورُكْبَانًا فمِنْ طالِبٍ غِنىً ومِنْ تائِبٍ عـــنْ ذلَّةٍ مُتَـــدَارِكِ

وقوله:[٤]

ولولاَ أيادِيْهِمْ وفضْلُ حُلُومِهِـــمْ لَزُلْزِلَتِ الأرْضُونَ وانقضَّـتِ الشُّهْبُ

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،،ص٣٤٨.
[٢]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٢٠٢.
[٣]المصدر نفسه،ص٣١١.

[٤]المصدر نفسه،ص٢٩.

وقوله:[1]

تطُوْفُ الملُوكُ الصِّيْدَ حول فنائِهِ كما طافَ بالرُّكْنِ اليمـانِيِّ مُـحْرِمُ

تُرَجِّي بـــــهِ دِيْنًا ودُنْيا لأنّـــــهُ إلى اللهِ في الدُّنيا وفي الدِّيْنِ سُلّـمُ

وهلْ مِثْلُهُ يومَ المعَـــــادِ وسِيْلَةٌ إلـــــى اللهِ إلاَّ رهْطُـــهُ المُتَقَدِّمُ

بهِ يرْفعُ الصَّوْتَ الملبَّى وباسْمِهِ على اللهِ في دفْعِ المُلِمَّاتِ يُقْسِـــمُ

٢_أسلوب الاستفهام.

الاستفهام أسلوب إنشائي طلبي،قد يهدُف منه المتكلّم إلى طلب الإفهام والإعلام،أو قد يستخدمه كتصوّر إيحائِي جمالي غير مباشر،فيأتي حاملاً في طيّاته مقاصد شتّى يسعى المتكلّم إلى إيصالها مِن خلاله.

ومن أمثلته في شعر ابن درّاج قوله:[2]

ألاَ هلْ إلى الدُّنيا معادٌ وهـــلْ لنا سِوى البحْرِ قبْرٌ وسِـــــوى الماءِ أكْفانُ؟

وهَبْنا رأينَا مَعْلَم الأرض هـــلْ لنَا منَ الأرْضِ مأوىً أو منَ الإنْسِ عِرفانُ؟

وهذا البيت وظّفه الشاعر في سياق وصفه لإحدى رحلاته وأسرته في البحر،واستخدم فيه أسلوب الاستفهام ليُصوّر من خلاله حالته النفسية مع أسرته،فيتساءل عمّا إذا كان سينجو هوَ وأسرته في تلك الرحلة،أم سيكونُ البحرُ قبرهُم والماءُ كفنهم،وإنْ نجوا فهل سيبلغُوا مرادهم ويجدوا المأوى لهم في الأرض والعرفان من النّاس؟وهذه الأسئلة ليست سؤال منْ يجهل الإجابة،إنّما هي أسئلة كان الغرض منها شكوى الحال،وتصوير الحالة النفسية للشاعر وأسرته.

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني٤٥١وص٤٥٣.
[2] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٨٨.

وقوله:[1]

أنُورُكِ أمْ أوقَدْتِ بِاللَّـيلِ نـــارَكِ لِبَاغِ قِــرَاكِ أم لِبَـــاغٍ جِـــــوارَكِ؟

ومَبْسَمُكِ الوضَّاحُ أم ضَوءُ بَــارِقٍ حـــــدَاهُ دُعَائِـــــي أنْ يجُــودَ دِيَارَكِ؟

وطُرَّةُ صُبْــحٍ أم جَبِيْنُكِ سَـــافِرًا أعَـــــرْتِ الصَّباحَ نُـــــورَهُ أم أعَارَكِ؟

وفي الأبيات السابقة لم يكُن هدف الشاعر من الاستفهام إيجاد إجابة على تساؤلاته،وإنّما وظّف أسلوب الاستفهام ليؤكد من خلاله صفات المحبوبة،فسؤاله عن مصدر النّور وما إذا كان منبعثًا من وجه المحبوبة،أم من النار التي أشعلتها للضيوف العابرين،أم من مبسمها الوضّاح،أم من جبينها،كل هذه الأسئلة كان الشاعر يريد أن يؤكد من خلالها جمال المحبوبة.

وفي قوله:[2]

وكيفَ أظمأُ وبحْرِي زاخـــرٌ فطِنًا إلى خيالٍ منَ الضَّحْضَاحِ قدْ نَضِبَا؟

كان هدف الشاعر من الاستفهام الاستنكار و التّعجب منَ المشكّكين في شعره،فوظّفه في سياق الرّد عليهم والتأكيد على غزارة شعره.

وفي قوله:[3]

هوَ القدَرُ المحْتُوْمُ منْ ذا يرُدُّهُ؟ وسُلْطانُ ربِّ العرْشِ منْ ذا يُغالِبُهْ؟

كان الهدف من الاستفهام تعظيم الممدوح والتّأكيد على قوته وغلبَته.

ونجد الأسلوب الاستفهامي كذلك في شعر ابن المقرّب كما في قوله:[4]

كمْ أُرْجِعُ الزَّفراتِ فـــــي أحْشَائِي وإلى مَ في دارِ الهوانِ ثوائِـــــي؟

---

[1]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٠١وص١٠٢.
[2]المصدر نفسه،ص٣٦٦.
[3]المصدر نفسه،ص٣٧٩.
[4]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١٣.

والاستفهام هنا إنكاري وظّفه الشاعر للتعبير عن حيرته وقهره من مساورة الأذى والضّيم والبقاء على هذا الحال بين قومه.

وفي قوله:[١]

أفِي القضيّةِ أنْ أبْقَى كـــــذَا تبعًا والقومُ قومِي وأرْبَابُ العُــلى نَفَرِي؟

كمْ ذا انتِظَارِي والأنْفَاسُ في صعَدٍ والظُّلْمُ في مدَدٍ والعُمر في قِصَرِ؟

والاستفهام في البيتين السابقين إنكاري تعجُّبي،يريد الشاعر من خلاله أن يوصِل إنكاره وتعجُّبه من حاله مع أبناء عمومته،وكأنّه يقول من خلاله:أأبقى تابعًا لهم رغم أني أميزٌ مثلهم وأنتمي إلى الأسرة الحاكمة؟وإلى متى انتظاري وصبْري على ظلمهم والعمر يمضي والظلم يتّسع ويطول؟

وقوله:[٢]

ذرِيْنِي لا أبَا لكِ كيـــــفَ يرْضَى بدارِ الهُوْنِ ذو الحسَبِ النُّضارِ؟

وجاء الاستفهام في البيت السابق حاملاً في طيّاته النفي وكأنَّ الشاعر من خلاله يقول:

لايمكن لذي الحسب أن يرضى الإقامة في دار الهوان.

وقوله:[٣]

وكيْفَ تُهنَّا بعيْدٍ أنتَ بهْجَتُـــــهُ لولاَكَ لم يَحْلُ في سمْعٍ ولا بصَرِ؟

وقد وظَّف الشاعر الاستفهام في البيت السابق في سياق المديح،فكان هدفه منه التّعجُّب،حيثُ يخاطب الممدوح من خلاله فيقول:وكيف نُهنِّئُك بعيدٍ أنت بهجته وسروره ولولاك لم يكن له حلاوة في السمع والأبصار؟

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٢٤١.
[٢]المصدر نفسه،ص٢١٦،والنُّضار:الذهب أو الفضة،وحسب نُضار:أي نفيس المعدن.
[٣]المصدر نفسه،ص٢٤٦.

٣_أسلوب الاقتباس.

ويُعد من الأساليب التي تفنَّن شعراء الأندلُس فيها،حيثُ عمدوا إلى اقتباس ألفاظ وعبارات من القرآن الكريم والحديث الشريف ووظفوها في قصائدهم.

ومن أمثلة الاقتباس في شعر ابن درَّاج قوله:[١]

وتَـركْتَ أرْضَ((لِيُونَ))وهي كَأنَّهَا لَمْ تَغْـنَ بِالأمسِ القريـبِ دِيَارُهَـا

اقتبَسَ الشاعر عبارة "لمْ تغنَ بالأمس" من قوله تعالى(فجعلْنَاهَا حصِيْدًا كأنْ لمْ تغْنَ بالأمْسِ).[٢]

وفي قوله:[٣]

واخْسِف الشِّرْكَ بِعَزْمٍ ينْتَضِيْ سيْفُهُ عن ((قلْ هُوَ اللهُ أحدْ))

وهو بيتٌ شعري اقتبس فيه الشاعر آية(قل هو الله أحد) [٤]من سورة الإخلاص في القرآن الكريم

ونجد الاقتباس أيضًا في شعر ابن المقرّب كما في قوله:[٥]

ولا تَهِنُوا واسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ جُنَّةً وعزْمًا فمَا للْحَرْبِ إلاَّ اعْتِرَامُهَا

حيثُ اقتبس لفظة"ولاتهِنوا"من قوله تعالى(ولا تَهِنُوا ولا تحْزنُوا وأنْتُمُ الأعْلَونَ إنْ كُنْتُمْ مؤْمِنِيْن).[٦]

وأيضًا في قوله:[٧]

العابِدُ المُحْيي قِيَـــامًا ليْلَـــهُ إذ ناشِئَـــاتُ اللّيْلِ أقْوَمُ قِيْلاَ

اقتبَس عبارة "أقْومُ قِيْلاَ"من قوله تعالى(إنَّ ناشِئَة اللّيلِ هِي أشَدُّ وطْئاً وأقْوَمُ قِيْلاَ).[٨]

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤٠٩.
[٢]سورة يونس الآية٢٤.
[٣]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٣٦٩.
[٤]سورة الإخلاص،الآية رقم (١)
[٥]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٤٦٣.
[٦]سورة آل عمران،الآية(١٣٩)
[٧]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٤٠٨.
[٨]سورة المزّمّل،الآية رقم(٦)

٤_التّضمين.

تمكَّن ابن درَّاج من خلال تأثره بشعراء المشرق عامة وبالمتنبي خاصة من أن يُضمِّن أشعاره شيئاً من موروثهم الشعري الخالد.

ويبدو ذلك في قوله:[١]

ولو شاهدتني والصَّواخِذُ تلتظِي عليَّ ورَقْرَاقُ السَّـــرابِ يمُـــورُ

أُسَلِّطُ حرَّ الهاجراتِ إذا سطَـا على حرِّ وجْهِي والأصـيْلُ هجِيْرُ

وهو معنى مأخوذ من قول المتنبي:[٢]

أعْرِضُ للرِّماحِ الصُمِّ نحْـرِي وأَنْصِبُ حـــرَّ وجهِـــي للهجِيْرِ

وأسْرِي في ظلامِ اللَّيْلِ وحْدِي كأنِّي منْـــهُ في قمَـرٍ مُنِيْـــرِ

وقوله:[٣]

ونَظَمْتُ لِلْغِيْدِ الحِسانِ قلائِـــدًا مِنْ تاجِ كِسْرى ذي البَهاءِ وقَيْصَرا

وهذا البيت الشعري مأخوذ من قول المتنبي:[٤]

لا تَتْرَبِ الأيدِي المُقيمَةُ فوقَـهُ كِسْرَى مُقَـــامُ الحَاجِبَيْنَ وقَيْصَـرَا

كما ضمَّن ابن درَّاج أحد أبياته الشعرية عبارة"مُرْخٍ سدوله"في قوله:[٥]

أشُجُّ بِها واللّيلُ مُرْخٍ سُدُولَـــهُ سباريـــتَ أرضٍ لايُرَاعُ قَطَاها

---

[١]ابن درّاج القسطي،ديوان ابن درّاج القسطلي ص٢٩٩و ص٣٠٠.
[٢]أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص٥٩٠.
[٣]ابن درّاج القسطي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٢٨.
[٤]أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص٥٩٤.
[٥]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٢،وسباريت:جمع سبروت وسبرات وسبريت،وهي الأرض القفْر التي لا نباتَ فيها.

وهي عبارة مستمدة من قول امريء القيس:[١]

ولَيْلٍ كمَوْجِ البَحْرِ أرخى سُدُولَهُ عليَّ بأنْـــــواعِ الهُمُومِ لِيبْتَلِي

ويبدو أيضًا تأثره بالبحتري في مثل قوله:[٢]

حتى انتهَيْتَ إلى المُصلَّى لابِسًا عزَّ الملِيْكِ ورِقَّـــــة الأوَّابِ

حيث استعار الشطر الأول في البيت السابق من قول البحتري:[٣]

حتى انتهيتَ إلى المصلَّى لابسًا نورَ الهُدى يبدُو عليْكَ ويظْهَرُ

وابن المقرّب كذلك نتيجة لتأثّره بالشعراء القدماء عمِد إلى تضمين شعره شيئًا من ألفاظهم أو معانيهم نحو قوله:[٤]

تسَلْطَنَ بِالحدْبَاءِ عبْدٌ بِلُؤمِـــــهِ بَصِيرُ بـــلاَ عن نيْلِ مُكْرُمَةٍ عَمِ

إذا أيقظَتْهُ لفْظَـــــةٌ عربيَّـــــةٌ إلى المجـــدِ قالَـــت أرْمَنِيَّتُهُ:نَمِ

وقد أخذ الشاعر الشطر الثاني في الأبيات السابقة من قول ابن عنين:[٥]

فألْفَيْتُهُ يهْوَى النَّـــدَى فـــــترُّدُهُ عروقٌ إلى أخـــوالِهِ الزُّرْقِ تنْتَمِـي

إذا أيقظَتْهُ نخْـــــــوَةٌ عربيَّـــةٌ إلى المـــــجدِ قالَـت أرْمَنِيَّتُهُ:نَـمِ

وقال في وصف الجمل:[٦]

قِمْطَرٍ درْفَسٍ قيْسَـــــــــرِيٍّ كأنَّما منَاكِبُهُ جُلِّلْـــــنَ وشْيَ الـدّرانِـكِ

---

[١]امرؤ القيس،ديوان امريء القيس،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف،القاهرة،ط٥ ،١٩٨٤،ص١٨.
[٢]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٨٧.
[٣]أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي،ديوان البحتري،حقّقه وشرحه وعلّق عليه حسن كامل الصيرفي،دار المعارف،القاهرة،ط٣ ،ص١٠٧٢،د.ت
[٤]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٥٠٥.
[٥]محمد بن نصر بن بن عنين،ديوان ابن عنين،تحقيق خليل مردم،المجمع العلمي العربي بدمشق_مطبعة دمشق،١٣٦٥_١٩٤٦،ص٢١٦.
[٦]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٣٠٦.

ويُذكرنا ذلك بقول ذي الرِّمّة في وصف الجمل:[١]

عبنُ القَرَا ضَخْمِ العثَانِيْنِ أنْبَتَتْ مناكِبُهُ أمثَـــالَ هُدْبِ الـــــدَّرانِكِ

وفي قوله:[٢]

لَوْ كانَ في الأُمَمِ الخَوالِي مِثْلُهُ مَلِـكٌ لَمَا بَعـَثَ الإلـــهُ رسُـولاَ

لولا النُّبُوَّة بالنَّبـــــيِّ مُـــــحمّدٍ خُتِمَتْ لَقُلْـــتُ أرى نبيًّا مُرْسَـلاَ

أخذ الشاعر معنى البيت من المتنبي حين قال:[٣]

لوْ كانَ عِلمُـــــكَ بالإلهِ مُقَسَّمًا في النَّاسِ مابَعَـــثَ الإلهُ رسُـوْلا

---

[١] غيلان بن عقبة العدوي،ديوان ذي الرمّة،تحقيق عبدالقدّوس أبو صالح،مؤسسة الإيمان للطباعة،بيروت١٤٠٢_١٩٨٢ص١٧١٧،وعبنّى:يقال:جمَلٌ عبنّى أي ضخم.

[٢] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٤١١.

[٣] أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص٩٤٢.

وممّا سبق يتّضح أنّ كلا الشاعرين قد اشتركا مع المتنبّي في الجمع بين الأسلوب البدوي بما فيه من ألفاظ جافة ووعرة،وبين الأسلوب الحضري بما فيه من ألفاظ سهله وسلسة،غير أنّ الطابع الغالب لديهما هو الطابع السهل والقريب إلى الأذهان.

وقد حرص كلا الشاعرين على اختيار ألفاظ ملائمة ومتّسقة مع أغراض القصائد.

ودلّ المعجم الشعري لدى ابن درّاج على تأثُّره بالبيئة الأندلسية بشكل واضح من خلال استخدامه ألفاظًا أندلسية،وإشارته إلى أسماء بعض البلدان الإسبانية وبعض الملوك الإسبان.

كما دلّ المعجم الشعري لدى ابن المقرّب على ثقافته التاريخية،من خلال إشارته لبعض أعلام العرب في الجاهلية والإسلام وما مرَّ في سيرهم من أحداثٍ وقصص،نحو إشارته إلى

عمرو بن عامر:[1]

وإنّي في قومِي كعمْرو بنِ عامـــر لياليَ يُعْصَى في قائِلِـــــهِ الأزْدِ

وإلى سيف ابن ذي يزن أصبح بن مالك في قوله:[2]

ولوْ نامَ سيْفٌ بِالحُصَيْبِ ولمْ يَلِـــجْ على الهَوْلِ لمْ يُدْعَ الملِيْكُ المُمَجَّدَا

أمّا الأساليب فنجد أنَّ بعض المبالغات في شعر ابن درَّاج قد وصلت إلى حد الغلو المردود كما في قوله:[3]

أَتَتْ كُتُبُ الأوائِـــلِ عَنْكَ تُثْنِي تُبَـــشِّرُنَا وتُنـــــذِرُ قَـــوْمَ عَـادِ

بأنَّكَ سوفَ تُهْلِـــكُ كُـــلَّ عَادٍ وتُنْـــصَرُ بِالملائـــكِةِ الشِّـــدَاد

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص١٣٨.

[2] المصدر نفسه،ص١٥٣،سيف:يعني ابن ذي يزن أصبح بن مالِك بن زيد الحميري،من ملوك اليمن في الجاهلية،وكان الحبَش قد تملّكوا اليمن في القرن السادس الميلادي،فنهض قيس وقصد قيصر الروم ولم ينصره،فاتّجه إلى فارس فأرسل معه كِسْرى أنوشروان من الرجال ما أعاد به ملك أبيه،ومن هذا الوقت أصبحت اليمن خاضعة لحكم الفرس حتى جاء الإسلام،و الحصيب:موضع باليمن.

[3] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤٨٨.

وهو قليل لدى ابن درّاج بالمقارنة بابن المقرّب الذي نجد لديه الغلو المردود من خلال وصفه للممدوح بصفات تتنافى مع العبودية الخالصة لله و لايليق أن يُوصف بها البشر،كما في مديحه لابن عمه الأمير محمد بن ماجد في قصيدته التي يستعطفه فيها ويستنجزه الوعد بردّ أمواله وأملاكه.[١]

تَرَى العرَبَ العَرْبَا يحُجُّونَ بيْتَـهُ كأنَّهـم جاؤوا لِذَبْـحِ النَّسَائِكِ

رِجالاً ورُكْبَانًا فمِنْ طالِبٍ غِنـىً ومِنْ تائِبٍ عـنْ ذلَّةٍ مُتَـدَارِكِ[٢]

وقوله:[٣]

ولولاَ أيادِيْهِمْ وفضْلُ حُلُومِهِـمْ لَزُلْزِلَتِ الأرْضُونَ وانقضَّـتِ الشُّهْبُ

وقوله:[٤]

تطُوْفُ الملُوكُ الصِّيْدُ حول فنائِهِ كما طافَ بالرُّكْنِ اليمـانِيِّ مُـحْرِمُ

تُرَجِّي بـهِ دِيْنًا ودُنْيا لأنّـهُ إلى اللهِ في الدُّنيا وفي الدِّيْنِ سُلّـمُ

وهلْ مِثْلُهُ يومَ المعَـادِ وسِيْلَةٌ إلـى اللهِ إلاَّ رهْطُـهُ المُتقَـدِّمُ

بهِ يَرْفعُ الصَّوْتَ الملبِّى وباسْمِهِ على اللهِ في دفْعِ المُلِمَّاتِ يُقْسِـمُ

أمّا أسلوب الاستفهام لديهما فلم يكن مجرّد أسلوب للسؤال والاستفهام عن أمرٍ ما،بل كان له حضوره الدلالي العميق،من خلال توظيفه في خدمة المعنى،فجاء حاملاً في طيّاته دلالات ومقاصد شتّى،عبّرا من خلاله عنها،حيثُ عبّر ابن درّاج من خلال الاستفهام عن حالته النفسية وحالة أسرته في الغربة،كما وظّفه في سياق المديح،وفي سياق الرّد على المشككين في شعره،وفي سياق تأكيد صفات المحبوبة.

---

[١]علي عبدالعزيز الخضيري،علي بن المقرَّب العيوني حياته وشعره،ص١٦٨،(بتصرّف).
[٢]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٣١١.
[٣]المصدر نفسه،ص٢٩.
[٤]المصدر نفسه،ص٤٥١وص٤٥٣.

أمَّا ابن المقرّب فوظّفه للتعبير عن سخطه من قومه،وإنكاره للحالة التي وصلوا إليها،كما وظّفه أيضًا في سياق مدح الممدوح.

ودلّ أسلوب الاقتباس الذي وظَّفه الشاعران في بعض قصائدهما على سعة اطلاعهما على الموروث الإسلامي،وشمول معرفتها،كما دلّ أسلوب التّضمين على نضجهما الثّقافي واطلاعهما على الموروث الشعري الخالد.

المبحث الثالث

موسيقى الشعر.

"للشعر نواحٍ عدّة للجمال،أسرعها إلى نفوسنا مافيه من جرس الألفاظ،وانسجام في توالي المقاطع وتردّد بعضها بعد قدر معين منها،وكل هذا هو مانسميه بموسيقى الشعر".[١]

وتنقسم الموسيقى في الشعر إلى نوعين:

١_موسيقى خارجية تقوم على الأوزان والقوافي.

٢_موسيقى داخلية يدخلها الشاعر في قصيدته بالاعتماد على أساليب متعددة.

أولاً:موسيقى الشعر الخارجية.

وتقوم كما أسلفنا على العروض والقوافي وسنتناول كل محور منها على حدة.

_الوزن.

"هو ميزان الشعر،به يُعرف صحيحه من مكسوره"[٢] وهو"علمٌ يُبحث فيه عن أحوال الأوزان المعتبرة".[٣]

وعند العودة إلى شعر ابن درّاج نجد أنّه كتبَ قصائده على البحور الشعرية التالية

بحر الطويل نحو قوله:[٤]

هوَ الفتْحُ أمَّا يوْمُهُ فمُعـــجَّلٌ إليْكَ وأمَّا صُنْـــعُهُ فجَـــــزِيْلُ

وبلغ عدد أبياته في ديوانه ألفًا وثمانمئة بيتٍ.

---

[١]أنظر إبراهيم أنيس،موسيقى الشعر،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،ط٢، ١٩٥٢،ص٦و٧.
[٢]أنظر الخطيب التّبريزي،الكافي في العروض والقوافي،تحقيق الحسّاني حسن عبدالله،القاهرة،مكتبة الخانجي،ط٣، ١٤١٥_١٩٩٤،ص١٧.
[٣]أنظر عبدالعزيز عتيق،علم العروض والقافية،دار النهضة العربية،بيروت، ١٤٠٧_١٩٨٧،ص٧.
[٤]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤.

بحر الكامل نحو:[١]

وبَقِيْتُ في لُجَجِ الأسى مُتضلِّلاً وعدَلْتُ عنْ سُبُلِ الهوى مُتحـيِّرا

وبلغ عدد أبياته في ديوانه ألفًا وخمسمئة وستة وستين بيتًا.

وبحر البسيط نحو:[٢]

جواهِرًا منْ بحُوْرِ العلْمِ ليْسَ لها إلاَّ اسْتماعكَها قـــذْرٌ يُســاويْها

بلغ عدد أبياته في ديوانه ثمانمئة وواحدًا وثمانين بيتًا.

و بحر المتقارب نحو:[٣]

زمَانٌ جدِيْدُ وصُنْـــعٌ جدِيْـــدُ ودُنْيـــا ترُوْقُ ونُعْمـى تزِيْدُ

عدد أبياته ثمانمئة بيتًا.

وبحر الوافر نحو:[٤]

إليْكَ سبقْتُ أقْدَارَ الحِمَـــامِ وعنْكَ هتَكْتُ أسْتارَ الظَّـلاَمِ

بلغ عدد أبياته أربعمئة وثلاثة عشر بيتًا.

وبحر الخفيف نحو:[٥]

بلَّغَتْ عبْدَكَ الخُطُوْبُ مدَاهَا يوْمَ تبْلِيْغِكَ النُّفُوْسَ مُنَـــاهَا

بلغ عدد أبياته اثنين وثمانين بيتًا.

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،١٢٩.
[٢]المصدر نفسه،ص٩.
[٣]المصدر نفسه،ص٢٥.
[٤]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٢٢٦.
[٥]المصدر نفسه،ص٦٩.

وبحر الرمل نحو:[١]

أَخْلِقِ الدَّهْرَ بقاءً واسْتجِـدَّ عُمُراً يفْضُلُ عنْ عُمْرِ الأَبَدْ

بلغ عدد أبياته سبعة وأربعين بيْتًا.

ومخلع البسيط نحو:[٢]

ودولةٌ بالسُّـــــرُوْرِ تبْـــأى وأنْجُـــمٌ بالســـعُودِ تجْرِيْ

عدد أبياته اثنان وأربعون بيتًا.

وبحر المديد نحو:[٣]

إزْرَعِ المعْرُوْفَ حزْنًا وسهْلاَ واحْصُدِ الكُفَّارَ سبْيًا وقتْلاَ

عدد أبياته ثمانية وعشرون بيتًا.

وبحر المجتَثّ نحو:[٤]

إقْبَلْ ثنَـــــاءً وشُكْـــرَا وازْدَدْ بقَـــاءً وعُمْـــــرَا

عدد أبياته ستة عشر بيتًا

ومجزوء الكامل نحو:[٥]

السيْفُ أبهَى للعُـــــلا والحزْمُ أبْلَغُ فـــــي المدَى

وبلغ عدد أبياته أحد عشر بيتًا.

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٦٨.
[٢]المصدر نفسه،ص٣٠.
[٣]المصدر نفسه،ص٥١٣.
[٤]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٤٦.
[٥] المصدر نفسه،ص٥٢٦.

ومجزوء الرمل نحو:[١]

دأْبُكَ الهجْـــرُ ودَابِـــي فِيْكَ إدْمـانُ التَّصـــابِيْ

عدد أبياته تسعة أبيات.

وبحر السريع نحو:[٢]

أعَارَهُ النَّرْجِسُ مِنْ لوْنِـــهِ تفَضُّلاً وازْدَادَ مِـــنْ طِيْبِهِ

عدد أبياته خمسة أبيات.

والرّجز نحو:[٣]

ومَحَقَ الشَّهْرُ كمَـــالَ البدْرِ فلاَحَ فيْ أُولَى الصَّبَاحِ النَّضْرِ

وعدد أبياته بيت واحد فقط.

في حين نظم ابن المقرّب قصائده على البحور الشعرية التالية:

بحْر الطويل نحو قوله:[٤]

أتانِيْ كِتابٌ منْكَ عظَّمْتُ قَـــدْرَهُ كما عظَّمَـــتْ قَدْرُ المَسِيْحِ التَّلامِذُ

وبلغ عدد أبياته في ديوانه ألفان وست مئة وثلاثة وتسعين بيتًا.

وبحر البسيط نحو قوله:[٥]

لا عِزَّ إلاَّ بِقَوْلِ الصَّارِمِ الـــذَّكَرِ وضَرْبِكَ الصِّيدَ بيْنَ الهَـــامِ والقَصَرِ

وبلغ عدد أبياته في ديوانه ألفًا ومئة واثنين وسبعين بيتًا.

---

[١] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٥٦.
[٢] المصدر نفسه،ص٤٠.
[٣] المصدر نفسه،ص٥٤٠.
[٤] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١٩٧.
[٥] المصدر نفسه، ص٢٢٩.

وبحر الكامل نحو قوله:[١]

العِزُّ ما خضَعَتْ لِهْبَتِهِ العِـــدَى وأَقَامَ بِالْفِكْرِ المُلُـــوْك وأقْعـــدا

وبلغ عدد أبياته تسعمئة وثلاثة عشر بيتًا.

وبحر الوافر نحو قوله:[٢]

طمَا بحْـــرُ الْهُمُوْمِ بـــهِ فَمَادَا وعوَّضَـــهُ مِنَ الغَمْـــضِ السُّهَادَا

وبلغ عدد أبياته ثلاثمئة وواحًاد وخمسين بيتًا.

والسَّريع نحو:[٣]

قُمْ فاسْقِنِيْهَا قبْلَ صـوْتِ الحمَامْ كرْمِيَّـــةً تجْمَـــعُ شمْلَ الْكِرَامْ

وبلغ عدد أبياته ثمانية وسبعين بيتًا.

والخفيف نحو:[٤]

وبَقَـــاءُ الدُّنَا بقَاؤُك لا طـــا لَ لِمـــنْ يشْتَهِيْ ردَاكَ بقَـــاءُ

وبلغ عدد أبياته اثنين وسبعين بيتًا.

والرمل نحو:[٥]

خلِّيانِيْ مِنْ وِطَـــاءٍ ووِسَـادِ لا أرَى النَّوْمَ علـــى شَوْكِ القَتَـــادِ

وبلغ عدد أبياته سبعةً وخمسين بيتًا.

---

[١] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١٦٧.
[٢] المصدر نفسه،ص١٨٢.
[٣] المصدر نفسه،ص٥٧١
[٤] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٢٣.
[٥] المصدر نفسه،ص١٧٦.

والمتدارك نحو:[١]

سُقْيًا لليَالِـــــي اللَّهْوِ لقـــدْ كـــانَتْ وتوَلَّـــتْ كالحُلُـــمِ

وبلغ عدد أبياته اثنين وخمسين بيتًا.

والرَّجز نحو:[٢]

لا يُعْرَفُ المعْرُوْفُ في ساحاتِهِمْ إلاَّ كمـــا يُحْكى عـــــنِ العنْقَاءِ

وبلغ عدد أبياته ثمانية عشر بيتًا.

وبحر المتقارب نحو:[٣]

ألاَ قُلْ لِمَنْ أرْهَقَتْـــــهُ الذُّنُوبُ وخَـــــافَ مِنَ الدَّهْرِ خطْبًا جسِيْمَا

وبلغ عدد أبياته عشرة أبياتٍ.

_القوافي.

عرّفها الأخفش بقوله:"اعْلَم أنَّ القافية آخر كلمة في البيت،وإنّما قيل لها :قافية لأنّها تقفو الكلام".[٤]

كما تُعرّف بأنَّها:"المقاطع الصوتية التي تكون في آخر أبيات القصيدة،أي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت".[٥]

وللقافية حرفٌ رئيسي فيها،واجب الوجود،وإليه تنسب القصيدة يسمى بحرف الرَّوي،وهو الحرف الذي يلزم تكراره في آخر كل بيت.

"وتنقسم حروف الهجاء التي تقع رويًّا إلى أقسامٍ أربعة حسب نسبة شيوعها في الشعر العربي

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٥٨١.
[٢]المصدر نفسه،ص١٤.
[٣]المصدر نفسه،ص٥٧٨.
[٤] أنظر سعيد بن مسعدة الأخفش،القوافي،تحقيق أحمد راتب النفاخ،دار الأمانة،ط١ ،١٣٩٤_١٩٧٤،ص٣.
[٥]أنظر عبدالعزيز عتيق،علم العروض والقافية،ص١٣٤.

١_حروف تأتي رويًّا بكثرة وإن اختلفت نسبة شيوعها في أشعار الشعراء وهي: الرّاء ،اللام، الميم،النون،الباء ،الدّال.

٢_حروف متوسطة الشيوع هي:التاء ،السين،القاف،الكاف،الهمزة،العين،الحاء ،الفاء ،الياء ،الجيم.

٣_حروف قليلة الشيوع وهي:الظاء ،الطاء ،الهاء.

حروف نادرة في مجيئِها رويًّا وهي:الذّال،الثاء ،الغين،الخاء ،الشين،الصاد،الزّاي،الزاء ،الواو".[١]

وحروف الرّوي في ديوان ابن درّاج القسطلي جاءت وفق التسلسل التالي:

١_قافية اللام(٢٢ قصيدة) وكذلك قافية الميم.

٢_قافية الدَّال(٢٣قصيدة).

٣_قافية الهمزة(٢١ قصيدة) وكذلك قافية الرّاء.

٤_قافية الباء(١٦ قصيدة).

٥_قافية النون(١٢ قصيدة).

٦_قافية الحاء(٨ قصائد)

٧_قافية العين(٧ قصائد).

٨_قافية الفاء(٦ قصائد).

٩_قافية الكاف(٥ قصائد) وكذلك قافية الهاء.

١٠_قافية القاف(٤ قصائد) وكذلك قافيتا الياءوالسين.

١١_قافية التاء(٣ قصائد).

١٢_قافية الجيم(قصيدتان).

---

[١]أنظر عبدالعزيز عتيق،علم العروض والقافية،ص٢٤٦.

١٣_قافية الألف المقصورة(قصيدة واحدة) وكذلك قافيتا الصّاد والضّاد.

والمتمعِّن في ديوان ابن درّاج يجد أنّ قوافيه تنوّعت مابين قوافٍ مُقيّدة حرف الرّوي فيها ساكن وقوافٍ مُطلقة حرف الرّوي فيها متحرك،فجاءت القافية المقيّدة في مثل قوله:[١]

جهِّزْ لنَا في الأرْضِ غزْوةَ مُحْتَسِبْ وانْدُبْ إليْها منْ يُساعِدُ وانتَدِبْ

وجاءت القافية المطلقَة في مثل قوله:[٢]

لكَ الخيْرُ قدْ أوفى بعهْدِكَ خَيْرَانُ وبُشْرَاكَ قدْ آواكَ عزٌّ وسُلْطَانُ

أمّا عيوب القافية التي وقع فيها ابن درَّاج فكانت كالآتي:

١_سناد التّأسيس:وهو" أن يجيء بيتٌ موسّسًا وبيتٌ غيْرُ مؤسّس" [٣]ويقول عبدالعزيز عتيق في تعريفه:"هو أنْ يوجد حرف التأسيس في بعض أبيات القصيدة ولا يوجد في البعض الآخر".[٤]

وحرف التّأسيس ألفٌ يفصل بينها وبين الرّوي حرفٌ متحرّك يُسمّى الدّخيل.

وجاء سناد التّأسيس في ديوان ابن درّاج في قوله:[٥]

بِلحْظةٍ تقْتَضِـــي منّـــي مكارِمَهَـا هديّةً لكَ حـــازَ السّبْـقُ مُهدِيْـهَا

جواهرًا من بحورِ العلْمِ ليْسَ لـــها إلاَّ اسْتِمَاعَكَها قـــدْرٌ يُساويْهَـــا

ففي الأبيات السابقة لم يأتِ حرف التأسيس وهو الألف في القافية في البيت الأول"مهديها"وجاء في قافية البيت الثاني"يساويها".

٢_سناد التوجيه:"وهو أن يكون قبل حرف الرّوي المُقيّد فتحة مع ضمّة أو كسرة"[٦].

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٣٥.
[٢]المصدر نفسه،ص٨٦.
[٣]أنظر الخطيب التبريزي،الكافي في العروض والقوافي،ص١٦٤.
[٤]أنظر عبدالعزيز عتيق،علم العروض والقافية،ص١٦٩.
[٥]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٩.
[٦]أنظر الخطيب التبريزي،الكافي في العروض والقوافي،ص١٦٤.

نحو قول ابن درّاج:[1]

واحمِلْ على خيْلِ الهوى شيَمَ الصِّبَا واعقِدْ لجيـــشِ اللَّهوِ أَلْويَة الطَّرَبْ

واهْتِفْ بأجْنادِ السُّـرُورِ وقُدْ بـــها نحوَ الرّياضِ وأنتَ أكْـرَمُ منْ ركِبْ

أمّا ابن المقرّب فقد جاءت حروف الرّوي في ديوانه من حيث كثرة الاستعمال وفق التسلسل التالي:

قافية الميم (٢٠ قصيدة).

قافية اللام(١٨ قصيدة).

قافية الباء(١٤ قصيدة).

قافية الدّال(٩ قصائد)وكذلك قافية الرّاء.

قافية النون(٨ قصائد).

قافية العين(٥ قصائد).

قافية الهمزة(٣ قصائد).

قافية الحاء(قصيدتان)وكذلك قافية الفاء والهاء.

قافية التاء(قصيدة واحدة)وكذلك قافية الثاء والذّال والسين والقاف والكاف والياء.

كما أنّ المتمعِّن في ديوانه يجد أنّ القافية لديه قد تنوّعت مابين قافية مُقيّدة وقافية مطلقة،فجاءت القافية المقيّدة في نحو قوله:[2]

قُمْ فاسْقِنِيْها قبْلَ صوْتِ الحمَامْ كرميَّةً تجْمَعُ شمْـــلَ الكِرامْ

---

[1]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٥.

[2]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٥٧١.

وجاءت القافية المطلقة نحو قوله:[١]

كمْ بِالنّهوضِ إلى العُلا تعِداني نامَا فما لكُما بذاكَ يــدانِ

أمَّا عيوب القافية لديه فتكمُن في سناد الإشباع الذي يُعرّف بأنّه "تغيير حركة الدّخيل،فالضَّمّة مع الكسرة غيرُ معيب،والفتحة مع واحدٍ منهما معيب"[٢]

والدّخيل هو الحرف الذي يفصل بين ألف التّأسيس وبين الرّوي.

وقد وقع فيه ابن المقرّب في مثل قوله:[٣]

رُويْدَكَ ياهذا المليْكُ الحـــــلاَحِلُ فمَا المجْدُ إلاَّ بعْضُ ما أنْتَ فاعِلُ

دعِ الشِّعْرَ حتَّى يشْملَ الحدُّ حِكْمةً وشأْنَكَ والدُّنْيـــــا فأنْتَ المُقَابَلُ

ثانيًا:موسيقى الشعر الداخلية.

استخدم كلٌّ من ابن درّاج وابن المقرّب أساليب متعددة من أجل خلق الموسيقى الداخلية في أشعارهما،ومن تلك الأساليب مايلي:

١_الجناس.

"وهو ما اشتُقّ بعضُهُ منْ بعْض" [٤]ويُعرّف كذلك بأنّه "تشابه اللفظتين في النطق واختلافهما في المعنى".[٥]

ومن أمثلة الجناس في شعر ابن درّاج قوله:[٦]

لوْ أنّهُم شامُوا السيوفَ لأحْرَزُوا مُلْكَ الخلاَئِقِ بالخلاَئِقِ والشّيَمِ

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٦٣٢.
[٢]أنظر الخطيب التبريزي،الكافي في العروض والقوافي،ص١٦٥.
[٣]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٣٤١، والحلاحل: السيد الشجاع أو الضخم الكثير المروءة أو الرّزين.
[٤]أنظر أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي،الموازنة بين شعر أبي تمّام والبُحتري،تحقيق أحمد صقر،دار المعارف،ط٤، ١٩٩٢،ص٢٨٢.
[٥]أنظر بسيوني عبدالفتّاح فيّود،علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع،ص٢٧٨.
[٦]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٣.

والجناس بين"الخلائق"الأولى التي تعني البشر وبين "الخلائق" الثانية التي تعني الخِصال الكريمة والنبيلة.

وقوله:[١]

سِرٌّ سرَى لِجوانِحِي فسَــرَى بِها وهوىً هويْتُ لِطوْعِهِ فهَوى بي

والجناس في البيت السابق في كلمة "سرى"التي تكرّرت مرتين،وكانت في المرة الأولى تعني الانسياب والتّخلّل في جوانح الشاعر،وفي الثاني بمعنى مضى وذهب،وكذلك في كلمة"هوى" التي تكرَّرت مرّتين وفي الأولى جاءت بمعنى الحب والهيام،والثانية جاءت بمعنى السقوط.

وقوله: [٢]

في سِتَّةٍ ضعُفُوا وضُعِّفَ عددُهـم حمْــــلاً لِمبْهُور الفـــــؤادِ مُبلّدِ

والجناس بين"ضعُفُوا"و"ضُعِّف"والأولى بمعنى ضعف القدرة والعجز،والثانية بمعنى تضاعُف العدد.

وقوله:[٣]

أهِلَّةَ سَفْــــرٍ وقفْــــرٍ قطَعْنَا إليْــــكَ الشُّهُورَ بها والسِّنِيْنَــــا

والجناس بين "سَفَرٍ"و"قفْرٍ"والأولى بمعنى الارتحال،والثانية بمعنى المكان القفر الذي لا ماء فيه ولا زرع.

ونجده أيضًا لدى ابن المقرّب في مثل قوله:[٤]

جُودُ الأكَارِمِ إخْبَارُ وجُودُهُمَــــا شيءٌ لاترَاهُ وليْسَ الخُبْــــرُ كالخَبَرِ

فالجناس بين "الخُبْر"و"الخَبَر"،غير أنَّ الأولى جاءت بمعنى ماعرَفَتَهُ بنفسك والثانية جاءت بمعنى ماسمعته من الناس.

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٨٢.
[٢]المصدر نفسه،،ص٧٤.
[٣]المصدر نفسه،٢٣٣.
[٤]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٢٤٥.

وفي قوله:[١]

هَتَفْتَ فهِجْتَ لي شوْقًا فقُلْ لِـــي حَمـــامٌ أنْتَ ويْحَـــــكَ أم حِمَام

فالجناس بين "حَمَام"و"حِمَام"إلاَّ أنَّ الأولى تعني طير الحمام والثانية تعني الموت.

وقوله:[٢]

عَدِمْتَ رُشْدَكَ كم نومٍ على ضَمَـدٍ قُلْ لي:أمِنْ حَجَرٍ صُوِّرتَ أم بَشَرِ

فالجناس بين "حجَر"و"بشَر".

وقوله:[٣]

فآهِ مِنِّـــي بِحجَّاجٍ يـــــزُولُ بِهِ ماكانَ مِنْ عُجَرٍ عندِي ومـِنْ بُجَرِ

والجناس بين"عُجَر"و"بُجَر"،والأولى بمعنى العيوب والأحزان،والثانية بمعنى ما أبدى الإنسان وما أخفى.

"ولا يكون الجناس مقبولاً عند البلاغيين إلاَّ إذا جاء مطْبُوعًا غير مُتكلِّف ولا مصنوع،كان المعنى يقتضيه والمقام يستدعيه وله أثرٌ جليلٌ في الأسلوب لا يتحقّق بدونه،فإذا خرَجَ عنْ هذا الحد كان مُجرّد تلاعُب بالألفاظ وأصْبَحَ ممْجُوجًا مكْرُوهًا".[٤]

وقد برَع ابن درّاج وابن المُقرّب في توظيفه إلى حدٍّ كبير،فغالِبًا مايأتي الجناس في أشعارهما بعيدًا عن التّكلُّف،ومُرسِخًا للمعنى المُراد.

إلاَّ أنَّهما في بعض الأحيان يقعان في التّكلُّف كما في قول ابن درّاج:[٥]

وها أنَا ذا ما إنْ أمُوْتُ منَ الأسى بِوقْرٍ على وقْرٍ وثِقْلٍ على ثِقْلِ

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٥٦٣،و الحِمَام بالكَسْر:الموت.
[٢]المصدر نفسه،ص٢٤٠.
[٣] المصدر نفسه،ص٢٤٢.
[٤]أنظر الشحّات محمد أبو ستيت،دراسات منهجية في علم البديع،دار خفاجي للطباعة والنشر،ط١ ،١٤١٤ ١٩٩٤، ص٢١٦.
[٥] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٤٥.

والجناس بين"وقر"التي تكرّرت مرتين و"ثقل"التي تكرّرت أيضًا مرّتين،وقد تسبّب هذا التكرار في ركاكة الأسلوب.

وقوله:[١]

عقِيْبَانِ بينَ الحَرْبِ والمُلْكِ دولــةٌ وعِزٌّ مُدالٌ منْهُمـــــا ومُدِيْـــلُ

فالجناس بين "مدال"و"مديل" وكلتا الكلمتين بمعنى مُداولة الشيء،فجاء بذلك الجناس مجرّد تكرار لم يزِد شيئًا إلى المعنى.

والأمر ذاته عند ابن المقرّب الذي وقع في التكلُّف في مثل قوله:[٢]

كانت جِنانًا كالجِنانِ فأصْبَحَتْ للوحْشِ مُوحِشَةً وللجِنَّـــانِ

ف"جِنانًا" الأولى و"جِنان" الثانية تحمل المعنى ذاته وكان الجناس بينهما ناقص اتّسم بالتّكلُّف والتّكرار الذي أصاب الأسلوب بالرّكاكة.

٢_التصريع.

يقول ابن رشيق القيرواني في تعريفه:"فأمّا التصريع فهو ماكانت عروض البيت فيه تابعةً لضربه، تنقص بنقصه وتزيد بزيادته". [٣]

ونجده في شعر ابن درّاج في مثل قوله:[٤]

إنَّ روضًا لمْ تَسْقِـــهِ مُنْذُ عـــامِ لمخُـــــوْفٌ عليْـهِ حَـــرُّ الأُوامِ

وقوله:[٥]

أصِخْ نحْوِي لدعْـــوةِ مُسْتقِيْـلِ يُنَـــادِي مِنْ غَيَابَاتِ الخُمُـــوْلِ

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٨.
[٢]المصدر نفسه،ص٦١٨.
[٣] أنظر أبوعلي الحسن بن رشيق القيرواني،العمدة في صناعة الشعر ونقده،ص٢٧٧.

[٤]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطبي،ص٥١٨،والأُوام:حرارة العطش.
[٥]المصدر نفسه،ص٥٣٩.

وقوله:[١]

استقْبِلِ العِزَّ مرْفوعًا بهِ علمُـــكْ واسْتوثِقِ الأمْنَ محْفوظًا بهِ ذِمَمُـكْ

ومن أمثلته في شعر ابن المقرّب قوله:[٢]

ماذا بِنا في طِلابِ العزِّ ننْتَظِـــرُ بأيِّ عُـــذْرٍ إلـــــى العلياءِ نعْتَذِرُ

وقوله:[٣]

كمْ أُرْجِـــعُ الزَّفراتِ في أحْشَائِـــي وإلى مَ فـــي دارِ الهـوانِ ثَوائِـــي

وقوله:[٤]

بِمُعادِيْـــكَ لا بِـــكَ الأسْـــواءُ ولِحُسَّـــــادِكَ الثَّرَى لا الثَّـــراءُ

وقد ساعد التّصريع في إكساب الأبيات الشعرية السابقة قيمة موسيقية،حيثُ أنّ كلا الشاعرين "شاكَلَ في أحوالٍ كثيرة بين الكلمتين الأخيرتين في البيت كأنَّه يجعل له قافيتين"قافية داخلية"و"قافية خارجية"ولم يدفعه إلى ذلك إلاَّ أنَّه يريد أنْ يرتفع بالصوت في مقطعين متقاربين،وهو لذلك يخرجه هذا الإخراج المُنظَّم المُقطَّع تقطيعًا صوتيًا دقيقًا".[٥]

٣_الطِباق.

وهو"مقابلة الشيء بمثل الذي هو على قدْره،فسمّوا المُتضادّين_إذا تقابلا_متطابقين"[٦]ويُعرّف كذلك كذلك بأنّه "الجمع بين الشيء وضدّه".[٧]

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٥٠٥.
[٢]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٢٣٤.
[٣]المصدر نفسه،ص١٣،والثواء:الإقامة.
[٤]المصدر نفسه،ص٢٣.
[٥]أنظر شوقي ضيف،الفن ومذاهبه في الشعر العربي،دار المعارف،القاهرة،ط١١، د.ت.
[٦]أنظر أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي،الموازنة بين شعر أبي تمّام والبُحتري،ص٢٨٩.
[٧]بسيوني عبدالفتّاح فيّود،علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع،ص١٣٥.

"ومامن ريب في أنَّ الجمع بين الأمور المتضادة يكسو الكلامَ جمالاً ويزيدُه بهاءً ورونَقًا،

فالضِّد _كما قالوا_يُظْهِر حُسنَهُ الضِّد،ولكن وظيفة الطباق لاتقِف عند هذا الزّخرف وتلك الزينة الشكلية،بل تتعدّاها إلى غايات أسمى،فلا بدّ من أن يكون هناك معنى لطيف ومغزى دقيق وراء جمع الضدّين في إطار واحد".[١]

اوهو مانجده لدى ابن درّاج في مثل قوله:[٢]

وفـــــــي كُلِّ يومٍ مُنْتَوى مُتَباعِدٌ يرْمِي حُشَـــاشَة شمْلِنَا المُتَقَــارِبِ

والطباق بين"متباعد"و"متقارِب" ويعكس هذا التضاد تجربة الشاعر مع الغربة،وقُربِه حينًا من أسرته وبعده حينًا آخر عنهم،فاستخدم لفظتي"متباعد"و"متقارب"ليعبّر عن حالة التّشتّت التي يعيشها مع أسرته.

وقوله:[٣]

كمَا اقْتَسَمتْ أخدانُهُنَّ يــدُ النَّوَى فهُم للرَّدَى والبـــرِّ والبحْـــرِ أخْدَانُ

والتّضاد بين "البر"و"البحر"واستخدم الشاعر التّضاد هنا ليعبّر عن افتقاد أسرته للاستقرار حتى صاحبوا البرّ والبحر معًا.

وكذلك لدى ابن المقرّب في قوله:[٤]

ثَكِلَتْهُمُ الأعْــداءُ إنَّ حيـاتُهُـــــم غم الصّديـــــقِ وفرْحَــةُ الأعداءِ

والطباق بن "غم"و"فرح"وبين"الصديق"و"الأعداء"وقد وظّف الشاعر التضاد في البيت السابق للتعبير عن التناقض الذي يعيشه أبناء عمومته،حيث قضوا حياتهم وهم يسعون لإشقاء الصديق وإسعاد العدو،ومن المفترض أن يحدث العكس.

---

[١]بسيوني عبدالفتّاح فيّود،علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع،ص١٣٦.
[٢]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١١٠.
[٣]المصدر نفسه،ص٨٨.
[٤]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١٤.

وقوله:[1]

كمْ ذا انْتِظَارِي والأنْفَاسُ في صعِدٍ والظُّلْمُ في مدَدٍ والعُمْرُ في قِصَرِ

والطباق بين "مدَدٍ"و"قِصَرٍ"وقد وظّف الشاعر الطباق للتعبير عن تذمّره من حاله،حيثُ امتد الظُّلم وقصُر العُمر.

ويعمَد ابن درّاج وابن المقرّب أحيانًا إلى الجمع بين الطباق وغيره من ألوان البديع،الأمر الذي يُشكِّل تقوية للمعنى وتحلية له.

وفي ذلك يقول ابن المُعتز:"ولايكْفِي للمطابقة البليغة أن يُؤتى بمُجرّد لفظين مُتضادّين لأنَّ المُطابقة تكونُ حينئذٍ سهلة لا طائِلَ منْ ورائِها،وإنَّما جمالُ المُطابقة وبلاغتُها بلْ وروعتُه،أنْ يرْشَحَ فيها نوْعٌ منْ أنواعِ البديْع يُشارِكُها في البهْجة والرّونَق".[2]

ونجد ذلك لدى ابن درّاج في مثل قوله:[3]

ولا قَنَطٌ واليُسْرُ للعُسْرِ غالِـــبٌ وفي العرْشِ ربٌّ بالخلائِقِ رحْمــنُ

والطباق بين "اليسر"و"العسر" وقد عبّر الطباق في البيت السابق عن تفاؤل الشاعر وإيمانه بتبدُّل أحواله منَ العسرِ إلى اليُسر،وازدادت المطابقة جمالاً من خلال احتوائها على لون بلاغي آخر هو الجناس النّاقص بين "يسر"و"عُسر" فجاءت العبارات فخمة ذات معنى قوي.

وفي قوله:[4]

فأبْشِرْ فنجْمُ الدّيْنِ بالسّعْدِ طالِعٌ وأيْقِنْ فنجْمُ الشِّرْكِ بالخِزْيِ آفِلُ

كان الطِباق بين"طالع"و"آفِل"،وإلى جانبه أضافَ الشاعر في البيت لونًا بلاغيًاآخر،حيثُ شبّه الدِّين بالسماء فحذف المشبّه به"السماء" وجاء بشيء مِنْ لوازمه"النجوم" في الطلوع أو الأفول وذلك على سبيل الاستعارة المكنية.

---

[1]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٢٤١.
[2]أنظر أبو العبّاس عبدالله بن المُعتز،البديع،شرح وتحقيق عرفان مطرجي ،مؤسسة الكتب الثقافية،بيروت، ١٤٣٣_٢٠١٢،ص٥٩.
[3]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٩٠.
[4]المصدر نفسه،ص٢٠.

أمّا ابن المُقرّب ففي قوله:[١]

لكِنَّنِي ناديْتُ موْتَـــى لم تـــزَل أشْباحُهُـــــم تمشِي معَ الأحْياءِ

كان الطباق بين "موتى"و"أحياء"وزاد عليه لونًا بلاغيًا آخر حين شبّه أبناء عمومته بالأموات، فحذف المشبّه"أبناء عمومته"وجاء بالمشبّه به"موتى" على سبيل الاستعارة التصريحية.

وفي قوله:[٢]

فإنَّ بِأرْضِنَا بقَـــــرًا شِباعًـــا ولكِنْ بينَ آســـــادٍ جِيَـــاعِ

كان الطباق بين"شباع"و"جياع"وأضاف له الشاعر لونًا بلاغيًا آخر،حين شبَه أبناء عمومته بالبقر،والطامعين بالدولة العيونية بالأسود الجائِعة،فحذف المشبّه"أبناء عمومته"و"الطامعين"وجاء بالمشبه به"بقر"و"آساد"على سبيل الاستعارة التصريحية.

٤_المقابلة.

"وتكون المقابلة بأن يؤتى بمعنيين أو أكثر،ثم يؤتى بما يقابلهما(أي ضدّهما في المعنى) على الترتيب".[٣]

وتختلف عن الطّباق في وجهين:

"أحدهما أنَّ المقابلة لاتكون إلاّ بالجمع بين ضِدّينِ فذّين،والمقابلة تكون غالبًا بالجمع بينَ أربعة أضداد:ضِدّان في صدْرَ الكلام،وضِدّان في عجزه،تبلُغ إلى الجمع بينَ عشرَة أضداد،خمسة في الصدر وخمسة في العجز،والثّاني أنَّ المطابقة لاتكون إلاَّ بالأضداد،والمقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد".[٤]

"والمقابلة البليغة ماجاءت صحيحة مطبوعة،وصحة المقابلة تتحقّق من ترتيب الكلام على ماينبغي،فإذا أتى المتكلّم في صدر كلامه بأشياء قابلها في عجزه بما يلائمها مِنْ أضدادها أو أغيارها من المخالِف والموافِق على الترتيب".[٥]

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١٦.
[٢]المصدر نفسه،ص٢٦٨.
[٣]أنظر أبو العبّاس عبدالله بن المعتز،البديع،ص٦٠.
[٤]أنظر ابن أبي الإصبع المصري'تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن،ص١٧٩.
[٥]أنظر قدامة بن جعفر،نقد الشعر،ص١٤١.

ومن أمثلتها في شعر ابن درّاج قوله:[١]

فهِلْتُ اليسارَ بِيُســـــرَى جوادٍ وحُطْتُ الذّمارَ بيُمنَى بخيلِ

فجاءَ (بيُسرى وجواد) في صدر الكلام،ثمّ قابلهما في عجز الكلام (بيُمنى وبخيل).

وقوله:[٢]

فإنْ عفَوْتَ ففي الرَّحمنِ مُؤتَلَفُ وإنْ سطَوْتَ ففي الرَّحمنِ مُنْتَقَمُ

جاء (بعفوت و مؤتلف) في صدر الكلام،ثم قابلهما في عجز الكلام (بسطوت ومُنتَقَم).

وقوله:[٣]

ولئِنْ جنيت عليْكِ ترْحة راحِلٍ فأنَا الزّعيمُ لها بِفرحةِ آيِبِ

جاء (بترحة وراحل)في صدر الكلام،ثم جاء(بفرحة وآيب)في عجز الكلام.

وتأتي المقابلة في شعر ابن المقرّب في مثل قوله:[٤]

عُمْيٌ عنِ الإحسانِ إلاَّ أنَّهُــم أهـــــدى إلى لؤْمٍ مـــــــــنَ الزَّرْقَاءِ

ففي البيت السابق جاء (بعُميٌ والإحسانِ) في صدر الكلام ثم جاء بما يُقابلهما على الترتيب في عجز الكلام(أهدى ولؤم).

وفي قوله:[٥]

فمَا كُلُّ منْ تنْأَى بهِ الدَّارُ غائِــب ولا كُل من تدنـــو به الدَّارُ حاضِرُ

جاء في صدر الكلام (بتنْأى وغائِب)ثم جاء في عجزه بمايقابلهما على الترتيب(تدنو وحاضر).

---

[١]ابن درّاح القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص٧٨.
[٢]المصدر نفسه،ص٤٠٥.
[٣]المصدر نفسه،ص١١٢.
[٤]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١٤،و الزرقاء:المقصود بها زرقاء اليمامة التي كانت العرب تضرب بالمثل بها في قوة الإبصار.
[٥]المصدر نفسه،ص٢١٣.

أمّا المقابلات القبيحة التي وقع فيها الشاعران فنحو قول ابن درّاج:[١]

دعينـــي أَرِد مـــاء المفَـــاوِز آجِناً إلى حيــث ماء المكرمـــاتِ نميرُ

وهي من المقابلات القبيحة لعدم التلاؤم في المعاني،فليس قوله(ماء المفاوز)موافِقًا لقوله(ماء المُكرمات) ولا مُضادًا له،وذلك عيبٌ أفسد المقابلة.

وقوله:[٢]

واسْتَنْشِقُ النَّكــباءَ وهــي بـــوَارِحٌ وأسْتَــوطِيءُ الرَّمْضَاءَ وهــي تَفُورُ

أيضًا مقابلة قبيحة فقوله(استنشق)ليس موافقًا ولا مُضادًا لقوله(أستوطيء)و(النكباء)التي هي بمعنى ريح انحرفَت ووقعت بين ريحين كالصَّبا والشّمال ليست مُضادّة ولا موافقة (للرّمضاء)التي هي بمعنى شدّة الحر أو الأرض التي حميت منْ حرارة الشمس،و(بوارح) التي هي بمعنى ريح شمالية حارّة في الصيف أيضًا ليست مُضادة ولا مماثلة (لتفور)التي تأتي بمعنى الغليان.

وقول ابن المقرّب:[٣]

أموالُهُم لِذَوِي العَدَاوَةِ نُهْبَةٌ وعنِ المكَارِمِ في يدِ الْجَوزاء

فالعدَاوة و نُهْبَة ليست مُضادة ولا موافقة للمكارم والجوزاء الذي يُعد أحد نجوم السماء.

وقوله:[٤]

ظنَنْتُهُم ظِلاًّ ظليْلاً وجنّةً فكانُوا سَمُومًا يومَ صيْفٍ وحاصِبَا

"فظِل" التي هي بمعنى مكان حُجِبت عنه أشعّة الشمس ليست مضادة ولا موافقة لسموم التي هي بمعنى الريح الحارة،و"جنّة" ليست مضادّة ولا موافقة لحاصب التي هي بمعنى الريح الشديدة التي تحمل التراب.

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٢٩٨.
[٢]المصدر نفسه،ص٢٩٩.
[٣]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١٤،والجوزاء:برج في السماء.
[٤]المصدر نفسه،ص٣٦.

وممّا سبق يتبيّن لنا بأنّ كلا الشاعرين لم يخرجا عن الأوزان المعروفة في الشعر العربي،حيث جاء تسلسل البحور الشعرية في ديوان ابن درّاج من حيث كثرة الاستعمال على هذا النحو:

"بحرالطويل،الكامل،البسيط،المتقارب،الوافر ،الخفيف،الرمل،ومخلَّع البسيط، ثمَّ المديد،المجتث، مجزوء الكامل،ومجزوء الرمل،السريع،الرجز".

في حين جاء تسلسل البحور الشعرية في ديوان ابن المقرَّب من حيث كثرة الاستعمال على هذا النحو:

"بحر الطويل،البسيط،الكامل،الوافر ،السريع،الخفيف،الرمل،المتدارك،الرجز ،المتقارب"

وقد خلا ديوان ابن درّاج من بحر الهزج،والمنسرح،والمضارع،والمقتضب،والمتدارك أو المحْدَث وخلا ديوان ابن المقرَّب من بحر المديد،والهزج،والمنسرح،والمضارع،والمقتضب،والمجتث.

ومن الملاحظ أنّ بحر الطويل والكامل والبسيط جاؤوا في المراتب الثلاثة الأولى لدى الشاعرين من حيث كثرة الاستعمال،وهي كذلك أكثر البحور شيوعًا في الشعر العربي.

ومن الطبيعي أن يلجأ كلا الشاعرين إلى هذه البحور بكثرة نظرًا لتعدد الموضوعات غالبًا في القصيدة الواحدة لديهما،وهذه البحور تشترك في كونها بحورًا متعدّدة التفعيلات وتحتاج إلى نفس طويل،وهي بذلك تتيح مجالاً واسعًا للتفصيل.

كما أنّهما استثمرا أغلب بحور الشعر العربي من خلال النّظم في أكثرها،مما أدّى إلى تنوّع الإيقاع في دواوينهم وإضفاء التلوّن الصوتي،كما ساعدهم على التعبير عن تجاربهما الشعرية المتّسمة بتلوّن الانفعالات مابين فخرٍ وشوقٍ وحنين وشكوى وألم وحسرة.

أمّا القوافي فتسلسل حروف الرّوي في قصائد الشاعرين يدل على سيرهِما وفق ماهو شائع في الشعر العربي من حيث اللجوء إلى حروف الرّوي الأكثر استعمالاً، كما يدل على أنَّ استخدامها للأصوات المجهورة في القوافي كان أكثر من استخدامها للأصوات المهموسة،وهو أمرٌ يتلائم مع الحالة النفسيّة التي مرّ بها كلا الشاعرين خاصة خلال الغربة التي لطالما اعتمدا فيها على أسلوب الشكوى والاستعطاف أمام ممدوحيهم،ومن هنا جاء استعمالهما بكثرة للأصوات المجهورة لما تتمتّع به من رنين عالٍ وقوي يمكن أن يحقّق التأثير المطلوب في المستمع.

كما أنّ استخدام ابن درَّاج للقافية المقيّدة كان قليلاً بالمقارنة بالقافية المطلقة،حيث جاءت القافية المقيدة في تسع قصائد من أصل مئة وثلاثة وسبعين قصيدة في ديوانه،وكذلك الأمر بالنسبة لابن المقرّب الذي اقتصر استخدامه للقافية المقيدة على قصيدتين من أصل ثمانية وتسعين قصيدة في ديوانه،فكان بذلك للقافية المطلقة النصيب الأكبر،وهذا هو الشائع لدى معظم شعراء العرب.

ووقع ابن درَّاج في عيبين من عيوب القافية هما "سناد التّأسيس،وسناد التوجيه"في حين وقع ابن المقرّب في سناد الإشباع.

أمّا المحسنات البديعية فقد أضفت جرسًا موسيقيًا عذْبًا للأبيات وخاصةً التصريع،وعلى الرّغم من وقوع الشاعران أحيانًا في الجناس المتكلّف والمقابلات القبيحة،إلاَّ أنّ ذلك لاينفي براعتهما في توظيف المحسنات البديعة،حيث حمل الجناس والطباق والمقابلة في طيّاتهم دلالات معينة تلاءمت مع المواقف الشعرية التي أراد الشاعران تصويرها من خلالها،وعملا على تقوية المعنى وتزيينه في الطباق من خلال الجمع بينه وبين ألوان البديع الأخرى كالجناس والاستعارة.

المبحث الرابع

الصورة الشعرية.

تُعد الصورة الشعرية الوسيلة التي يُعبّر بها الشاعر عن تجاربه وأفكاره وعواطفه إلى المتلقّين.

وعند العودة إلى أغلب الصور التي وظّفها الشاعران في أشعارهما نجد أنّهما يشتركان في المحاكاة والتقليد للأقدمين من خلال تشبيهاتهم التقليدية التراثية .

فعلى سبيل المثال نجد الشعراء القدماء كثيرًا مايتغزلون بالمرأة من خلال تشبيه شعرها بالليل للدّلالة على شدّة سواده،وتشبيه جسدها بغصن البان للدّلالة على استقامة قوامها،وجهها بالبدر أو الشمس أو الصبح للدلالة على حسنها وجمالها،كما في قول المتنبّي: [1]

كشَفَتْ ثلاثَ ذوائِبٍ منْ شعْرِهَا في ليْلَـــةٍ فأَرَتْ ليالِيَ أرْبَعَا

واسْتَقْبَلَتْ قمَرَ السّمــاءِ بوجْهِهَا فأرَتْنِيَ القمريْنِ في وقْتٍ معَا

فالمحبوبة كما يُصوّرها المتنبي قد كشفت عن ذوائبها الثلاث فأصبحث الليلة بذلك أربع ليالٍ،لأنَّ كُلَّ ذؤابة منها بدت وكأنَّها ليلة لشدّة سوادها،أمَّا وجهها فقد بدى للشاعر كقمرٍ آخر إلى جانب قمر السماء.

ونجد ابن درّاج يقول في وصف المحبوبة:[2]

أسْبَلَ اللَّيلُ علــى مَتْ نَيْهِ إسْبَــالَ النِّقَـــابِ

فتجَلَّى كتَجَلِّـــي الـ بَدرِ مِنْ تحتِ السَّحَـــابِ

فشعر المحبوبة لشدّة سواده يبدو كالليل الذي أسبلته على متنيها كما يُسبل النقاب على الوجه،أمّا وجهها فهو كالبدر المتجلّي منْ تحت السحاب.

---

[1] أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص٧٢٨.
[2] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٥٧.

والأمر ذاته لدى ابن المقرّب في قوله:[١]

مِنْ كُلِّ خَرْعَبَةٍ تُرِيْكَ إذا بَـــدَتْ بَدْرَ الدُّجُنَّةِ فَــوْقَ غُصْنِ البَانِ

فجسد المحبوبة كغصن البان أمّا وجهها فهو كالبدر الذي استقرّ فوق غصن البان.

وفي الصور السابقة اشتركَ ابن درّاج مع المتنبّي في التركيز على الجمال السماوي المتمثّل في "البدر"وتشبيه المحبوبة به،أمَّا ابن المقرّب فقد عمِدَ إلى دمج الجمال السماوي مع الجمال الأرضي المتمثِّل في "غصن البان"وهي قيمة جمالية نجدها لدى الشعراء الجاهليين عند وصفهم جمال المرأة،بهدف إعطاء صورة مبالغ فيها عن جمالها.

أمّا نظرات الحبيبة فهي سلاحٌ قاتل كما في قول المتنبّي:[٢]

وأنَا الذي اجْتلَبَ المنيَّةَ طرْفُهُ فمَنِ المُطالَبُ والقَتِيْـــلُ القَاتِـــلُ

الرّامياتُ لنَا وهُـــنَّ نوافــرٌ والخاتِلاتُ لنَـــا وهُنَّ غوافِـــلُ

فالشاعر في البيتين السابقين يقول:"إنَّ طرْفي هو الذي جلَبَ المنيّة إليَّ بالنّظر،فمن أُطالِبُ بدمي وأنَا الذي قتَلْتُ نفْسِي؟".[٣]

ثمّ شبّه نظراتهِنّ بالسهام فيقول"ترمِيْننا بسهام لحاظهِنَّ وهُنَّ عنَّا نافرات غير مقبلاتٍ علينا،وكذلك يختلننا_يصدننا_بحُسنِهِنَّ غيرَ عالماتٍ بذلك".[٤]

والأمر ذاته لدى ابن درّاج الذي شبّه نظرات المحبوبة بالسهام كما في قوله.

ولا توقَّيْتُ سَهْمًا مِنْ لَوَاحِـــظِهِ يُذيْبُ سيفي وفي قلْبِـــي مَوَاقِعُــهُ[٥]

أمّا عند ابن المقرّب فتشبه السيوف القاطعة.

---

[١]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٦١٨،وخرعبة:الخرعب الشابة الحسنة الخلق أو البيضاء اللينة الجسيمة الرقيقة العظم، والْبَان:شجر يُوصف بالاستقامة.

[٢]أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص٩٤٣.
[٣]أنظر المرجع نفسه،ص١١٥٣.
[٤]أنظر المرجع نفسه،ص١١٥٤.
[٥]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي،ص١٣٩.

أترْضَيْنَ قتْلِي لا بِسَلَّةِ صــارِمٍ مِنَ البَيْضِ إلاَّ سلَّـــةً مِنْ لِحاظِكِ[1]

وقد اشترك الشعراء الثلاثة في تصوير نظرات المحبوبة على أنَّها سلاحٌ قاتل،غير أنَّ ابن درّاج والمتنبّي شبّهاها بالسهام،في حين شبّهها ابن المقرّب بالسيوف،وأرى أنّ الصور الثلاث قد حملت معاني جميلة في الغزل،إلاّ أنّ المتنبّي وابن درّاج كاناموفّقين أكثر في اختيار السهام،نظرًا لكون الغرض من الصورة الدلالة على سرعة الفتك،والسهام عند الانطلاق أسرع من السيوف،فكان ذلك أبلغ في الدلالة على المعنى المُراد.

وإذا أرادَ ابن درَّاج تصوير الشجاعة والإقدام استحضر صورة الأسد كما في قوله:[2]

ياقائِدَ الخيْـــل العِتـــــاقِ كأنَّمَــا عَزَمــاتُهُ أرْمــاحُهَـــا وشِفَارُهَـــا

لَيثٌ يُخَاطِرُ فـــــي المَكَرِّ بِنَفْسِـــهِ هِمَمٌ عظيمٌ فـــي العُلا أخْطَارُهَـــا

وكذلك ابن المقرّب الذي يقول في إحدى مدائحه:[3]

هُو السَّيِّدُ الضِّــرْغَامُ والأســـدُ الذي بنَى مجدَهُ فوقَ النُّجُومِ الثَّواقِـــــبِ

ونجد ذلك أيضًا لدى المتنبي قي قوله:[4]

أُسُدٌ فرائِسُهَا الأُسُـــــودُ يقُوْدُهـــا أسَـــدٌ تصِيْرُ لهُ الأسُـــودُ ثَعَالِبَا

وفي الصور الشعرية السابقة شبّه ابن درّاج الممدوح باللّيث الذي يخاطر بنفسه لبلوغ العُلا،وشبّهه ابن المقرّب بالأسد الذي بنى مجده فوق النجوم،بينما شبّهه المتنبّي بالأسد الذي يقود أصحابه الأسود،وقد تمكّن بما يتمتّع به من شجاعة من أنْ يُصيّر أعداءه أمامهُ إلى ثعالب.

ونجد أنّ الصورة لدى المتنبّي كانت أكثر اتّساعًا،من خلال توظيفهِ الفروق بين الأسد والثّعلب فالثّعلب حيوان حذر وسريع الهروب،كما أنَّه يتغذّى على الجيف،وهو مالا نجده في الأسد،وقد خدمت هذه المقارنة الهدف من الصورة الشعرية وهو الدّلالة على شجاعة وإقدام الممدوح وتفوقه على خصومه.

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان اب المقرّب العيوني،ص٣٠٧.
[2] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درَّاج القسطلي٤٠٩

[3] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٥١.
[4] أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص١٧٥.

ومنَ الأمور المتكررة لدى ابن درّاج وابن المقرّب بشكلٍ لافت مدح الممدوح بالكرم كما في قول ابن درّاج في مديح المنصور بن أبي عامر:[١]

ورُبَّ مكْرُمَـــــةٍ عيَّ الكِـرامُ بهـــا أضْحَتْ ذلُولاً علـــــى أهوائِكُم تقِفُ

وقول ابن المقرّب مادحًا الأمير أبا علي مسعود بن أحمد:[٢]

أنِخْ فهذي قِبـــابُ العِزِّ والكرَمِ وقِلْ فكُلُّ العُلا فـــي هذه الخِيَمِ

وتبدو الصورة التي عبّر فيها ابن درّاج عن كرم الممدوح أكثر إبداعًا من صورة ابن المقرّب،حيثُ صوّر ابن المقرّب نفسه وقد حطّ رحاله في خيم العز والعلا والكرم،في حين كانَ الخيال لدى ابن درّاج أكثر اتّساعًا وإبداعًا،فصوّر المكارم على أنّها هي التي نزلت في رحاب الممدوح الذي استطاعَ أن يُذللها.

كما نجد لديهما تشبيه الممدوح بالسحاب،وهو تشبيهٌ شائع لدى العرب،ونجده لدى ابن درّاج في قوله:[٣]

مِنَ الحِمْيَرِيّينَ الذيـــنَ أكُفُّهُـــــمْ سحَـــائِبُ تهْمِـــي بالنَّـدى وبُحُورُ

كما نجده لدى ابن المقرّب في قوله:[٤]

ففِي عُقْرِ دارِي مِنْ مُلُوكِ بنِي أَبي هُمامٌ إلى الخيْراتِ تجْرِي مآرِبُـــهْ

إذا لم أنط مُسْتعْصِمًا برجائِـــــهِ رجائِي وترْوي تُرْبَ أرضِي سحائِبُهْ

فأيُّ مليْـــكٍ أرْتَضِي وتأُمُّـــــهُ رِكابِي وأمْشِـــــي نحْوَهُ وأُخَاطِبُـــهْ

ويقول المتنبّي في إحدى قصائده:[٥]

وما ثنَاكَ كلامُ النَّاسِ عـــنْ كرَمٍ ومنْ يسُدُّ طرِيْقَ العارِضِ الهَطِلِ؟

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٥٨.
[٢]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٥٤٥.
[٣]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٠١.
[٤]علي بن المقرّب العيوني،دوان ابن المقرّب العيوني،ص٥٥.
[٥]أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص٩١٩،والعارض:السّحاب.

والشعراء الثلاثة اشتركوا في تشبيه الممدوح في كرمه بالسّحاب،وذلك بهدف الدلالة على سعة العطاء،إلاَّ أنّ ابن درّاج كان موفّقًا أكثر في تصويره،فالمتنبّي صوّر كرم ممدوحه على أنّه سحاب هاطِل لايقدر أحد على سد طريقه،وابن المقرّب صوّر كرم ممدوحه على أنّه سحابٌ روتْ أراضيه من بعد الجفاف،أمّا ابن درّاج فشبّه ممدوحه في كرمه بالسُّحب المنهمرة بالنّدى والبحور،فكان في ذلك دلالة أكبر على الخير الوفير وعلى سعة العطاء.

كما ويُصوّر ابن درّاج شعره بجملة من التشبيهات فيُشبّهه بالجواهر،والأحجار الكريمة والبحر الزّاخر،والدّر كما في قوله:[١]

حاشَى لِقدْرِكَ أنْ أزْجِيَ الثناءَ لـــــهُ دعْوى وأهْدِي إليـــــــهِ الدُّرَّ مُغْتَصَبَـا

ويشترك ابن المقرّب مع ابن درّاج في كثرة تشبيهه شعره بالدُّر أو الجواهر،كما في قوله:[٢]

إليكَ أبَا المنصورِ عِقْـــدَ جـــواهِرٍ قلمَّسُها صـــــدْري وغوَّاصُها فِكْرِي

نفِسْـــتُ بها عمَّن سِواكَ وسُقْتُـــها إليكَ لِعلمـــــــي أنَّها أنْفَسُ الذُّخُـرِ

والأمر ذاته لدى المتنبّي الذي شبّه شعره بالدّر الذي لايتكسّر ولا يتشقّق في قوله:[٣]

وهذا الدُّرُّ مأمُـــــــونُ التَّشَظِّـــيْ وأنْتَ السّيْفُ مأمُـــونُ الفُلُـــــولِ

وكان ابن المقرّب موفّقًا أكثر في تصويره،حيثُ أورد سلسلة منَ الاستعارات التصريحية التي اتّسمت بالتلاؤم والتّناسُب والانسجام،عندما شبّه شعره بعقدٍ مرصّعٍ بالجواهر،وشبّه صدره بالبحر الذي ضمّ الجواهر،ثمّ شبّه فكره بالغوّاص الذي استخرج جواهر الشعر من صدر الشاعر.

كما أنَّ كلا الشاعرين قد صوّر الشيب في شعره فنجد ابن درّاج يقول:[٤]

ويشْفَعُ لي منها إلى الوصْلِ مِفْـرَقٌ يُهِـلُّ إليْهِ حلْيُـــــها وحُلاهـــــا

فيا للشّبابِ الغضّ أنْهـــــجَ بُـــرْدُهُ ويالَرِياضِ اللّهـــــوِ جفَّ سفَاهَـا

---

[١]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٦٥.
[٢]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٢٠٤وص٢٠٥والقلمس:البحر.
[٣] أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص٩١٩.
[٤]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص١٠و١١.

وماهيَ إلاَّ الشّمسُ حلَّتْ بِمِفْرقِـــي فأَعْشـــــى عيونَ الغانِيَاتِ سنَاهَا

سلامٌ على شرخ الشّبـــابِ مُـــرَدَّدُ وآهاً لوصْـــلِ الغانِيَـــاتِ وآهـــا

بينما يقول فيه ابن المقرّب:[1]

وقَائِلَـــةٍ شِبْـــهَ الْمَـــلاَمِ ورَاعَـــهَا بيَاضُ مَشِيْـــبٍ جلَّلَتـــهُ الْمَسَـــائِحُ

أبَعْـــدَ اشْتِعَالِ الرَّأْسِ شَيْباً تَعَرُّضٌ لِوَصْلِ الْحِسَانِ الْبِيضِ أم أنتَ مازِحُ

فقُلْتُ:أَلَيْسَ الصُّبْـــحُ أحْسَنَ منْظَراً وأَبْهَـــى مِنَ الظَلْـمَاءِ والليـلُ جَانِـحُ

وقد اشترك الشاعران في تصويرهما الشيب على أنّه سببٌ في صدّ المحبوبة،كما اشتركا في الهدف من التشبيه وهو محاولة تزيين الشيب في نظر المحبوبة،من خلال تشبيهه بالشمس لدى ابن درّاج،وتشبيهه بالصبح لدى ابن المقرّب.

غير أنَّ ابن المقرّب كان موفقًا أكثر من ابن درّاج في تشبيهه من وجهة نظري،لكون الصورة لديه أكثر شمولاً واتّساعًا،فالصبح يحوي الشّمس بما فيها من نورٍ وضياء،وهو نقطة تحوّل تدل على الإشراق بعد الظُّلمة،والنشاط بعد ساعات النوم والكسل،وانشراح النّفس بعد موتها،وبداية لحياة جديدة،وهو الموازي للظُّلمة وماهي الظلمة أمامه وهو الذي يجليها بضيائه وبهائه.

وتجدر الإشارة هنا إلى اختلاف الشاعرين في تصويرهما للشيب عن المتنبّي الذي صوّره بقوله:[2]

ضيفٌ ألمَّ برأسِي غيْرَ مُحْتَشِـــمِ والسّيْفُ أحْسَنُ فِعْلاً مِنْهُ باللّمَـــــمِ

إبْعَد بعِدْتَ بياضًا لا بيَاضَ لـــهُ لأنْتَ أسوَدُ في عيْنِي منَ الظُّلَـــمِ

---

[1]علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص١٢٢،و جلَّلته:سوَّدته،و المسائح:جمع المسيحة،وهي الذُّؤابة،أي شعر مقدِّمة الرأس،ويقصد أنَّ شيبه خالطه سواد ذؤابته،و القوادح:جمع قادحة وهي سوسة تنخر الأسنان.

[2]أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص١٢٣٨،

فإذا كان ابن درّاج وابن المقرّب قد جمّلا صورة الشيب من خلال تشبيهه بالشمس أو الصباح فإنّ المتنبي كان على النّقيض منهما تمامًا،حيثُ صوّر الشيب على أنَّه ضيفٌ غير مرحبٍ به ألمّ برأسه،ولشدّة انزعاجه منه كان يُفضِّل لو أنّ السيف هو الذي نزل على رأسه بدلاً منه.

وقد سيطرت نظرته السوداوية على الصورة،حتى باتَ يرى الشيب بسببها أشدّ سوادًا من الظلام.

وتُعد صور الوقائع الحربية من أهم الصور التي نجدها في ديوان ابن درّاج وابن المقرّب نظرًا لما تتمتّع به من قيمة تاريخية،وهما في ذلك يشتركان مع المتنبي الذي تمكّن من أن يجعل مِنْ شعره سجلاً تاريخيًّا لبطولات سيف الدولة الحمداني من خلال وصفه للعديد من معاركه التي أذاق فيها إمبراطوريات عظيمة ويلات الحرب،فحطّم آمالها التوسعيّة،وجرّعها كأس الهزيمة.

ومن القصائد التي صوّر فيها إحدى بطولات سيف الدولة قصيدة "الحدث الحمراء" التي يقول فيها:[1]

هممٌ إذا ما همَّ أمْضَى هُمُـــومَهُ بِأرْعنَ وطْءُ الموتِ فيْـــهِ ثَقِيْـــلُ

وخيْلٍ براها الرَّكْضُ فـــي كُلِّ بلْدَةٍ إذا عرّستْ فيْـــها فليْسَ تقِيْـــلُ

فلمَّا تجلَّى مِـــنْ دُلُوكٍ وصنْـــجَةٍ علَـــتْ كُلَّ طوْدٍ رايةٌ وعِيْـــلُ

على طُرُقٍ فيها علـــى الطُّرُقِ رِفْعَةٌ وفي ذِكْرِها عنـــدَ الأنِيْسِ خُمُوْلُ

فما شعروا حتّى رأوهـــــا مُغِيْرَةً قِبَاحاً وأمَّا خلْقُهـــا فجمِيْـــلُ

سَحائِبُ يُمْطِرْنَ الحدِيْـــدَ عليهِم فكُـــلُّ مكانٍ بالسّيُوفِ غَسِيْـــلُ

وأمْسى السَّبايـــا ينتحِبْنَ بِعـرْقَةٍ كأنَّ جيـــوبَ الثَّاكِـــلاتِ ذُيُولُ

وعادَتْ فظنُّوها بِمُـــوْزَارَ قُفَّـــلاً وليْسَ لهـــا إلاَّ الدُّخـــولَ قُفُولُ

وكرَّت فمرّت فـــي دمـاءٍ ملَطْيةٍ ملْطيَـــةُ أُمٌّ للبنِيْـــنِ ثكُـــوْلُ

---

[1]أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص٩٢١و٩٢٢.

وأضَعْنَ ماكُلِّفْنـــهُ مِـــنْ قُبَاقِبٍ فأضحـــــى كأنَّ المـــاءَ فيهِ علِيْلُ

ورُعْنَ بِنا قلْـــبَ الفُـــراتِ كأنَّما تخِـــرُّ عليْهِ بالرِّجـــــالِ سُيُولُ

يُطارِدُ فيْهِ مـــوجَهُ كُـــلُّ سابِحٍ سواءٌ عليْـــهِ غمْـــرَةٌ ومسِيْـلُ

تراهُ كأنَّ الماءَ مـــرَّ بجسْمِـــهِ وأقْبَـــلَ رأسٌ وحـــدَهُ وتلِيْـلُ

وفي بطْنِ هِنْزِيطِن وِسَمْنِيْنَ للظُّبـا وصُمَّ القنـــا ممَّن أبـــدْنَ بدِيْلُ

طلعْـــنَ عليهـم طلْعَةً يعرِفونها لهـــا غُرَرٌ ماتنْقَضـــي وحُجُولُ

تملُّ الحُصُونُ الشُّمُّ طـــولَ نِزالِنا فتُلْقِـــي إليْنا أهلهـــا وتزُوْلُ

وبِتْنَ بِحِصْنِ الرَّانِ رزْحى مِنَ الوجى وكُـــلَّ عزِيْزٍ للأمِيْرِ ذلِيْـــلُ

وفي كُلِّ نفْسٍ ماخـــلاه ملاَلَـــةٌ وفـــي كلِّ سيفٍ ماخـلاهُ فُلُولُ

وذُوْنَ سُمَيْسَاطَ المطاميْرُ والمَـــلا وأودِيَـــةٌ مجْهـــولةٌ وهُجُولُ

لَبِسْنَ الدُّجى فيها إلى أرْضِ مرْعشٍ وللـــرُّومِ خطْبٌ في البـــلادِ جلِيْلُ

وقد بدأ الشاعر وصفه للمعركة من خلال تحديد المسار الجغرافي لها،فخيول سيف الدولة كما صوّرها المتنبي جالَت في بلاد الأعداء حتى وصلت إلى دلوكَ وصنجة وصعدت رؤوس الجبال فصار على كلّ جبل رايةٌ وخيل.

ثمَّ داهم سيف الدولة الرّوم بخيوله التي أغارت عليهم حتّى بدت كأنّها سُحُب أمطرت سُيوفًا على رؤوسهم،ثم حملت سبايا الرّوم إلى مدينة عرْقة وهنّ ينتحبْنَ ويبكِين جرّاء الهزيمة التي مُنيَ بها جيش الرّوم،ثمّ فاجأهم سيف الدولة بأن أعاد الكرّة عليهم منْ درْب موزار فغزا مدينة ملطيّة وكان هلاك أهل ملطيّة وعِرقة بديلاً عن هلاك أهل هنزيط وسمنين التي التي لم يصل إليها جيش سيف الدولة.

ثمّ مضى سيف الدولة بجيشه إلى حصن الرّان الذي سقط على يده حتى باتَ كل عزيزٍ فيه له ذليل،ثم عرج على مدينة سميساط التي تفصله عنها مسافاتٌ بعيدة وأودية مجهولة إلاَّ أنّها لم تُثنيه عن قطعها في ظلمات الليل حتى وصل إلى مدينة مرْعش فما كان منَ الرّوم إلاّ أن أدركوا جلالة الخطْبِ الذي حلّ بهم.

ثم انتقل الشاعر إلى تصوير نتيجة المعركة ووقعها على قادة الرّوم بقوله:[1]

فأوردَهُم صدْرَ الحِصانِ وسيْفَـــهُ فتى بأسُـــهُ مثْلَ العطـاءِ جزِيْلُ

فـــودّع قتْلاهُم وشيَّـــع فَلَّهُم بِضرْبِ حُـــزُونُ البَيض فيهِ سُهولُ

علـــى قلْبِ قُسطَنْطِينَ مِنْهُ تجعُّبٌ وإنْ كـــانَ في ساقَيْهِ مِنْهُ كُبُولُ

لعلَّك يومـــاً يادُمُسْتُقُ عائِـــدٌ فكمْ هـــارِبٍ ممّا إليـــهِ يئُولُ

أتُسْلِـــمُ للخطِيَّةِ ابنَكَ هارِبـــاً ويسكُـــنُ فـــي الدُّنيا إليكَ خلِيْلُ؟

وقد لجأ الشاعر إلى السخرية في تصوير وقع المعركة عليهم،فسخر من قُسطنطين الذي لم يستطع مِنْ هولٍ مارآه سوى أن يقف مُتعجّبًا من بطولة وشجاعة سيف الدولة،كما سخِرَ مِنَ الدّمستق الذي فرّ من ساحة القتال لينجو بنفسه تارِكًا ابنه خلفه لطعنات الرّماح،مُتسائلاً عمَّا إذا كان بعد فعلته هذه سيجد صديقًا يأمنُ له.

هذا بالنسبة للمتنبّي أمّا ابن درّاج فنجد لديه تصوير الوقائع الحربية في مثل قوله:[2]

واسأل بِقَبْرَةِ والـــلَّائِي أطَـفْنَ بِها عـــن عزَمَاتٍ لـــهُ فِيْهِـــنَّ تُرْتَـــدَفُ

في فيْلَقٍ كَعُمُـــومِ اللَّيلِ لا أَمَـمٌ لِنَاظِـــرٍ أوَّلٍ مِنـــــه ولا طَـــرَفُ

كأنَّما الشمسُ في أثْنَـــاءِ هبـوَتِهِ سارٍ تـــدرَّعَ جُنـــحَ اللَّيـــلِ مُعْتَسِـفُ

---

[1] أبو الطيب المتنبي،ديوانه،شرح عبدالرحمن البرقوقي،ص٩٢٢.
[2] ديوان ابن درَّاج القسطلي،تحقيق محمود علي مكّي،ص٣٦٠و٣٦١.

ضَاءَتْ كواكِبُهُ والتَـــجَّ عثِـــيْرُهُ فاللَّيلُ مِنـــــهُ ضِيَاءٌ والضُّـــحَى سُـدَفُ

والخيلُ لاحِقَةُ الآطـــال ساهِـمةٌ فـــي مَعْرَكٍ عدُوُّها فـــي ضنْكِهِ رَسَفُ

مُسْتَشْرِفاتٌ إلـــى تدْبيـــرِ مـــتَّئِدٍ عن رأيِـــهِ ظُلَـمُ الغـــمَّاء تنْكَسِـــفُ

مُشيَّعِ الْعَزْمِ بالإِقْـــدَامِ مُقْتَحـــــمٍ لِغمْرَة المـــوتِ والهـــاماتُ تُخْتَطَـفُ

وفي هذه القصيدة وصف الشاعر معركة المنصور بن أبي عامر مع الصَّقالبة،وبدأ وصفه بتحديد مكان المعركة التي وقعت في مدينة "قَبْرَة" إحدى مدن الأندلس ثم انتقل إلى وصف جيش المنصور فوصفه بأنَّه كان أشبه باللَّيل الحالك الذي يصعب على كل من ينظر إليه أن يُحدِّد أوَّله من آخره وذلك لكثرته،ثم وصف الشمس التي بدت من خلال غبار المعركة مثل سارٍ تدرَّع بوشاح اللّيل، فأصبح نتيجة لذلك من الصَّعب تحديد اللَّيل من النهار في ذلك اليوم فهو يومٌ تحوَّل فيه اللَّيل نهارًا بسبب بريق السيوف،وتحوَّل فيه الضُحى ليلاً بسبب غبار الحرب،ثم انتقل إلى وصف خيول المنصور التي كانت تبدو ساهمة لا تقوى على السير وتشبه في سيرها المُقيَّد بالأغلال وذلك لكثرة الجثث الملقاة على الأرض،وهي إلى جانب ذلك تتطلَّع إلى حُسن تدبير المنصور وآرائهِ السديدة وعزيمته وإقدامه في ساحة المعركة على اقتحام غمرات الموت وخطف هامات الأعداء.

ثم صوّر نتيجة المعركة ووقعها على الأعداء.

وأبْرَزَ الموتُ عن مُسْوَدِّ أوجُهـــهِ فالصَّبـــرُ يَبْعُـــــدُ والأقْـرَانُ تزْدَلِفُ

ففَازَ قِدْحُكَ بِالفَتْحِ المُبينِ ضُـــحىً والكُفرُ مُنتَهَـــــبُ الأقطـارِ مُنتَسَفُ

وأُبْتَ بالمفْـــخَرِ الأَسْنَـــى يُشيِّدُهُ حقٌّ بِسَيْفِـــــكَ للإِسْلامِ مُعْتَـــرِفُ

أمْكنْتَ مِـنْ رِقَّةِ الإِسْـــلامِ مُحْتَكِماً فيها وأسلمَهـــا حـــــرَّانُ مُلْتَهِـــفُ

مُخـــــدَّعٌ بِأمانِي الغـــدْرِ مُكْتَئِبٌ بالخِزْيِ مُشْتَمِـــلٌ بالـــذُّلِّ مُلْتحِـــفُ

فاتَ السُّيُوف بشِلْوٍ حائِنٍ ومضَــى أمْضَى مِنَ السّيْفِ في أحْشائِهِ الأسَفُ

فالفخْرُ مُنْتظِم والمُلْكُ مُنْتَقِـــــمٌ والحقُّ مُنْتَصِـــرٌ والدِّيْـــــنُ مُنْتَصِفُ

في شِيعَةٍ بيَّن الخِزْيُ المحيطُ بهم عن غِبِّ ماجترحُـــوا غدْراً وماقْتَــرَفوا[1]

حيث انتهت بانتصار المنصور واستحقاقه النصر فيها ونيله الفتح المبين،وصوّره الشاعر وقد صارَع الموت بوجوهه السوداء،فأنصف الإسلام وأعلى رايته،كما صوّر الصقالبة وقد باتوا بأمانيهم الغادرة مكتئبين وبالخزيي مُشتمِلين وبالذُّلِّ مُلتحفين.

ونجد تصوير الوقائع الحربية أيضًا لدى ابن المقرّب في نحو قوله واصفًا إحدى معارك الأمير الأشرف موسى مع الإفرنج:[2]

ويَوْمٍ يُوارِي الشمسَ رَيْعَـــانُ نقْعِــهِ ويَحْــوَلُ قبْلَ الطَّرْفِ فيــهِ الْحَمَـالِقُ

وتَمْشي نُسُورُ الجـوِّ فـــوقَ عَجَاجِـهِ وتَبْنِـــي بــهِ أوْكَارَهُنَّ اللَّقَـــالِقُ

كأنَّ العجَاجَةَ عـــــارِضٌ وكأنَّمـــا بهِ المشْرفيَّـــاتُ المواضِي عقائِقُ

وتَحْسَــبُ مِـــنْ رَأَيِ الأسِنَّـــة أنَّــهَا قَــوَاذِفَ قَذْفٍ صَـــوَّتتْ وصـوَاعِقُ

مشَى نحوهُم مشْيَ السّبنْتَـــى فدَاحِضٌ بِشِكَّتِـــــهِ أو طائشُ اللُّبِّ زاهِـــقُ

سَلِ الكُفْرَ منْ أودَى بِدُميَاطَ رُكْنَـــهُ وقصّرَ أعلى فرْعِـــــهِ وهُو باسِـقُ

يُخبّرُكَ صِدْقًا أنَّ مُوسى هو الـــذي بِصَارِمِهِ باقَتْ عليْـــــهِ البوائِـــقُ

وقدْ جاءتْ الإفرنجُ مِـنْ كُلِّ وِجْـــهَةٍ كــأنَّ تَدَاعِيْـهَا السيولُ الــدَّوافِقُ

كتَائِبُ مِلْءُ البرِّ والبحرِ مَـنْ بَـدَتْ لهُ قالَ ذا جُنْـحٌ مِنَ اللَّيلِ غَاسِقُ

---

[1] ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٦٢.

[2] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرَّب العيوني،ص٢٩٨وص٢٩٩وص٣٠٠.

وقد صوّر الشاعر في الأبيات السابقة يوم المعركة بأنَّه يومٌ غطَّى فيه غبار المعركة نور الشمس،ومشت النسور فوق دخانه الكثيف الذي لكثافته بنت اللَّقالق فوقه أوكارها،ولكثافته بدا كالسّحاب الممتليء،كما بدَت السيوف التي تلطّخت بدماء الأعداء كالعقيق الأحمر،وبدا فيه الممدوح وهو يشُقُّ صفوف العدو كالنّمر في جرأتِهِ وإقدامه،مُشبِّهًا خلال ذلك الرماح بالقواذف والصواعق.

ثم قدَّم وصفًا لأحداث المعركة فصوَّر مجيء الإفرنج من كل جهة بأعدادٍ كبيرة بدَتْ لكثرتها كالسيول المتدفقة،كما بدَت كتائبها التي ملأت البر والبحر كاللَّيل الذي اشتدَّت ظلمته.

ثمَّ صوَّر نتيجة المعركة حيثُ قدِم الأمير الأشرف وانتصر على الإفرنج، فألقوا بأموالهم في البحر بعد احتراق رحالهم،وسالَ في المعركة دمٌ لو سالَ في الأرضِ لغطَّى كل ماعليها، وانخفضت أصوات زئيرهم و،عجزَت حصونهم وماشيَّدوهُ حولها من خنادق عن حمايتهم،فأعلى بذلك راية الإسلام وألبسه لباس العِز كما ألبس الكفر لباس الذّل.

فمَـا كانَ إلاَّ أنْ أحَسُّـــوا قُدُومَــهُ تَحُـفُّ بـــهِ تِلْكَ الْبُنُـودُ الْخَـوَافِقُ

ومَالُوا لِقَذْفِ المالِ فـــي اليَمّ بِالضُّـحَى وبِاللَّيلِ ثَـارَتْ فـــي الرِّحَالِ الْحرَائِـقُ

فسَالَ دمٌ لو سَالَ فـــي الأرضِ لاسْتَوَى بـــهَا رَدْغُ مـا عُمِّـــرَتْ ومـزَالِـقُ

فصَـــارَ نئِيْماً ذلِكَ الـــزَّأرُ واغْتـــدَتْ بُغاماً لِفـــرْطِ الخـوفِ تِلْكَ الشّقائِقُ

ولمْ يُنْجِ منهُمْ لُجُّ بحْـــرٍ ولاَ حَمَـــــتْ حُصُـونٌ أُدِيْرَتْ حـولَهُنَّ الْخَنَـادِقُ

ولامنَعَتْ في مُلْتَـــقاهـا مُلُوكـــها قرابَتُها صُهْبُ اللِّحَـــى والبطارِقُ

فيالكَ عصْـــراً البَسَ الكُفْـرَ حُلَّـــةً مِنَ الذُّلِّ لاتبْلى وللمِسْكِ ناشِـــقُ

ومدَّ علـــى الإســلامِ سِتْراً موفَّقــاً منَ العِـــزِّ يبْقى ماتأوَّهَ عـــاشِقُ

فلـــــــولاَهُ لـــمْ ينطِقْ بدُمياطَ داعيًا إلـــــــى كلمةِ التّوحيدِ والعدْلِ ناطِقُ[1]

ونظرًا لكون ابن درّاج وابن المقرّب من شعراء الاتجاه المحافظ الجديد نجد لديهما ضروبًا من التصوير تُذكي روح الإثارة والانفعال في نفس القاريء،من خلال اتّسامها بالإغراق في الخيال، ودقّة الملاحظة.

كما في قول ابن درّاج:[2]

جَهِّزْ لنا في الأرْضِ غَزْوَةَ مُحْتَسِبْ وانْدُبْ إليْهَـــا مَنْ يُساعدُ وانْتَدِبْ

واحْمِلْ على خَيْلِ الْهَوى شِيَمَ الصِّبَا واعْقِدْ لِجَيْشِ اللّـــهْوِ أَلْوِيَةَ الطَّرَبْ

واهْتِـفْ بِأَجْنَـــادِ السُرُورِ وقُدْ بِها نحْوَ الرّياضِ وأنْتَ أكْرَمُ مَنْ رَكِبْ

جيْشـــاً تكُـــونُ طُبُولُهُ عِـــيْدانُهُ وقُرُوْنُهُ النَّايَاتِ تُسْـــعِدُها الْقَصَبْ

واهْزُزْ رِمَاحـاً مِنْ تباشيـــرِ المُنَى واسْـــلُلْ سُيُوفاً مِـنْ مُعَتَّقَةِ الْعِنَبْ

وانْصِـــبْ مجَانِيْقاً مِـنَ النِّيَمِ التي أحْـــجارُهُنَّ مِنَ الرَّواطـمِ والنَخَبْ

لِمَعَاقِلِ مِنْ سَـــوْسَنٍ قـــد شَيَّدَتْ أيْدِي الرَّبيعِ بِناءَهَا فَـوقَ القُضُبْ

وفي الأبيات السابقة نجد أنّ الصورة الشعرية قد اتّسمت بالإغراق في الخيال والطرافة،وهي من أبرز سمات الصورة الشعرية لدى أصحاب الاتجاه المحافظ الجديد،حيثُ يعمدون إلى البحث عن المبتكر والطريف من المعاني.

ويكمن الإغراق في الخيال إلى جانب الطّرافة في إلباس الشاعر صورة المعركة على مجلس الشراب، فبدى كأنَّه يصف لنا أحداث معركة وقعت،مع مراعاة الاهتمام بالتفاصيل.

فكانت البداية بالدَّعوة إلى التجهيز للمعركة والاحتساب والنَّدب،واستبْدل في تلك المعركة القائمة في مجلس الشراب ألوية الجيش بألوية الطَّرب،وجنود القتال بجنود السُّرور،ورماح المقاتلين التي

---

[1] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٣٠٠و٣٠١و٣٠٢.
[2]ابن درّاج القسطلي،ديوان ابن درّاج القسطلي،ص٣٥وص٣٦.

يهزُّونها في أيديهم بكؤوس الخمر التي يهُزُّها النُّدماء مستبشرين،والسيوف المسلولة بالخمرة المعتَّقة،وأحجار المجانيق بزجاجات الشَّراب،وكانت معاقل القتال في تلك المعركة معاقل من سوسنٍ شيَّدتها أيدي الرَّبيع.

ونجد الخيال الإبداعي لدى ابن المقرّب في مثل قوله:[١]

فإنَّ سُيُوفنـــــا مازالَ فيْهـــــــــا شِفَاءٌ للرُّؤوسِ منَ الصُّـــــــداعِ

ويكمن الخيال الإبداعي في الصورة السابقة في تصوير سيوف قومه وهي تضرب رؤوس الأعداء على أنَّها شفاء لهم منَ الصُّداع،فغدَت تلك السيوف هي العلاج للصداع الذي يشكون منه نتيجة حقدهم وكراهيتهم،وهو معنى مبتكر وطريف نظرًا لكون السيوف عادة مايتم تصويرها وهي تُلْحق الأذى برؤوس الأعداء.

وبناءً على ماسبق يتّضح غلبَة الصور التقليدية لدى الشاعرين التي عمِدا من خلالها إلى المحاكاة والتقليد للأقدمين،إلاّ أنّهما على الرّغم من ذلك لم يقِفا عند حدود المحاكاة والتقليد،حيثُ حرِصا على إبداع صور جديدة تمتاز بالخيال المبدع،ودقّة الملاحظة،والطرافة،ليؤكدا بذلك إنتماءهما إلى الاتجاه المحافظ الجديد.

اتّسم تصوير المعارك لدى الشعراء الثلاثة بالدّقّة والتحديد،من خلال حرصهم على تحديد الأماكن التي وقعت فيها المعارك، وتصوير الجيوش،وبلاء الممدوح،ثم الانتقال إلى تصوير نتيجة المعركة.

وقد كان هذا ديدن المتنبي وابن درّاج عند تصوير المعارك الحربية،أمّا ابن المقرّب فقد تفاوت أسلوبه في تصوير المعارك مابين العناية بنقل التفاصيل،ومابين المرور السريع على أحداث المعركة،كما مرّ بنا في الدراسة عند تصويره لإحدى معارك ابن عمه الأمير محمد بن أبي الحسين.[٢]

---

[١] علي بن المقرّب العيوني،ديوان ابن المقرّب العيوني،ص٢٧٢.
[٢] ص ٧٦ من هذه الدراسة.

وقد منح الشعراء الثلاثة قصائدهم قيمة تاريخية من خلال الإشارة إلى الأسماء التاريخية للمدن التي حقّق فيها ممدوحوهم انتصاراتهم.

واشتركوا في الصورة التي قدّموا فيها قائد المعركة حيثُ حرصوا على أن يُحيطوه بهالة من العظمة من خلال التأكيد على اجتماع القيم الأصيلة فيه نحو الشجاعة والبطولة وقهر الأعداء وتحقيق المجد والعِزَّة للإسلام والمسلمين والذُّل والإهانة للكفر والكافرين.

الخاتمة

الحمدلله الذي أعانني ووفّقني لإتمام هذا العمل الذي آمل أن يكون إضافة للدراسات الأدبية.

وقد بحثت الدراسة موضوع"النص الشعري بين ابن درّاج القسطلي وابن المقرّب العيوني" في فصلين اثنين.

فتناولَت في الفصل الأوّل الموضوعات الشعرية لدى الشاعرين من حيث أوجه التّشابه والاختلاف.

وتمّ تقسيمه إلى مبحثين:

المبحث الأوّل بعنوان"الموضوعات الشعرية لدى الشاعرين".

والمبحث الثاني بعنوان"موازنة بين الموضوعات الشعرية وسماتها لدى الشاعرين".

وتناولَت في الفصل الثاني أوجه التّشابه والاختلاف بين الشاعرين في السمات الفنيّة.

وتمّ تقسيه إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول بعنوان"بنية القصيدة".

المبحث الثاني بعنوان"الألفاظ والأساليب".

المبحث الثالث بعنوان"الموسيقى ".

المبحث الرابع بعنوان "الصورة الشعرية".

وقد أسفرَت الدراسة عن النتائج الآتية:

١ــــلم يكن لقب ابن درّاج القسطلي"متنبّي الغرب الأندلسي"ولقب ابن المقرّب العيوني"متنبي الخليج " على سبيل المبالغة فقد كشفت الدراسة عن مكانة الشاعرين في بيئتهما والتقاءهما مع المتنبي في العديد من الأمور بما يستوجب هذا اللقب.

٢_أسفرت الموازنة بين الشاعرين من حيث تأثرهما بالمتنبي عن النتائج التالية:

_ كلا الشاعرين تمتّع بطموحٍ عالٍ كان سببًا قويًّا لإثارة المشكلات والحسد من حولهما،شأنهما في ذلك شأن المتنبّي.

_اشترك ابن درّاج مع المتنبي في موقفه تجاه مؤامرة الحاسدين والوشاة،حيثُ وظّف شعره للرّد عليهم،واتّسمت قصائده الموجهه إليهم بالتعالي والفوقية إلى جانب التماس العذر لهم نظرًا لتفوقه عليهم،في حين اختلف عنهما ابن المقرّب الذي تجاهل حاسديه ووجّه شعره لتنبيه أبناء عمومته منهم.

_ عاش كلا الشاعرين حياةً مشابهة لحياة المتنبّي من حيث عدم الاستقرار والتنقل بكثرة بغرض مدح الملوك و الأمراء.

_اشترك الشاعران في ردَّ فعلهما تجاه المصاعب التي واجهتهما،حيثُ اتَّجها إلى نظم القصائد التي ألقيا فيها اللَّوم على الدَّهر والنَّاس،فغلبت لغة التشاؤم على قصائد ابن المقرّب تمامًا كالمتنبّي،في حين غلب التفاؤل على قصائد ابن درّاج.

_ كانت قصائد المديح لدى ابن درّاج وابن المقرّب سجلاً تأريخيًا للوقائع التاريخية التي خاضها ممدوحيهم،وهو مايذكّرنا بسيفيات المتنبي التي سجّل من خلالها بطولات سيف الدولة الحمداني والوقائع التي خاضها.

_ اشترك ابن دراج مع المتنبي في توظيف لقب الممدوح في قصائده من خلال الإفادة من المشاكلة القائمة بين اللقب ومعناه.

_ خلا ديوان ابن دراج من الفخر بقومه ونسبه،وهو في ذلك يشترك مع المتنبي،في حين اختلف ابن المقرب عنهما بفخره الدائم بقومه ونسبه.

_ غلبت روح التفوق والتعالي على فخر ابن المقرب من خلال تعاليه في بعض القصائد على قومه وتفضيل ذاته عليهم،وهو في ذلك يشترك مع المتنبي وإن كانت هذه الروح تصل لدى المتنبي إلى حد جنون العظمة،بينما اتّسم الفخر لدى ابن دراج بالمساواة بينه وبين ممدوحيه في

المفاخر،ولم يمتلك جرأة المتنبي وابن المقرب في مخاطبة ممدوحيه بلغة تدل على التفوق والتعالي عليهم .

_اتّفق الشاعران في قلة قصائد الغزل في أشعارهما وهو مانجده عند المتنبي أيضًا.

_اشترك الشاعران مع المتنبي في الإنتماء إلى الاتجاه المحافظ الجديد.

_اشترك الشاعران مع المتنبي في الجمع بين الألفاظ الجافة والوعرة والألفاظ السلسة والواضحة، غير أن السهولة والسلاسة هي الغالبة على ألفاظهما.

_اشترك ابن درّاج مع المتنبي في تصوير المعارك الحربية بدقّة والاهتمام بنقل تفاصيل أحداثها،بينما تفاوت أسلوب ابن المقرّب في تصويرها مابين معارك اهتمّ فيها بنقل التفاصيل،ومعارك اكتفى بالمرور السريع على أحداثها.

٣_ اشتراك الشاعرين في العديد من العوامل المؤثرة في حياتهما وانتماؤهما إلى الاتجاه المحافظ الجديد انعكس بشكل كبير على تجاربهما الشعرية،وأوجد بينهما العديد من أوجه التشابه والاختلاف.

وتتمثّل أوجه التشابه بينهما في النقاط التالية:

_عانى الشاعران من الغربة النفسية من خلال شعورهما بالغربة داخل أوطانهما.

_ عانى الشاعران من الاغتراب الزماني الذي تجسّد في عجزهما عن العوده إلى أيّام الشباب ومحاولة التعايش مع الواقع من خلال تزيين صورة الشيب في أشعارهما.

_ لم يكن حظّ الوصف الخارجي وافرًا لدى الشاعرين نتيجة افتقادهما للهدوء النفسي الذي يهيئ الشاعر للتأمل ووصف الأشياء بدقة.

_ غلب الوصف النفسي الذي يصور خلجات النفس لدى الشاعرين على الوصف الحسي الخارجي.

_ لم يأتِ كلا الشاعرين بجديد في الغزل .

_ تنوعت مقدمة القصائد لدى الشاعرين مابين مقدمات تقليدية ومقدمات اتبعا فيها المنهج المحدث .

_اشترك الشاعران في غلبة النظم على البحور الطويلة في أشعارهما.

_تسلسل حروف الروي في قصائد الشاعرين دل على سيرهما وفق ما هو شائع في الشعر العربي من حيث لجوؤهما إلى حروف الروي الأكثر استعمالاً.

– كان استخدامهما للقافية المقيدة قليلاً بالمقارنة بالقافية المطلقة.

– دل توظيفهما لأسلوب الاقتباس في أشعارهما على اطلاعهما على الموروث الإسلامي.

– دل توظيفهما لأسلوب التضمين على اطلاعهما على الموروث الشعري الخالد .

– كان استخدامهما للقافية المقيدة قليلاً بالمقارنة بالقافية المطلقة.

_حمل أسلوب الاستفهام في شعر الشاعرين حضورًا دلاليًّا عميقًا من خلال توظيفه في التّعبير عن دلالات ومقاصد شتّى.

_برع الشاعران في توظيف المحسنات البديعية في أشعارهما إلى حد كبير،حيث أضفَتْ على أشعارهما جرْسًا موسيقيًّا،وحملت في طياتها دلالات معينة.

– يبدو تأثر الشاعرين بالتراث القديم من خلال صورهما الشعرية إلاّ أنّ ذلك لا ينفي حرصهما على إبداع صور جديدة تمتاز بالخيال المبدع ودقة الملاحظة والطرافة.

ووتمثَّل جوانب الاختلاف بينهما في النقاط التالية:

_غلب الشعور الأسري لدى بن دراج على قصائد الغربة والحنين ولا نجد هذا الشعور حاضرًا بشكل قوي في شعر ابن المقرب.

_ اتّسم الوصف لدى ابن دراج بالتحليل المعنوي والتفصيل في وصف المحسوسات،بينما اتسم الوصف لدى ابن المقرب بالاهتمام بتفاصيل ملاحظة في الممدوح أو حياته أو إنجازاته،وافتقد وصفه للمحسوسات للعناية بالتفاصيل.

– اتسم الغزل لدى ابن دراج بمزجه مع الطبيعة جاعلاً بذلك من المرأة صورة من محاسن الطبيعة.

– يعمد ابن المقرب في بعض الأحيان إلى استخدام أسلوب الحوار في غزله.

– دل المعجم الشعري لدى ابن دراج على تأثره بالبيئة الأندلسية.

– دل المعجم الشعري لدى ابن المقرب على ثقافته التاريخية .

– وصلت بعض المبالغات لدى ابن دراج إلى حد الغلو المردود،وهو قليل في شعر ابن دراج بالمقارنة بابن المقرّب.

_ سلمت قافية ابن المقرب سلامة شبه تامة من عيوب القافية لولا وقوعه في سناد الإشباع في حين وقع ابن دراج في سناد التّأسيس وسناد التوجيه.

قائمة المصادر والمراجع.

١_القرآن الكريم.

٢_ الآمدي،أبو القاسم الحسن بن بشر،الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتري،تحقيق أحمد صقر،ط٤،القاهرة،دار المعارف،١٩٩٢.

٣_الأتابكي،أبو المحاسن جمال الدين يوسف،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،(د،ط)، القاهرة،وزارة الثقافة،المجلّد ٤،(د.ت).

٤_ الأخفش،سعيد بن مسعدة،القوافي،تحقيق أحمد راتب النفاخ،ط١،دار الأمانة،١٣٩٤_١٩٧٤.

٥_إسماعيل،عز الدّين،الأدب وفنونه دراسة ونقد،ط٩،القاهرة،دار الفكر العربي،٢٠٠٤.

٦_أنيس،إبراهيم،موسيقى الشعر،ط٢،القاهرة،مكتبة الأنجلو،١٩٥٢.

٧_البرقوقي،عبدالرحمن،شرح ديوان المتنبّي،(د.ط)،القاهرة،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٤.

٨__بيريس،هنري،الشعر الأندلسي في عصر الطوائف،ط١،القاهرة،دار المعارف،١٩٨٨.

٩__التبريزي،الخطيب،الكافي في العروض والقوافي،تحقيق الحسّاني حسن عبدالله،القاهرة،ط٣، مكتبة الخانجي،١٤١٥_١٩٩٤.

١٠_الثعالبي،أبو منصور عبدالملك محمد بن إسماعيل،يتيمة الدّهر،تحقيق مُفيد محمد قمحية ،(د.ط)، بيروت،درا الكتب العلمية،ج٢ ،١٤٠٣_١٩٨٣.

١١_الجرجاني،أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن،دلائل الإعجاز،تحقيق محمود محمد شاكر،ط٣، القاهرة،مطبعة المدني،جدة،مطبعة دار المدني،١٩٩٢.

١٢_جعفر،قدامه،نقد الشعر،(د.ط)،تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي،بيروت،دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤.

١٣_الحموي،شهاب الدين ياقوت بن عبدالله،معجم البلدان،(د.ط)،بيروت،دار صادر،المجلّد٤، (د.ت).

١٤_الخشروم،عبدالرّازق،الغربة في الشعر الجاهلي،(د.ط)،دمشق،منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، ١٩٨٢.

١٥_الخضيري،علي عبد العزيز،علي بن المقرّب العيوني"حياته وشعره"،رسالة دكتوراه ،الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،١٩٨١.

١٦_ابن خلكان،أحمد بن محمد بن أبي بكر،وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان،تحقيق إحسان عبّاس بيروت،دار صادر،المجلّد١، ١٩٧٨.

١٧_دواليبي،محمد،التجربة الشعرية عند ابن درّاج القسطلي،رسالة دكتوراة،جامعة حلب،٢٠٠٤.

١٨_الذّهبي،شمس الدّين محمد بن أحمد،سير أعلام النبلاء،تحقيق شعيب الأرناؤوط،ط١،بيروت مؤسسة الرسالة،١٩٨٣.

١٩_الزركلي،خير الدّين بن محمد بن محمود،الأعلام، ط١٥، بيروت ،دار العلم للملايين،ج٥، ٢٠٠٢.

٢٠_أبو ستيت،الشحّات محمد،دراسات منهجية في علم البديع،ط١،دار خفاجي،١٤١٤_١٩٩٤.

٢١_الصّفدي،صلاح الدّين بن خليل بن أيبك،الوافي بالوفيّات،تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفي، (د.ط)،بيروت،دار إحياء التراث،ج٢٢، ٢٠٠٠.

٢٢_ضيف،شوقي،الفن ومذاهبه في الشعر العربي،ط١١،القاهر،دار المعارف،(د.ت).

٢٣_الطائي،أبو عبادة الوليد بن عبيد،ديوان البحتري،ط٣،شرح وتحقيق حسن كامل الصيرفي، القاهرة،دار المعارف،(د.ت).

٢٤_عتيق،عبدالعزيز،علم العروض والقافية،(د.ط)،بيروت،دار النهضة العربية،١٤٠٧_١٩٨٧.

٢٥_العدوي،غيلان بن عقبة،ديوان ذي الرمة،(د.ط)،تحقيق عبدالقدوس أبو صالح، بيروت ، مؤسسة الإيمان للطباعة،١٤٠٢_١٩٨٢.

٢٦_ابن عنين،أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين،ديوان ابن عنين،تحقيق خليل مردم، (د.ط)،دمشق،المجمع العلمي العربي ومطبعة دمشق،١٩٤٦.

٢٧_العيس،مصطفى،أثر المتنبي في أعلام الشعر الأندلسي،رسالة دكتوراة،جامعة حلب،٢٠٠٠.

٢٨_العيوني،علي بن المقرّب،ديوان ابن المقرّب العيوني،شرح وتحقيق عبدالفتّاح الحلو،ط٢، الأحساء،مكتبة التعاون الثقافي،١٩٨٨.

٢٩_فروخ،عمر،تاريخ الأدب العربي،ط٥،بيروت،دار العلم للملايين،ج٣، ١٩٨٩.

٣٠_فيّود،بسيوني عبدالفتّاح،علم البديع دراسة تاريخية وفنيّة لأصول البلاغة ومسائل البديع، ط٢،القاهرة،مؤسسة المختار،الأحساء،دار المعالم الثقافية،١٤١٨_١٩٩٨.

٣١_قبّاني،وسام،عامريّات ابن درّاج القسطلي،ط١،دمشق،الهيئة العامة السورية للكتاب،٢٠١١.

٣٢_القسطلي،أحمد بن سليمان بن عيسى بن درّاج،ديوان ابن درّاج القسطلي،تحقيق محمود علي مكي،ط١،دمشق،منشورات المكتب الإسلامي،١٩٦١.

٣٣_قليقلة،علي عبدالعزيز،التجربة الشعرية عند ابن المقرّب مضمونها وبناؤها الفني،(د.ط)، الرياض،النادي الأدبي،١٩٨٦.

٣٤_القيرواني، أبوعلي الحسن بن رشيق،العمدة في صناعة الشعر ونقده،حققه وعلّق عليه النبوي عبدالواحد شعلان ،ط١، القاهرة،مكتبة الخانجي،ج١، ١٤٢٠_٢٠٠٠.

٣٥_الكندي،امرؤ القيس حجر بن الحارث،ديوان امريء القيس،ط٥،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة،دار المعار،١٩٩٠.

٣٦_المصري،عبدالعظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع،تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن،ط١،القاهرة،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،ولجنة إحياء التراث الإسلامي.

٣٧_ابن المُعتز ،أبو العباس عبدالله،البديع،ط١،بيروت مؤسسة الكتب الثقافية،١٤٣٣_٢٠١٢.

٣٨_المغربي،أبو الحسن علي بن موسى العنسي،المُغرب في حُلى المغرب،تحقيق شوقي ضيف،ط٤ القاهرة،دار المعارف،ج٢,١،(د.ت).

٣٩_المقدادي،درويش،مجلة العربي،العدد١٧،شوال ١٣٧٩.

٤٠_المناعي،سامي جاسم،ابن المقرّب العيوني شاعر الخليج العربي في العصور الإسلامية حياته وشعره،ط١،القاهرة،مطبعة الجبلاوي،١٩٨٢_١٤٠٢.

٤١_المنذري،زكي الدّين أبومحمد عبدالعظيم،التكملة لوفيات النقلَة،ط٣،بيروت،مؤسسة الرسالة، المجلّد٣، ١٩٨٤.

٤٢_الموصلي،كمال الدين بن الشعّار،قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان،تحقيق كامل سلمان الجبوري،ط١بيروت،دار الكتب العلميةج٥، ٢٠٠٥.

٤٣_مُؤنس،حسين،معالم تاريخ المغرب والأندلس،ط١،القاهرة،دار الرّشاد،١٩٩٧.

٤٤_هيكل،أحمد،الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،ط١٥، القاهرة،دارالمعارف، ٢٠٠٨ .

٤٥_وريدة،فهد بن عوض، ابن المقرَّب العيوني حياته وشعره،رسالة ماجستير،جامعة الأزهر ، ١٩٧٣.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
ملخص الدراسة بالغة العربية	أ
ملخص الدراسة بالغة الانجليزية	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
المقدمة	هـ_ط
التمهيد	١_٢٧
أولاً التعريف بابن دراج القسطلي	١_٣
ثانياً التعريف بابن المقرب العيوني	٤_٧
العوامل المؤثرة في حياتهما	٨_٢٧
عوامل اختلف فيها الشاعرين	٨_١٢
عوامل اتّفق فيها الشاعرين	١٢_٢٧
الفصل الأول السمات الموضوعية لدى الشاعرين (أوجه الاتفاق واوجه الاختلاف	٢٨_١١٣
المبحث الأول الموضوعات الشعرية لدى الشاعرين	٢٩_٨١
موضوعات شعر ابن دراج القسطلي	٢٩_٥٤

المديح	٢٩_٣٥
الاغتراب والحنين	٣٦_٤١
الفخر	٤٢_٤٥
الوصف	٤٦_٥٠
الغزل	٥١_٥٤
ثانياً موضوعات شعر ابن المقرب العيوني	٥٥_٨١
المديح	٥٥_٦١
الاغتراب والحنين	٦٢_٦٦
الفخر	٦٧_٧٣
الوصف	٧٤_٧٨
الغزل	٧٩_٨١
المبحث الثاني موازنة بين الموضوعات الشعرية وسماتها لدى الشاعرين	٨٢_١١٣
أولاً :المديح لدى الشاعرين	٨٢_٩٢
ثانياً :الاغتراب والحنين لدى الشاعرين	٩٣_٩٨
ثالثاً: الفخر لدى الشاعرين	٩٩_١٠٣
رابعاً الوصف لدى الشاعرين	١٠٤_١١٠
خامساً :الغزل لدى الشاعرين	١١١_١١٣

الفصل الثاني السمات الفنية لدى الشاعرين (أوجه الاتفاق واوجه الاختلاف)	١١٤_١٩٠
المبحث الأول بنية القصيدة	١١٤_١٢٥
١ – مطلع القصيدة	١١٤_١٢٠
٢– حسن التخلص	١٢٠_١٢٢
٣– الخاتمة	١٢٣_١٢٥
المبحث الثاني الألفاظ والاساليب	١٢٨_١٥٤
أولاً الألفاظ	١٢٨_١٤٢
ثانياً الأساليب	١٤٣_١٥١
١– أسلوب المبالغة	١٤٣_١٤٥
٢– أسلوب الاستفهام	١٤٥_١٤٧
٣– الاقتباس	١٤٨
٤– التضمين	١٤٩_١٥١
المبحث الثالث :موسيقى الشعر	١٥٥_١٧٥
موسيقى الشعر الخارجية العروض	١٥٥_١٦٠
القوافي	١٦٠_١٦٤

ثانياً :موسيقى الشعر الداخلية	١٦٤_١٧٤
١_الجناس	١٦٤_١٦٧
٢_التصريع	١٦٧_١٦٨
٣_الطباق	١٦٨_١٧١
٤_المقابلة	١٧١_١٧٣
المبحث الرابع الصورة الشعرية	١٧٦_١٩٠
الخاتمة	١٩١_١٩٥
قائمة المصادر والمراجع	١٩٦_١٩٩